

المجلد

١٣١٥

قشر عبادي الذين يستعملون القول فينبون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

يقضي الحكمة من رضاء ومن يؤمن الحكمة فقد
أوفى شرباً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

﴿ قل عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام سوى و «مارا» كثار الطريق ﴾

١١ شوال ١٣٣٥ - ٧ الاسب (٢) ١٢٩٥ هـ ٣٠ يوليو ١٩١٧

فاتحة السنة العشرين للمناور

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى واشكر له توفيقه وتأيدده، حمدا يوافي نعمه وشكرا
يكافي مزيده ، وأصلي وأسلم على خاتم أنبيائه ورسله ، ورحمته العامة
المرسلة وحجته القائمة على خلقه ، محمد النبي الأمي العربي الذي دث في
الأميين ، يعلمهم الكتاب والحكمة ويطهرهم الأئمة الوارثين ، ويصلح بهم
فساد الامم والشعوب المتعامين وغير المتعلمين ، وعلى عترته آل بيته
الطاهرين ، وأصحابه الذين نشروا دعوته بين العالمين ، وعلى التابعين لهم
في هدايتهم وهديتهم الى يوم الدين

أما يجعل فقد دخل المنار في العام العشرين ، داعياً الى الاعتصام
 بحبل الله المتين ، والاهتداء بنوره المبين ، والآستمسك بسنة رسوله
 الأمين ، والسير على منبج السلف الصالحين ، — ناهيك عن الأحداث والبدع ،
 وتقليد الأحزاب والشيعة — مبيناً أن الخير كل الخير في اتباع من سلف ،
 وإن الشر كل الشر في ابتداع من خلف ، لأن الله تعالى قد أكمل الدين
 فلا يقبل زيادة كمال ، فالزيادة فيه كالنقص منه خزي وضلال ، وإنما الناقص
 الذي يحتاج دائماً الى الاكمال والاصلاح ، ما كان من أوضاع البشر عرضة
 للنقص والفساد — مثبتاً أن ضعف الشعوب الاسلامية ، إنما جاء من
 عملهم بعكس هذه القضية ، أعني الابتداع في الامور الدينية ، واتباع
 من قبلهم في الامور الدنيوية . فالأثم في ارتقاء دائم ، وهم في جمود
 ملازم ، غلب عليهم الجهل المركب فهم للعلم يدعون ، ورزؤوا بالفقر المدقع وهم
 في الدنيا طامعون ، وخضعوا للضميم والذل وهم معجبون متكبرون ، وخضعوا
 لظلم المتغلبين وهم بالملك والسيادة مفتونون ، (إنهم ألقوا آباءهم ضالين
 فهم على آثارهم يهرعون)

خسروا أنفسهم خسروا كل شيء ، وهل خسران النفس ، الا فقد
 استقلالها في الفهم والعلم والحكم ، وتقليد الآباء والاشياخ المتأخرين ،
 في جميع أمور الدنيا والدين ، فالتحقيق أنهم مقلدون حتى في الابتداع ،
 لانهم فقدوا ملكة الاستنباط والاختراع ، وقد ساروا بحسب الظاهر على
 الطريقة الثابتة بالعقل والاختبار ، وهي كون علوم المتأخرين وفنونهم
 أجدر بالثقة والاعتبار ، سنة الله في التدريج والارتقاء ، على أنهم يمتدنون
 بحق أن متقدمي هذه الامة خير من متأخريها في جميع العلوم والاعمال ، لان

انطلق لم يسيروا على سنة السلف في الاجتهاد والاستقلال ؛ ولو ساروا عليها لفاقوهم في كل ما هو من كسب الناس . وهم انما يقلدون المتأخرين ، لانهم لا يرون أنفسهم أهلا لتباع المتقدمين ، اذ يزعمون ان التأخر أضعف من التقدم عقلا وفهما ، وربما اعتقدوا أنه أقل قوة ونحف جساما ؛ وأن هذا التفضيل منحة إلهية وهبية ، لا يمكن ادراكه بالاسباب الكسبية ، غافلين عن سنة الله تعالى في سائر الامم والاجيال ، وسبق المتأخرين للمتقدمين في جميع العلوم والاعمال ، حتى ان الله تعالى سخر لمراكبهم الهواء ، كما سخر لها الماء ، وسخر لها من البحار لججها وأعماقها ، كما سخر لها مبنونها وأمواجها ، بل سخر الله تعالى لهم ما في السموات وما في الارض ، فما كان مسخرا لغيرهم بالقوة صار مسخرا لهم بالفعل . فما بال جماهير المسلمين لا يسمعون ولا يبصرون ، ولا ينظرون ولا يفكرون ، (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَعْقَى الْإِبْصَارَ وَلَكِنْ تَعْقَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) كل ما هو مسخر للبشر ، وكل ما هو من كسب البشر ، فهو قابل للارتقاء ، اذا لم يحمد الابناء فيه على ما ورثوه عن الآباء . وكل ما ينفع الناس من العلوم والفنون والاعمال ، فهو مما يتناوله كسبهم وتصرفهم بمقتضى الاستعداد الخاص والتسخير العام ، الا الدين الإلهي ، والوحي السماوي ، وقد أكمل الله لنا الدين ، كما ثبت بنص الكتاب المبين ، فما بالنا قد ابتدعنا فيه كثيرا من الشعائر ، كواسم الايام الفاضلة والموالد ، وكثيرا من العبادات التي لا أصل لها من السنة والكتاب ، كأذكار أهل الطرق وما استحدثوا من الاوراد والاحزاب ؛ بل ما بالنا نبني المساجد على ما

نُشْرِفُ مِنَ الْقُبُورِ ، وَنُوقِدُ عَلَيْهَا السَّرِجَ وَالشَّمُوعَ ؛ وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ فَاعِلِي ذَلِكَ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ الرَّسُولِ ؛ بَلْ مَا بَالُنَا نَطُوفُ بِهِذِهِ الْقُبُورِ كَمَا نَطُوفُ بَيْتِ اللَّهِ ، وَنَدْعُوهَا مَعَ اللَّهِ أَوْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ، أَنَّ هَذَا عِبَادَةٌ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ ؛ أَتَتَّبِعُ فِي هَذَا أَعْمَلَ الْآبَاءِ الْمُنَافِقِينَ ، وَنَحْنُ تَلَوُّونَا بِنُحْلٍ عَلَيْنَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمُنَافِقِينَ ، (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلَى نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا ، أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ)

إِنَّا لَنَدْعُو النَّاسَ إِلَى عَقِيدَةِ السَّلَفِ وَنَحْنُ بِهَا مُوقِفُونَ ، وَنُرْشِدُ مَنْ بَلَغَتْهُ الدَّعْوَةُ إِلَى سِيرَتِهِمُ الدِّينِيَّةِ وَنَحْنُ عَلَى طَرِيقَتِهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ مُسْتَقِيمُونَ ؛ وَانَّمَا نُورِدُ فِي بَابِ التَّنَسُّبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَنَارِ ، بَعْضَ تَأْوِيلَاتِ الْخُلْفِ لِلآيَاتِ وَالْإِخْبَارِ ؛ وَمَا قَدْ يَخَالَفُ مَذْهَبُهُمُ مِنَ الْآرَاءِ الْعَصْرِيَّةِ ، وَخَاصَّةً فِي مَقَامِ الدِّفَاعِ عَنِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ، لِأَنَّ الضَّرُورَةَ أَجْلَأُ إِلَيْهَا ، بِتَوْقُفِ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ أَوْ دَحْضِ الشُّبْهِةِ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ الْمَنَارَ لَيْسَ خَاصًّا بِالْمُدَّعِيْنَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، بَلْ يَكْتُبُ لَهُمْ وَلِغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُبْتَدِعِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ ، وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ الْجَاهِدُ ، وَالْمُجَادِلُ الْمَمَانِدُ ، وَمِنْهُمْ الْمَشْتَبِهُ الْمُنْزَوَّرُ بِشُبْهِةٍ ، وَالْمُرْتَابُ الْمُتَرَدِّدُ فِي رَيْبَتِهِ ؛ وَحَسْبُنَا مِنَ الْفُلْجِ أَنْ تَقْضَعَ بِتَأْوِيلِ الْخُلْفِ ، مَنْ تَعَذَّرَ اقْتِنَاعُهُ بِتَفْوِضِ السَّلَفِ ، وَأَنْ نَدْحَضُ الشُّبْهِةَ بِرَأْيِ جَدِيدٍ ، إِذَا أَعْيَا دَحْضُهَا بِرَأْيِ تَلِيدٍ ، إِذْ يَكْفِي فِي صَحَّةِ الْإِيمَانِ الْجُزْمُ بِأَنَّ كُلَّ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَنْ رَبِّهِ فَهُوَ حَقٌّ ، وَفِي صَحَّةِ الْإِذْطِاقِ مُوَافَقَةُ السَّلَفِ فِي مَسَائِلِ الْإِجْمَاعِ الْعَمَلِيَّةِ وَمَا لَا يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلُ مِنَ النَّصِّ ، وَلَا حَرَجُ فِي دِينِ الْفُطْرَةِ فِيمَا اقْتَضَتْهُ الْفُطْرَةُ مِنْ تَفَاوُتِ الْإِفْهَامِ ، مَعَ صَحَّةِ

قواعد الايمان وإقامة أركان الاسلام ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يقر أصحابه على مثل ذلك في مسائل الأحكام ، كتارك الصلاة والمصلي بالتيمم الجنبية ، والمختلفين في صلاة العصر يوم بني قريظة. ^(١) ورب فهم جديد ، يؤيد دين الحق أعظم التأيد ، ومن مزايا القرآن انه لا تنتهي عجائبه ، ولا تنقضي غرائب ، وإن من آياته ما يظهر في زمان دون زمان ، وهل يظهرها إلا أقوام أهل العرفان ، الذين هم حجة الله في أرضه ، على الجاهلين والجاحدين من خلقه ، ولن يخلو عنهم عصر من الأعصار ، وإن خلت منهم بعض البلاد والأمصار ، وكم من عالم ينفع بعلمه الغائب البعيد ، ويحرم منه القريب العتيد (قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)

تلك دعوة المنار ، التي رددت صداها الاقطار ، فكانت كالبرق المبشر بما يتلوه من المطر ، في نظر سليمي العقول صحيحي الفطر ، وكالصواعق المحرقة على أهل البدع ، ومتعصي الأحزاب والشيع ، وقد آذانا لأجلها الضالمون فصبرنا لله بالله ، ولم تكن كمن أودى في الله فجعل فتنة الناس كعذاب الله ، وجهل علينا بعض أحداث السياسة المفرورين ، وبعض أدعياء العلم الجامدين ، فقلنا « سلامٌ عليكم لا نبغني الجاهلين » وكاد لنا أعداء الدعوة كيدا خفيا ، أضرت بنا ضررا جليا ، إذ حجب المنار عن كثير من قرائه الاخيار ، وحرمتنا بذلك وبغيره كثيرا من المال ، وحسبنا أن حمد الدعوة كل من عرفها من طلاب الإصلاح ، وأهل الروية والاستقلال ، وأما الازهريون خاصة ، فقد كانوا أزواجاً ثلاثة ، فقليل من الشيوخ وكثير من الشباب ، يرون أن المنار من ضروريات الاسلام

في هذا الزمان، وكثير من الشيوخ والشبان يكرهون منه حمد الاستقلال وذم التقليد، ورأي جماهير علماء العصر بالجود والتقصير، والسواد الأعظم منهم مشغولون بأمور معيشتهم، وبمطالعة دروسهم ومناقشات طلبتهم، عن النظر في مثل المنار لتقريب أو انتقاد، وعن كل ما يتجدد في الدنيا من إصلاح وإفساد، وقد دخل المنار في السنة العشرين، ولم ينتقده أحد من الأزهريين؛ إلا أنه قلم في هذا العام شاب متخرج في الأزهر، فنشر في بعض الجرائد الساقطة مقالات سب فيها صاحب المنار وكفر، بأنها ذلك على زعمه أنه أنكر كون آدم أباً لجميع البشر، على أن المنار قد صرح بأبنايت هذه الآية تصرّحات آخرها ما في الجزء الأول من المجلد التاسع عشر، وزعمه أنه فضل شبلي شميل على الخلفاء الراشدين، ويعلم كذب هذا الزعم مما نشرناه في شميل من ترجمة وتأيين، ومن لا يزعه هدي القرآن، عن السب والكذب والبهتان، قد يزعه عقاب السلطان، لهذا رفع أحد كبار المحامين عنا أمر هذا الطعن إلى محكمة الجنايات، بعد أن أنذرنا بذلك كاتب المقالات، ونصحنا له بلسان بعض ذوي رحمه وصحبه، بأن يستحلنا ثابتاً من ذنبه، فلم يرد ذلك إلا أصراً على الذنب، وتماذاً في الطعن والسب، ولكنه جنح في المحكمة للإسليم، وطلب هو وصاحب الجريدة من رئيسها الصلح، على أن يعتذرا عما اتهم به من المطاعن الشخصية، ويعترفوا باحترام عقيدة صاحب المنار وآرائه الدينية، وأستينياً عبارة في ذلك أثبتت في محضر القضية. وقد قبلنا ذلك منه، وكان خيراً لهما لو فعلاه من تلقاء أنفسهما، على أنهما عادا إلى منيئتهما، ولا قيمة عندي لمثل هذا الكلام، فإنه مما يقال لصاحب سلام، وإنما ذكرناه في

فاتحة المنار، التي نشير فيها عادة الى ما تجد في تاريخ الاصلاح، تمهيداً لذكر ما قيل انه ترتب على تلك القضية، من تأليف جمعية ازهرية، لاجل البحث عن أغلاط المنار الدينية والعلمية، وبيانها للناس وللحكومة المصرية؛ ذكرت ذلك الجريدة التي وقفت نفسها على الطعن في صاحب المنار، متوهمة انه سيترب عليه ابطال المجلة أو اخراج صاحبها من هذه الديار، لان عنداً أعضاء هذه الجمعية من حقائق العلوم الازهرية، ما ليس عند صاحب المنار الذي تلقى العلم في البلاد السورية... فنقول للواهمين، ولن يمدونهم في غيهم من المغرورين: اننا علم من كنه علم الازهر ما لا تعلمون، فاعملوا على مكانتكم إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون (١٠٦ : ٩) وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ، وَسَتَرَدُنَّ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

إنا ندعو الى الله على بصيرة، ونكتب ما نكتب عن علم وبينه . ولكنتنا كثيرنا عرضة للخطأ والغلط، كما هو شأن غير المعصومين من البشر، فلهذا ندعو قراء المنار في كل عام، الى أن يكتبوا لنا بما يرونه فيه من الاغلاط والاهام، لنشره فيه، فيطلع عليه جماهير قارئيه، وانا ننتنى أن تؤلف لجنة من علماء الازهر، تقرأ مجلدات المنار التسعة عشر، وتحصي ما تراه من الاغلاط المتفق عليها، بقدر ما يصل اليه علمها وفهمها، وان تحرى في ذلك ما يليق بكرامة أهل العلم، من صحة النقل والتروى في الحكم، واجتناب الطعن والبذاء، والسخرية والاستهزاء، وانا نعد ذلك اذا سمعت اليه همه بمض الازهرين، أعظم خدمة للمنازل يخدم بها العلم والدين، ونعد بأن نشر لهم ما يكتبونه فرحين مغبوطين، مقرين بإيامهم

على ما نراه فيه من الصواب، مبينين ما نراه من الخطأ مع التزام الآداب،
وترديد عبارات الحمد والشكر، التي تبقى بقاء الدهر، ولثواب الله خير
للذين يصلحون في الأرض ولا يفسدون، والذين هم على البر والتقوى
يتعاونون (وَأَتَّكِرْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعَمْرِوفِ
وَيَتُوبُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)

وإننا على ضعف أملنا بتحقيق تلك الأمانة، واحتشانا لكل ما يكتب
بجهالة وسوء نية، ليحزننا أن يقوم في الأزهر بعض علمائه، ورئيس جمعية
من جماعاته، ينتقم من نقاضي بعض أصحابه، بأفراء الكذب عليه،^(١) ونسبة
ما ينقله عن غيره إليه،^(٢) وتحريف آيات القرآن، استدلالا بها على ما رماه
به من الكفر والنسرق والله صيان،^(٣) بذلك الكذب والبهتان، الذي زاد
فيه حتى ما نسقه إليه ذلك الضمآن، ونهنا لنكرم كلاما من المنار والأزهر
بعده ذكر اسمه، ونسب أن شـ إلى رشده ويقرب من إثمه، (٤٩: ٦٠)
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ
فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ كَارِهِينَ — يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُخَفِّرُ قَوْمٌ مِنْ
قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ، وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ
خَيْرًا مِنْهُنَّ. وَلَا تَمَرُّوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَلْسَمُ
الْفُشُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ، وَمَنْ أَمَّ يَتَّبِعْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)

كتبه مسير المنار : السيد محمد رشيد رضا

١٨٩١ هـ (١٩٧٠ م) صاحب المنار قال أن قوله عليه السلام من صلاة القرو ودوائه ليس بأجمع
الدين — وهذا كذب والبراء — وأدعى أنه تصور في حبه أن لا يترك كتب شعيل وهذا
كذب وفقرى أيضا (٢١) من أن صاحب المنار أقول أن من الأديان وفي الكفر من يحكم
على السارق بغير الحد الكافي وأن الأول من موقوف أسير لإيمان قول صاحبه بل مخالفة عا
(٣) استدلال آيات سورة المتجدة في النبي عن مولادة عدله الله عن سد ما يدل عليه
وأعمل ما يفيد به السورة من كونه فيمن قتلوا في الدين الخ

فَتَاوَى الْمَسْأَلَاتِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب إن شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

الرفيق الأبيض والأسود

(من ١) من صاحب الامضاء في قلوب

حضرة صاحب الفضيلة والارشاد وصاحب المنار المنير

تحية وسلاماً - وبعد أعرض على مسامح فضيلتكم المسألة الشرعية الآتية وأرجو نشرها في باب السؤال والجواب المفتوح في المنار المنير خدمة للشرع الشريف لآحرمتنا الله منكم وما هي :

ما قولكم دام فضلكم في مسألة الرفيق الأبيض والأسود ومسألة مشتراه في الزمن الماضي قبل مقاومة الحكومات لهذه العادة . وهل هذا البيع حرام أم حلال شرعاً - وما الفرق في الدين الاسلامي بين العبد والحر وما هي ميزة الحر على العبد في الدين . وهل سواد (العبد) من الاقليم القاطن فيه أو منحة إلهية للفرق بين الحر والعبد . وما يستحقه العبد في الميراث الشرعي اذا كان من والد حر وله أخوة

أحرار . وكيف كان البيوع في زمن الجاهلية وزمن النبي صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين وما هي حجبتهم في ذلك . نرجو الرد على هذه الاسئلة كما عودتمونا ذلك . ولفضيلتكم الشكر سلفا وفي الختام أهدي فضيلتكم أركي تحياتي وسلامي
كانه أحمد حسين فراج

بقيادة الدكتور محمد عبد الحميد بك الخصوصية بقلوب

(ج) الظاهر أن السائل يظن أن كل من كان أسود اللون فهو عبد رقيق وكل من كان أبيض اللون أو قريبا من الأبيض — كالأصفر والأسمر — فهو حر وأن الرقيق الأبيض عبارة عما هو معروف في القطر المصري من الانبجار بأعراض البنات اللواتي يحتويهن المشتغلون بهذه التجارة وهن صغيرات بضروب من الأغواء والحيل . والصواب أن الأصل الفطري أن يكون جميع البشر أحرارا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن العاص : منذكم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟ وإنما الرق أمر عارض أحدثه تحكم الأقوياء في الضعفاء . فكانوا يقبلون الأسرى ثم عطفوا عليهم فاستبدوا الاسترقاق بالقتل . وكان عاما لجميع أقطار الأرض الآهلة بالبشر . وقد أقرته الشرائع القديمة كلها حتى صار من شؤون العمران وضروريات الحياة الاجتماعية ، وقد جاء الإسلام وهو على هذه الحال فلم يكن من الحكمة أن يبطله دفعة واحدة كما أبطل الربا والفواحش والتبني إذ لو أبطله لتعطل كثير من أمور المعاش والأعمال فشرع الأحكام لازالة مفسده كإزالة العبيد وإهانتهم وتحميلهم من العمل ما لا يطيقون حتى نهى الشارع أن يقول الرجل عبدي وأمني ، وجعل العبيد اخوانا لساكنهم وأمر بأن يطعموم بما يأكلون وأوجب عتقهم في الكفارات وغير الكفارات من الأسباب المعروفة في كتب السنة والفقهاء ، وجعل العتق من غير سبب قرينة من أفضل القربات حتى إن من العتق ما يوجب الشرع بغير اختيار المالك ومنه أن من مثل بعبده بقطع عضو أو تشويهه أعتق عليه قال (ص) « من أطعم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه » رواه مسلم وأبو داود ومن حديث ابن عمر وقد عمل به ابن عمر . ورواها والترمذي عن سويد ابن مقرن قال كنا بيني مقرن ليس لنا على عهد رسول الله (ص) إلا خادم واحدة فاطمأ أحدنا فبلغ ذلك النبي (ص) فقال « أعتقوها » قالوا ليس لهم خادم غيرها

قال « فليستخذموها فإذا استنوا عنها فليخلوا سبيلها » وإنما أبهى أصل استرقاق الاسرى والسبي من الكفار في الحرب الدفينة مباحا لانه قد تقتضيه المصلحة حتى مصلحة السبي نفسه أحيانا . مثال ذلك أن تقتل رجال قبيلة في الحرب ولا يبقى منهم أحد يستطيع أن يقوم بأمر النساء والذراريء؛ اذ لم تكن الشعوب والقبائل في الازمنة الماضية ولا هي الآن كلها أيضا ذات دول غنية كدول أوربة وما يشبهها في النظام الاجتماعي، فإذا أخذ الغالبون السبي في مثل تلك الحالة وروبه على ما يوجبه الاسلام من الرق والتكريم وتسروا النساء حتى صرن أمهات أولاد لهم يعتقدون بمجرد موتهم - فلا شك ان هذا قد يكون خيرا لهم من تركهم هائمين على وجوههم . على ان الاسلام لم يوجب ذلك بل شرع لنا ان نمن عليهم باطلاقهم بلا مقابل كرما واحسانا وأن نفدي بهم أسرانا ان كان لنا أسرى عند قومهم، كما قال في سورة القتال (حتى إذا اتخمتهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء)

وإذا عرفت أصل الرق الشرعي علمت أن ما اشتهر عن النخاسين من شرائهم بعض بنات الشرك من آباء بن الفقراء ليمنهن في الآستانة وغيرها ومن شرائهم أو خطفهم لأولاد السودانيين أيضا - كله باطل ، فالأب لا يملك بيع أولاده . ومن دونه من الأقارب أولى بأن لا يجوز له ذلك، والمشتري لا مثال هؤلاء لا يملكهم شرعا . ويجب على الحكام ابطال مثل هذا الرق قطعا ، لما يترتب عليه من مفسدات التسري والتوارث وغير ذلك من الاحكام الباطلة

وأما سواد السود من الناس فهو من تأثير الاقليم كما هو مشهور وقد سكن كثير من العرب الذين يغلب عليهم اللون القهجي في البلاد الاستوائية وما يقرب منها فأثر ذلك في جلودهم حتى صاروا أقرب الى الزنوج منهم الى البيض ، وسكن كثير منهم في البلاد الشمالية الباردة وما يقرب منها فصار يبيضهم كياض أهلها

وأما الفرق بين الحر والعبد في الدين الاسلامي فهو انه لا فرق بينهما في الإيمان وتقوى الله تعالى والعمل الصالح وفضائل الدين وأدابه والجزاء عند الله تعالى وكمن عبد مملوك بقي خبر عند الله من الف حر ، ولكن المملوك لما كان لا يملك المال عند الجماهير ولا يملك التصرف في نفسه لتقيده بخدمة مالكه كان له بذلك أحكام

خاصة لا يحتاج السائل الى معرفتها كلها ، فنها ما هو تخفيف عليه ككونه لا تجب عليه
الجمعة عند الجهور خلافا للظاهر وقد توضح منه اجماعا . ولا الجهاد ولا الحج ، واذا حجب
باذن سيده أو معه صح منه ذلك وأثيب بقدر اخلاصه وقيامه بالمناسك على وجهها
ولا تجب عليه الزكاة لانه لا يملك المال ، ويترتب على عدم ملكه المال انه لا يرث
ولا يورث ، وحده نصف حد الحر ، ويترتب على عدم ملكه التصرف بنفسه انه
لا يلي الولايات العامة كالقضاء . ولا الخاصة كالنكاح والوصاية على البتيم . وكل مسألة
من هذه المسائل وأشباهاها مفصلة في كتبها وأبوابها من كتب الفقه . وفي بعضها
خلاف بين الفقهاء . وأما بيع الرقيق فكبيع غيره مما يملك ، وحسب السائل هذا
البيان المختصر .

﴿ العوام والخواص ﴾

(ص ٢) من الحاج عبد العزيز . ن و . في بلد جكجا كرتا (بجواه)
« نرجو من فضلكم ان ترشدونا في تعريف العام والخاص هل العام من لم
يعرف اللغة العربية في فصاحتها وبلاغتها ، والخاص من يعرفها ؟ أو من هم ؟
هذا — فالرجو من فضلكم أن لا تؤاخذوا بسؤالنا هذا ، لانه من مشكلات
أهلنا » الجاوا : اه بنصه)

(ج) العام اسم فاعل من العموم وهو الاحاطة والشمول والخاص اسم فاعل
من التخصيص وهو اصابة بعض الشيء . أو الافراد دون بعض . يقال نزل المطر
فسم الارض فهو عام أو خص بلد كذا فهو خاص . والسائل لا يسأل عن هذا
وتما يسأل عن معنى العامي والخاصي واحد العامة والخاصة . فالعامي هو المنسوب الى
عامة الناس أي سوادهم الذين لا خصوصية لهم فيهم ويقال لجماعتهم العوام ، والخاصي
المنسوب الى خاصة الناس وهم كبارهم وزعمائهم كالعلماء الاعلام وكبار الحكام وأهل
الفضل والجاه ويقال لجماعتهم الخواص . وعلماء اللغة العربية في جاوه يصح ان يكونوا
من خواص أهلها وأما كونهم هم الخواص وحدهم فلا يتحقق الا اذا كان أهل البلاد
يخصونهم بالاحترام والتكريم ويفضلونهم على سائر الناس ويعبدون من عداهم سواسية
لا فضل لاحد منهم على أحد ولا كرامة .

مقدمة لذكرى المولد النبوي

فيها بيان تاريخ الاحتفال بالمولد ومهمه شرعا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله ، وآله وصحبه ومن والاه
أما بعد فإن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف قد صار عادة عامة ، وقد
اختلف في كونها بدعة حسنة أو بدعة سيئة كما سيأتي، والمشهور أن المحدث لها هو
أبو سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين التركاني الجنس الملقب الملك
المعظم مظفر الدين صاحب إربل^(١) أخذها في أوائل القرن السابع أو أواخر القرن
السادس فإن السلطان صلاح الدين ولاء على إربل في ذي الحجة سنة ٥٨٦ هـ وتوفي سنة
٦٣٠ . وقد كان سخيا متلافا صاحب خيرات كثيرة، وكان ينفق على الاحتفال بالمولد
ألوقا كثيرة، ففي تاريخ ابن خلكان أنه كان ينصب له مقدار عشرين قبة من الخشب كل
قبة منها أربع طبقات أو خمس طبقات له قبة منها والباقي للامراء وأعيان دولته، وكانوا
يزينون هذه القباب في أول شهر صفر بأنواع الزينة الفاخرة، وكان يكون في كل قبة
جوق من الاغاني وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي ، بل كانوا
لا يتركون طبقة من الطبقات بغير جوق من تلك الاجواق . وكان الناس يتركون
كل عمل في تلك الايام فلا يبقى لهم شغل الا التفرج والدوران على القباب

قال ابن خلكان فاذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الابل والبقر والغنم
شيئا كثيرا زائدا عن الوصف ووزنها بجميع ما عنده من الطبول والاغاني والملاهي حتى
أتى بها الى الميدان ثم يشروعون في نحرها وينصبون القدور ويطحنون الالوان المختلفة

(١) إربل: بوزن لأمم وضبط في المتن بفتح الباء غلطاً

فاذا كانت ليلة المولد (١) عمل الدعوات بعد أن يصلي المغرب في القلعة ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير وفي جملتها شمعتان أو أربع - أشك في ذلك - من الشموع الموكية التي تحمل كل واحدة منها على بقل ومن ورائها رجل يسندنها وهي مربوطة على ظهر البقل . فاذا كانت صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة الى الخلقاء على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقعة وهم متابعون كل منهم وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا يحصى عدده .

ثم ذكر عرضه الجند وتوزيعه تلك الخلع بعد ذلك على الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء ومسد السباط . وكان قد ذكر قبل ذلك أن الناس كانوا يأتون هذا الموسم في اربل من بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد المعجم وتلك التواحي فلا يزالون يتواصلون من شهر المحرم الى أوائل شهر ربيع الاول

لخصت هذا من تاريخ ابن خلكان الذي وصف ما رآه بعينه لان ما يعمل بمصر الآن يشبه ما كان يعمل في اربل الا أنه دونه عظمة ونفقة فهنا تنصب قباب أو خيام النسيج الجميلة لعزير مصر ولوزارات حكومته وبعض الوجاه في دائرة واسعة ويختلف اليها الناس من أول شهر ربيع الاول يسمعون في بعضها وعظ الوعاظ وذكر أرباب الطرق المعروفة . ويرأس الاحتفال هنا شيخ مشايخ طرق الصوفية ، ويقوم بجانب خيمته مأدبة فاخرة في مساء اليوم الحادي عشر من الشهر يحضرها كبار العلماء وكثير من الوجاه ويكون الاحتفال الاكبر في الليلة الثانية عشرة في خيمته فيجتمع فيها من حضر المأدبة ويؤمها الامراء والوزراء حتى اذا ما انتظم جمعهم حضر عزير مصر بجانبه وقرأ بين يديه قصة المولد فيخلع على من يقرأها خلعة سفية ، وتدار بعد قراءتها كؤوس الشراب المخلت وصواني الحلوى الجافة . ثم يتصرف العزير الى خيمته وهي بجانب قبة شيخ الشيوخ فيمكث فيها ساعة زمانية يشاهد في أثنائها زينة الألعاب النارية، ثم يتصرف ويتصرف الامراء والوزراء ويظل الناس يطوفون على

(١) هي الليلة التاسعة من ربيع الاول على المختار عند المحدثين او ليلة ١٢ منه على المشهور عند الجمهور وكان مظفر الدين براعي الخلاف فيجعلها ليلة تسع في سنة وليلة ١٢ في أخرى

تلك الخيام المزينة بالانوار الكهر بائية وغير الكهر بائية عامة ليلتهم . وفي ضحوة ذلك اليوم بحضور نائب المزيقة شيخ الشيوخ فتعرض عليه مواكب الطرق الصوفية تقدم كل طريقة شيخها وهم يملأون أو يتلون الاوراد ويقف كل منهم امام شيخ الشيوخ قليلا فيحييه ثم ينصرف

وقد استحسّن جماهير المسلمين الاحتفال بالمولد في مشارق الارض ومغاربها ويحتمعون اقراء قصته في المساجد ومنهم من يجعل لها دعوة خاصة في البيوت ، وهذه لا تنقيد بجعلها في تاريخ الميلاذ النبوي ولكن أنكر هذا الاحتفال بعض العلماء وعده بدعة مذمومة لانه عد موسما وشعارا دينيا وعبادة غير مشروعة يظن العوام أنها مشروعة ولما يقترب به من المنكرات الاخرى . وقال بعضهم انه بدعة حسنة لانه عبارة عن الشكر لله تعالى على وجود خاتم أنبيائه وأفضل رسله باظهار السرور في مثل اليوم الذي ولد فيه وبما يكون فيه من الصدقات والاذكار ، وقد أرف الجلال السيوطي رسالة في عده بدعة حسنة في جواب من سأل عن حكمه شرعا وعرفه بقوله : هو اجتماع الناس وقراءة ما تيسر من القرآن ورواية الاخبار الواردة في مبدأ أمر النبي (ص) وما وقع في مولده من الآيات ثم يمد لهم سماطاً فياً كانوا وينصرفون من غير زيادة على ذلك . وذكر أن الحافظ ابن حجر سئل عنه فأجاب بقوله : أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها فمن جرد في عمله المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ومن لا فلا

ثم بين ان الحافظ خرج على حديث الصحيحين في صيام عاشوراء شكرا لله تعالى على أنجائه فيه موسى نبيه واغرق فرعون عدوه ، قال : فيستفاد منه الشكر لله على ما من به في يوم معين من اسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة ، والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة ، وأي نعمة أعظم من بروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم ؟ وعلى هذا فينبغي ان يتعمرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر ، وتوسع قوم فنقلوه الى أي يوم من السنة

وفيه ما فيه . فهذا ما تعلق بأصل عمله . وأما ما يعمل فيه فينبغي ان يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من الاطعام وانشاد شيء من المديح النبوية والزهدية المحركة للقلوب الى فعل الخير والعمل الآخرة ، وأما ما يقيم ذلك من السماع والابواب وغير ذلك فينبغي ان ما كان من ذلك مباحا بحيث يتعين للسرور بذلك اليوم لا بأس بالحاقه به وما كان حراما أو مكروها فيمنع وكذا ما كان خلاف الاولى اه .

وقد يقال لماذا لم يقيم بهذا الشكر أحد من الصحابة والتابعين ولا الائمة المجتهدين ولا أهل القرون الثلاثة الذين شهد الشارع لهم بالخيرية ؟ فهل كان صاحب اربل التركاني ومن تبعه أعلم وأهدى منهم وأعظم شكرا لله تعالى ؟ ويقال مثل هذا في تخريج الحافظ ابن رجب اياه على تعليل صيام يوم الاثنين بأنه يوم ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيأتي مزيد بيان لحجة المخالف

وخرجه السيوطي على أصل آخر استنبطه من تخرج شيخه الحافظ وهو ما رواه البيهقي من ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم علق عن نفسه بعد النبوة (قل) مع انه قد ورد ان جده عبد المطلب علق عنه والعقيقة لا تعاد مرة ثانية فيحمل ذلك على ان الذي فعله النبي (ص) اظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة العالمين ونشرع لآلته كما كان يصلى على نفسه لذلك فيستحب لنا أيضا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه الآيات واظهار المسرات اه

وهذا التخرج ضعيف من وجوه (أحدها) ان هذا الحديث منكرا كما قال راويه البيهقي بل باطل كما قال النووي في شرح المذهب (ثانيها) انه لو صح لكان دليلا على استحباب علق الانسان عن نفسه ولم يقل بهذا أحد (ثالثها) جعل قولهم ان العقيقة لا تعاد حجة على الحديث على تقدير صحته مع كون عبد المطلب علق عنه (ص) (رابعها) انه لو كان نشر بها عمل به الصحابة وغيرهم وقيل به أئمة الفقهاء أو من ادعاه منهم (خامسها) ان يوم البعثة كان أولى بهذا الشكر من يوم الولادة لان النعمة والرحمة انما كانت برسالة (ص) بنص قوله تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين)

وحجة المنكرين في هذا الباب أن كل بدعة دينية تعد من العبادات المحضة أو

تجمل من شعائر الدين فهي محظورة لأن الله تعالى أكل الدين وأجمعت الامة على أن أهل الصدر الاول أكل الناس ايماناً واسلاماً، وإن كل بدعة ليست من هذا القبيل كالمناقع الدنيوية والوسائل التي يقوى بها أمر الدين والدنيا كالمدراس والمستشفيات والملاهي الخيرية التي يثاب صاحبها بحسن نيته فيها فانها تعد بدعة حسنة، والتحقيق ان هذه لا تسمى بدعة شرعية وإنما بطاق عليها اسم البدعة لانه فلا تدخل في عموم قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث الصحيح عند مسلم « وشر الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » لان موضوع الحديث المحدثات في أمر الدين ، وانكنا تعد من السنن الحسنة في قوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » — الحديث (وهو في صحيح مسلم أيضاً) فقد رغب أئمة بهذا الحديث في الاختراع النافع لها في دينها ودنياها ولكن ليس لاحد ان يتخترع في الدين نفسه شيئاً .

ثم ان البدعة الدينية إما ان تكون اختراع عبادة أو شعار ديني لا أصل لها وإما ان تكون تخصيصاً لعبادة مشروعة بزمان معين أو مكان معين أو هيئة معينة لم يخصصها بها الشارع . ومن هذا النوع عند الفقهاء صلاة لرغائب في رجب وصلاة ليلة النصف من شعبان من البدع المذمومة . قال النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . وقد سمي الشاطبي هذا النوع بالبدع الاضافة وسمى النوع الاول البدع الحقيقية . وأطال في بيان ذلك في كتابه الاعتصام وفصله تفصيلاً

هذا وإن ما يعمد من الاحتفال بالمولد ليس عبادة مأثورة عن الشارع يؤتى بها على الوجه المشروع ولا هو عمل دنيوي محض بل يجمعون فيه بين عبادات يأتون بها أو يعضها على وجه غير مشروع ، وبين لعب ولهو بعضه مباح وبعضه محظور ، وقد كان يكون في احتفال القاهرة خيام برقص فيها النساء التهتكات مكشوفات الصدور والبطون كما يحصل دائماً في غيره من احتفالات الموالد — كالمولد الحسيني والمولد البدوي — وما هو شر من ذلك ، ولكن قد أبطل هذا كله من الاحتفال الذي يكون في القاهرة والله الحمد

وقد حاول من ذكرنا من العلماء تخريبه على أصل شرعي بإبطال ما يكون فيه من الازدواج والاعتصار فيه على عمل الخبر، ولولا تخصيص تلك العبادة بالزمان والمكان والصفات المخصوصة التي تشبه بها الشعائر والعبادات المشروعة وتانس بها لما احتج في تخريبه الى ما تكلفوه .

وأما اجتماع الناس في مثل القباب والخيام التي تنصب في العباسية ، وتزين بالمصابيح والانوار الكهربائية ، وإظهار البهجة والسرور ، بذكرى مولد ذي الضياء المعنوي والنور ، وذكر إخراج الله الخلق بهديه من الظلمات ، وما آتاه من الهدى والآيات ، فهو في نفسه من المباحات ، المقرونة بالمستحبات والمندوبات ، بشرط أن يتخلو من البدع والمنكرات ، وأن لا يبعد من الشعائر الدينية ولا من العبادات ، فإذا كان بحيث يظن العامة أنه مطلوب شرعا ، حرم فعله قطعا ، بل كان بعض الصحابة يتركون بعض المنونات ، لئلا تظن العامة انها من الواجبات ، ومن هنا صرح الشاطبي في الاعتصام^(١) بكون اتخاذ يوم ولادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عيداً من البدع . وأقوى ابن حجر المكي بأن القيام عند ذكر ولادته صلى الله عليه وسلم بدعة وذكر ان الناس يفعلونه تعظيماً وقال « فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص »^(٢) وقد علل فتواه بأن القيام يوم العامة أنه مندوب ، ويزاد عليه ان بعضهم يظن انه واجب ، وقد يعلل أيضا بأنه يفعل بهيئة العبادة لما يكون من الصلاة المخصوصة المعينة بالعدد في أثنائه . ولكن لم يأخذ أحد بهذه الفتوى ، فما زال العلماء يقومون كغيرهم ولم يزلهم رد الفتوى بدليل أرجح من دليلها ، وأمل أكثر العوام يعتقدون وجوب هذا القيام لا التزام العلماء وسائر الناس له ، ولو فطنوا ترك أحد له لعدمه فساقا متهاونا بالدين أو كافرا مارقا منه ، وأملك لو أقررت على جماعة العلماء الذين يحضرون قراءة قصة المولد تركه في بعض الاوقات ليعلم العامة أنه غير واجب لا تجزوا على ذلك . والحق ان قصد التعظيم هو الذي زين للعوام والخواص أمثال هذه البدع . فان من طباع البشر ان يبالتوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا . لان هذا التعظيم لا مشقة فيه على

النفس فيجعلونه بدلا مما يجب عليهم من الاعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له والقيام بالاعمال التي يقوم بها أمره ويعتز دينه ان كان رسولا، وبما كان ملكا. وقد كان السلف الصالح أشد من بعدهم تعظيما للنبي (ص) ثم للخلفاء، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذه السبيل، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللساني. ولا شك ان الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بكل تعظيم، وليس من التعظيم الحق له ان ابتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل لاجل تعظيمه به، وحين النية لا يبيح الابتداع في الدين فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وبحسن النية حتى صارت أدبياتهم غير ما جاءت به رسالهم، ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا وكما تساهل خلفنا الذين اتبعوا سننهم شبرا بشبرا وذراعا بذراع لضاع أصل ديننا أيضا، ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل فالواجب علينا أن نرجع إليه ونهض عابه بالتواجد، ويجب على العلماء ان يبينوا للناس الاحداث والبدع مخذرين منها، كما يجب عليهم ان يبينوا لهم القرائض والسنن مرغبتين فيها، والبيان يحصل بالقول والفعل والاقرار والترك كما ان التشريع حصل بذلك فقد كان (ص) يترك بعض سننه لئلا تفرض قال الامام الشاطبي في الاعتصام^(١): وقد ثبت في الاصول ان العالم في الناس قائم مقام النبي صلى الله عليه وسلم، والعلماء ورثة الانبياء فكما ان النبي صلى الله عليه وسلم يدل على الاحكام بقوله وفعله وقراره كذلك وارثه يدل على الاحكام بقوله وفعله وقراره، واعتبر ذلك ببعض ما أحدث في المساجد من الامور المنهي عنها فلم ينكرها العلماء وأعمالوا بها فصارت تعد سننا ومشروعات كزيادتهم مع الاذان « أصبح لله الحمد » الخ وقد أطل في هذه المسألة وبين مفاسد السكوت قبل هذه العبارة وبعدها ولا سيما عمل « الخواص من الناس بالبدعة عموما وخاصة العلماء خصوصا » وذكر في هذا السياق ان علماء الصحابة كانوا يتركون بعض السنن لئلا يظن الناس انها واجبة، ومن ذلك ان أبا بكر وعمر وابن عباس تركوا التضحية في عيد النحر لئلا يظن الناس انها واجبة^(٢) - على

٣٠ كلام الامام مالك في البدع . حكم قراءة المولد [المنار : ج ١ ص ٢٠]

ان بعض النقاد بعدهم قال بوجوبها - ونقل عن الامام مالك انه قال في الموطأ في صياح سنة أيام بعد القطر من رمضان انه لم ير أحدا من أهل العلم والمعرفة بصوابها - قال - ولم يبلغني ذلك عن أحد من السلف وان أهل العلم يكرهون ذلك ويجوزون بدعته وان يلحق أهل الجهالة والخفاء بمرض ما ليس منه لو رأوا رخصة من أهل العلم ورأوه يقولون ذلك اهـ وقد كان الامام مالك يعرف الحديث في صياحها وكلامه يدل على ذلك كما قال الشاطبي ولكن سند ذرائع البدع تقتضي ترك هذا المستحب، ومالك من أشد الائمة تشديدا في ذلك . ومما نقله عنه الشاطبي وغيره قوله : « من أحدث في هذه الامة شيئا لم يكن عليه سلفنا فقد زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الرسالة لان الله يقول (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فما لم يكن يومئذ دينا لا يكون اليوم دينا اهـ (١) وقوله عندما سئل عن القراءة في المساجد « لم يكن بالامر القديم وانما هو شيء أحدث ولم يأت آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولاها ، والقرآن حسن » اهـ (٢)

وجملة القول ان خلط العبادات الدينية بأحداثالات لزينة واللغو وحمل ذلك على واحدنا عن باعث ديني هو الذي يجعل مجموع تلك الاعمال من قبيل الشعائر الدينية ويوهم العوام ان تلك العادات - وكذا العبادات المتدعة في هيئتها وتوقيتها وعددها - من أمور الدين المشروعة بهذه الصفة ندبا أو وجوبا كما قال الفقيه ابن حجر في مسألة القيام عند ذكر ولادته عليه أفضل الصلاة والسلام وما يكون فيه من الصلاة المخصوصة كالقلبا وأما قراءة قصة المولد فهي عبارة عن قراءة شيء من الحديث والسيرة النبوية كما قال السيوطي ، ولكن كثيرا من الناس كتبوا (مولد) حشوها بالاحاديث الموضوعة والمنكرة وفي بعضها وصف النبي صلى الله عليه وسلم بما لا يليق كالتغرل بجذاله . وكنت منذ سنين أنفي لو يوجد بين أيدي الناس رسائل في هذا الموضوع تتحرى فيها الصحيح المفيد ، عسى أن يستبدل بها بعض ذلك الضار السيئ التأثير ، بيد أنني كنت أنحامي أن أكتب في ذلك شيئا باسم المولد لئلا أكون محدثا أو مساعدا أو مقرا لما لم يفعله السلف الصالح

ثم كان أن دعاني في خروعة ربيع الأول من عام ١٣٣٤ شيخ مشايخ طرق الصوفية بمصر السيد عبد الحميد البكري^(١) إلى مأدبة أعدها في داره وسماح قصة المولد بعدها فأجبت الدعوة، وتوصلت بها إلى تنفيذ تلك الفكرة، إذ كنت عشت من أحاديث جرت بيني وبينه أنه من محبي الإصلاح لطرق الصوفية وغيرها، وهناك كلته في قصص الموالد المشهورة ووجوب تغييرها فاستحسن ذلك، فقلت له أرايت إذا كتبت شيئاً في هذا الموضوع أنسبديل بهما يقرأ هتدك في الاحتفال الرسمي وغيره؟ قل نعم. فانتبهت هذه الفرصة لبيان الحق في هذه المسألة شكلاً وموضوعاً ثم شرعت في كتابة شيء من ذلك في ساعات المساء من النهار فأتممت في بضعة أيام متفرقة لم تتم أسبوعاً وكتبت أكثره في دار البكري وكنت أطلعه على ما أكتب فيسبر به، ولكنه جاء طويلاً لا يمكن أن يقرأ في الحلقة الرسمية كله، فاختصرنا منه نسخة قرئت في الحلقة الرسمية فكانت موضع إعجاب أهل الفهم والذكاء من الوزراء والكبراء وغيرهم من أهل الروية ثم أطلع على ما كتبت كله بعض أهل العلم ومحبي الإصلاح فرغبوا إلي في طبعه ونشره، ورأوا أنه من أحسن ما ينشر في هذا العصر لبيان حقيقة دعوة الإسلام وكتابات الدين وخلاصة السيرة النبوية، فشرعت في طبعه وزدت فيه عند الطبع حديث البعث وقصة الهجرة وما تلاها من الخاتمة ومسائل أخرى في أثناء الكلام. طبعته في المنار ثم جردته منه وطبعته على حدة، وحذفت مما طبع في المنار جملة وجيزة اقتبستها من (رسالة التوحيد) وزدت مسائل أخرى قليلة. فكان فوق ما كنت أقدر وأتوحي في هذا المقام، الذي اعتيد فيه الاختصار، فجاء كتاباً وجيزاً حاولت خلاصة الحقائق المتفرقة في أسفار التاريخ والسيرة النبوية، وكتب التفسير والحديث والعقائد الإسلامية، مبيناً لحنه الإسلام وحقائقه، وكتابات أحكامه وحقائقه، بعبارة بسيطة على الناس فهمها، ويتيسر لمريد الحفظ حفظها، وحروف مضبوطة بالحركات، وأسجاع غريبة متكافئات، فهو جدير بأن يقرأ في البيوت وفي المحافل، وبأن يلقي على أطلاب العلوم الدينية والدنيوية في المدارس، وإذا اكتفى سامعوه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فرادى ولم يرفعوا أصواتهم بصيغة مخصوصة في

(١) بيت البكري من أشهر بيوت مصر يتبعون إلى الصديق (رض) ولقبهم الحمد وولقب السيد كالمولين

أوقات معينة لا يكون في قراءتهم ولا سماعتهم له شبهة على الابتداع الحقيقي ولا الاضافي
طريقة اختصاره في القراءة

هذا — وان لمن يقرأه على الناس في وقت ضيق ان يختصر منه بعض الفصول
كفصل المجردة بطوله من منتصف الصفحة ٣٠ الى فصل أخلاقه وسيرته (ص) في الصفحة
٣٦ ويمكن ترك هذا الفصل أيضا الى انطاعة في ص ٤١ واذا كان المقروء عليهم
من الدوام فللأقارب ان يحذف مما يقرأ لهم بحث اصطفاء الله لقوته وقبيله وآل بيته
(ص) من أول الصفحة ١٠ الى نهاية ص ١٠ لان هذا البحث لا يفهمه حق الفهم ، الا
الخواص من أهل العلم ، وما زال كثير من الناس يستشكل ما ورد في الحديث
الصحيح من اصطفاء الله تعالى كنانة وقرشا وبني هاشم ، وحكمة جعل دين العلم
والمدنية ، على اسان نبي أمي بعث في أمة أمية ، ولم أر أحدا سبقني الى بيان مزاي
العرب التي أعدهم الله بها لهذه المنة العظيمة ، والله الحمد والمنة (رب أوزعني أن
أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذرتي
أني تبنت اليك واني من المسلمين) وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وآله
وصحبه ومن تبعهم في هديهم الى يوم الدين . وكتب هذا في ٥ رمضان سنة ١٣٣٥

محمد رشيد رضا

أغلاط طبيعية في الشكل ينبغي تصحيحها بالقلم

صفحة	سطر	خطأ	صواب	صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢	٩	إربل	إربل	١٣	١٨	الثانية عشرة	الثانية عشرة
٦	١٥	وخرافات	وخرافات	٢٠	٨	الوحي	الوحي
٧	٣	كان يمد	يمد	٢٤	١٦	أقرب	أقرب

(استدراك على الحواشي)

شاعر الانصار صاحب الايات المذكور بعضها في قصة الهجرة هو أبو قيس صرمة
ابن أبي أنس كان قد ترهب وفارق الاوثان واغتسل من الجنابة وهم بالنصرانية
فلما جاء الاسلام اسلم وهو شيخ كبير وله شعر كثير وعاش نحو ١٢٠

المسألة العربية

(مقالة لتاريخ)

الاسلام والجنسية العربية . ابراهيم الخليل عربي . الاخوتان الدينية والجنسية . اتفاق الاسلام والجنسية العربية . مصلحة المسلمين وغيرهم من العرب في تجديد الدولة العربية واحدة . مصلحة المسلمين الاعام ورأيهم في ذلك . استقلال لبنان لم تكن عقبة في طلب العرب للاستقلال . لم ينهض العرب للاستقلال في عهد عبد الحميد . انهم الحسد والالتكبر بالليل الى استقلال العرب . حال أمراء الجزيرة وزبدي اليمن وزعماء الولايات العربية في ذلك . الخلافة عند أهل الزبدي وأهل السنة . السبب الحقيقي لكون العرب وسكونهم هو الاسلام وأوربة . ازالة الاسلام لعمدية الجنسية . اجاع العرب على المحافظة على الدولة . أسهم منها . استقلال الحجاز . اتفاق الحقاء على استقلال الشعوب أو تفويض أمر حكمها اليها

إنني عربي مسلم أو مسلم عربي، فانا قرشي علوي، من ذرية محمد النبي العربي، الذي ينحني نسله الشريف الى اسماعيل بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام، وملكته الحنفية هي ملة جده ابراهيم، أساسها التوحيد الخالص واسلام الوجه لله تعالى وحده، (٢: ٢٩) ومن يرغب من ملة ابراهيم الا من حته نفسه — اقرأ الآيات الى قوله — ونحن له مسلمون) فاسلامي مقارن في التاريخ لعريقي — وان من الناس من هو أقدم نسا في الاسلام، ومن هو أقدم نسا في العربية، وهم من عدا الاسماعيليين من متقدمي العرب ومتأخريهم، وأما الاسماعيليون منهم فتاريخ عربيتهم واسلامهم واحد اذ من أول أب لهم في العرب مسلما، وقد يقال ان اسلامهم أقدم اذا كان ابراهيم (ص) غير معدود من العرب على ما هو المشهور في كتب التاريخ من أن أول العرب المستعربة اسماعيل (ص) وكانهم عدوه كذلك لانه ولد في بلاد العرب ونشأ فيها فلم يكن له لسان غير اللسان العربي . ولكن التاريخ يثبت لنا ان أباه ابراهيم (ص) كان يتكلم باللغة العربية، كما يؤخذ من التاريخ العربي والتاريخ المستنبط من الآثار القديمة، أما مأخذ ذلك من التاريخ العربي فهو انه أقام في بلاد العرب زمنا أقام فيه الدين وبنى البيت العتيق الذي هو أقدم بيت وضع لعبادة الله وحده في الارض، فمن البديهي انه كان يعلمهم الدين بلسانهم وبخطابهم به، وأما مأخذ ذلك من (العدد ١ ج) (٥) (المجلد العشرين)

الآثار القديمة المكتشفة في هذا العصر موضحة للتاريخ للقديم فهي أن علماء الآثار يبنوا لنا ان مدينة الكلدان كانت عربية وان (حمورابي) الذي كان ملكهم وصاحب شريعتهم في عهد ابراهيم (ص) كان عربياً، وقد اكتشفت شريعته في بلاد العراق منقوشة على عמוד من الحجر الاصم فكانت باللغة العربية لذلك الزمان. وقد جاء في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم عند أهل الكتاب ان حمورابي هذا كان في زمن ابراهيم، وانه كان يدعى ملك السلام وكاهن الله العلي؛ وأنه بارك ابراهيم وان ابراهيم أعطاه عشراً من كل شيء. (راجع تك ١٤ : ١٨)

قلت إتي عربي مسلم. فأنا أخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين من العرب وغير العرب، وأخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير المسلمين. أما دليل الاخوة الدينية فقوله تعالى (إنما المؤمنون اخوة) وأما دليل الاخوة الجنسية فالآيات المتعددة في سورة الاعراف والشراء المصرحة بكون الانبياء المرسلين أشوة لأقوامهم المشركين، ولما كان شعيب عليه السلام قد أرسل الى قومه أهل مدين وإلى أصحاب الايكة من غير قومه اختلف التعبير عنه فقد قال تعالى في سورة الاعراف (٧: ٨٤) وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) أي وأرسلنا إلى مدين أخاهم في النسب شعيباً الخ. وقال في سورة الشراء (٢٦: ١٧٦) كذب أصحاب الايكة المرسلين ١٧٧ اذ قال لهم شعيب ألا تتقون ١٧٨ اتي لكم رسول أمين) ولم يقل أخوهم شعيب كما قال في عاد (أخوهم هود) وفي ثمود (أخوهم صالح) — مثلاً — لانه لم يكن من جنسهم

واتي احمد الله عز وجل أن جعل مصلحة العرب السياسية في عصرنا موافقة لمصلحة المسلمين السياسية كما أيدته في هذه المقالة، ولو تمارضنا لقدمت ما يوجب علي ديني، على ما تقتضيه مصلحة أبناء جنسي، لآتي أرجو بدني سعادة الدنيا والآخرة، وأنا موقن بذلك، ولا أرجو بخدمة جنسي وحده الا الدنيا وحدها، وما أنا على يقين من إدراكها، على اني راض بما آتاني الله منها، أما وقد اتحدت بخدمة جنسي خدمة لديني ينفعني في الآخرة ان لم ينفعني في الدنيا، وأنا مؤمن بهذا وان كان يخفى على كثير من اخواني المسلمين

مصلحة العرب والمسلمين في الدولة العربية

إنما مصلحة العرب السياسية ان يكون لهم دولة مستقلة ، وهذا أمر بديهي لا يختلف فيه عاقلان ، فالعرب أمة من أقدم أم الارض وأعرقها في الاستقلال ، ذات مجد عظيم ، ومدينة عالة في التاريخ القديم والحديث ، ولمة متميزة في لغات العلم والادب ، وشريعة هي أعدل الشرائع المنزلة للبشر ، وقد ضمت هذه الامة الكريمة وضعت مزاياها ولقمتها ، وأهمل معظم شريعتها وكادت تفتى بفنائها ، كل ذلك لعدم وجود دولة مستقلة لها ، إذ يستحيل أن ترتقي أمة بغير دولة .

ان السواد الاعظم من العرب يدينون دين الاسلام ولغة العربية هي لغة هذا الدين فلا نصح لمسلم عبادة بغير هذه اللغة ، فبالدولة العربية نحيا لغة القرآن ، ونحيا بحياتها شريعة الاسلام . فمن البديهي اذاً ان يكون الخير كل الخير للمسلمين في هذه الدولة اذا وجدت ، وان عقلاء المسلمين من غير العرب يعلمون هذا ولكنهم يرونه الآن متعذرا أو متعسرا ، ويخشون كما كان يخشى مسلمو العرب ان يكون السيئ له مفضيا الى إضعاف الدولة العثمانية التي لم يبق للمسلمين دولة غيرها فيكون مثل الساعين كمثل من له دار تكتنه فهدمها لينفي خيرا منها فمعجز عن البناء وأسى في العراء معرضا لما يجني على حياته ، ولكن جمعية الاغرار المغرورين (جمعية الاتحاد والترقي) ما زالت تهدم من آمال العرب في بقاء الدولة وفي كون بقائها خيرا للاسلام والمسلمين حتى دعيتهم بل دعيتهم^(١) الى طلب لاصلاح في الجملة ثم الى طلب اللامركزية ثم الى استقلال الحجاز ، ولا يعلم غير الله ما تكون عاقبة ذلك ، لان العالم كله في طور تغير واقلاب مجهول ، ولكن ما علم قطعا ان ما حصل في بلاد العرب هو نتيجة طبيعية لسيرة الاتحاديين لم يكن في استطاعة أحد دفعه كما يعلم مما يأتي

وأما غير المسلمين من العرب فهم الآن كالمسلمين ليس لهم دولة ، ولا أن يكون لأبناء جنسهم دولة خير لهم من ان يكونوا تابعين لدولة أعجمية لا يشاركونها في النسب ولا في اللغة ولا في العادات والتقاليد ولا في الوطن الجغرافي^(٢) ولا في الدين ، ولا للدولة

(١) دعيتهم بتشديد العين دفعتهم بعنف

(٢) هذا الوصف احتراز من الوطن السياسي

أعجمية يشاركها بعضهم في الدين والمذهب أو في الدين دون المذهب دون سائر مقومات
الام ومشخصاتها وهم يعلمون أن الدين أو المذهب لا يجعلها على جعلهم مساوين لآباء
جنسها ووطنها وإن كانوا من غير أبناء دينها ومذهبها، ولا يضرهم أن تكون العربية في هذه
الدولة الاغلبية للمسلمين من أبناء جنسهم، فإن أفراد البشر وجميعياتهم يتألفون ويتعاونون
على مصالحهم بكثر ما يشتركون فيه من مقومات الام ومشخصاتها، وما يشترك
فيه المسلمون وغيرهم من العرب من المقومات والمشخصات كاللغة والعادات والآداب
والمصالح والمرافق الوطنية أكثر مما يشترك فيه غير المسلمين من العرب مع الافرنج
المواقفين لهم في الدين، بله الترك المخالفين لهم حتى في الدين، ودين الاسلام دين
مساواة في الحقوق وحرية تامة في العتائد، وقد ارتقى غير المسلمين في أرق دول
العرب الاسلامية مدنية الى أعلى المناصب، حتى كان وزراءهم وأطبائهم وزاحمون
الخلفاء العباسيين بالمناكب، وإذا كان لغير المسلمين أغلبية في بقعة من البلاد العربية
(كجبل لبنان) فانه يمكنهم أن يكونوا مستقلين مع ارتباطهم واتحادهم بالملكة العربية
فيها استقلالاً ادارياً واسعاً خبراً من الاستقلال الذي نالوه منذ نصف قرن

لونهض زعماء العرب الى السعي للاستقلال لما تعذر عليهم أرضاء اللبنانيين
منهم بذلك وإزالة جميع ما في البلاد من اسباب الخلاف. ولو تعذر عليهم أرضاء اللبنانيين
في اوائل العهد بالسي لما كان ذلك موجبا لتركه والياس منه. ولا اطيع في بيان
هذا وكشف غواشي الاوهام عنه لأنه يخرج بي عن المقصد من هذا المقال، واكتفي
منه بتذكير الملم بتاريخ سورية الحديث بتلك الحركة العربية التي حدثت في سورية
أيام كان مدحت باشا زعيم الترك الاكبر والبا عليها فانهم يتذكرون ان اللبنانيين
كانوا في طليعة العاملين، وبرهاننا على هذا قصيدتا اليازجي البائية والسبينة

لاجل هذا كان سكود العرب العثمانيين وسكوتهم في الاجيال الاخيرة التي
تحركت فيها عصبية الاجناس وهبت لطلب الاستقلال منارا لعجب من لم يعرف
سبب ذلك السكون من العقلاء،

انهم الترك للعرب

كان الترك يتهمون العرب بالميل الى الاستقلال دونهم والسعي لذلك وانه

لا يتمتعهم منه الا ضعفهم وعجزهم أمام قوة الترك . وقد ذكرت في مقالات (العرب والترك) التي كتبها في الآستانة ونشرتها في جرائدها ثم في المناراتي لا أهرف لهذه التهمة أصلا الا ما كان من اقتراء جواسيس السلطان عبد الحميد وطلاب المنافع عنده أو استقلال أوامه ، بل أقول ان هذه التهمة لم تكن معنونة في عهد السلطان عبد الحميد لان النهوض بأمر الاستقلال اما ان يكون من جانب الامة بما تتوصل به اليه من الجمعيات السياسية والمصائب المسلحة ، ولم تتصد الامة العربية لذلك البتة . وإما ان يكون من جانب الامراء المستقلين بالادارة في بعض الاقطار أو من دونهم من الزعماء أصحاب العصبية ، ولم نعلم ان أحدا من أمراء جزيرة العرب أو من الزعماء في الولايات العربية العثمانية كان مظنة أو موصفا لهذه التهمة اذ لا توجد شبهة يمتد عليها في ذلك . الا ان المفسدين كانوا يتهمون خديو مصر عباس حلمي باشا بذلك فكان 'يسمع لهم لان مصر بلاد عربية غنية بالمال والرجال وقد تصدى رأس حكومتها الاخيرة (محمد علي باشا) لحرب الدولة العثمانية فقهرها واستولى على سورية والحجاز وتوغل في الاناضول ولولا الدولة الانكليزية لاستولى على سائر مملكته ، ولكن عباس حلمي باشا لم يكن ليطمع بمثل ما طمع به جده الاعلى ، بل ولا بمثل ما كان يطمع به جده الادنى (اسماعيل باشا) من الاستقلال السياسي بمصر والسودان فقط لكان الاحتلال الانكليزي الذي جعل السلطة الفعلية في مصر بيد انكلترة دونة ، ولهذا كان الموسوسون والجواسيس يزعمون أنه على اتفاق مع الانكليز في هذا الامر ، وكان كثير من المصريين وغيرهم يصدق ذلك ، ومنهم من لم يرجع عن هذا التصديق الا بعد نشر كتاب (عباس حلمي الثاني) لورد كرومر اذ صرح فيه بأن حياة عباس مع الاحتلال كانت حياة خلاف وشقاق لا يرجى معه اتفاق .

ان المطالعين على الحقائق يعلمون علم اليقين ان عباس حلمي باشا ما كان يسعى لهذا الامر ولا برجوه ، على انه كان يعلم انه لا سبيل له اليه لو تصدى له ، ويعلمون ان من سياسة انكلترة التقليدية بقاء ما للترك من السلطان والسيادة على بلاد العرب وترجيح ذلك على تأسيس دولة عربية جديدة ، وهي لم تنجح الى سياسة المعطف على العرب واظهار الميل لمساعدتهم على الاستقلال الا بعد وقوع الحرب بينها وبين الترك بمدة طويلة .

أما أمراء جزيرة العرب فقد كان كل منهم راضيا بحاله ولم يكن يخطر ببال أحد منهم أن يعتدي على الدولة فيها وواحدود امارته ولا أن يسعى لذلك بالاتحاد مع غيره، كما أنه لم يكن يسهل على أحد منهم أن يعتدي الدولة على استقلاله أو تحدث في بلاده حدثا ما، لما استقر في أنفسهم من غريزة الاستقلال الموروثة في الامة العربية مع عدم ثقة أحد منهم بأن الدولة تقيم شرع الله في بلادهم، على أن للزيدية دولة أقدم من الدولة العثمانية مازالت تنصب الأئمة من قریش عليها ويعتقدون أن الترك من البغاة الخوارج على الامام الحق، وأهون اعتقاد سائر عرب الجزيرة في حكم الترك أنهم ظلمة فسقة مبغضون للعرب. ولكنهم مع ذلك يحبون بقاء الدولة ويتمنون لها القوة والعظمة لأجل صد الافرنج عن البلاد الاسلامية. وقد كان رجال الدولة في العهد الاخير يعتقدون أن الشيخ مبارك الصباح من أشد العرب عداوة للدولة ولكنني لما لقيته سنة ١٣٣٠ منصرفي من الهند أخبرني بما اتقنه من عدوان الدولة عليه وتصديها لنفيه من الكويت وإن أنكترة منعها من ذلك بدون طلب منه وأنه مع ذلك يحافظ على نسبه اليها ورافع لعلها باختياره ولو شاء لاستبدل به غيره. ومن كلامه في الترك والعرب « نحبهم ولا يحبونا »

وأما كبراء العرب في ولايات سورية والعراق من العلماء والوجهاء فقد كانوا أشد تعصبا للترك من الترك أنفسهم حتى كانوا يفضلونهم على العرب ويسترون ما يعرفون من سيئاتهم، ويكبرون الصغير من حسناتهم، بل يذكرون لهم فضائل ومناقب لا يعرف لها أصل، منها أنهم يعدون بعض ملوكهم من الاولياء ومؤرخو الترك يعدونهم من الفساق. ومما كانوا يذيعونه بين العامة أن الشيخ محيي الدين بن العربي والشيخ عبد الغني النابلسي قد علما بالكشف أن ملكهم يبقى الى قيام الساعة.

تلك حال كبراء البلاد وخاصتها والعامة تبع لهم، لم يسمع لاحد منهم نبأ ظاهرة ولا دعوة خفية الى عداوة الترك أو القيام عليهم أو الاستعداد لتأسيس حكومة عربية تستقل في البلاد، اللهم الا ما كان قد قيل من أن شيعة الماسون كانت تسمى لجل الامير عبد القادر خديويا لسورية، وما قيل في عهد ولاية مدحت باشا على سورية من انه كان هو الذي يسعى لجمع كلمة المسلمين وغيرهم للاتفاق على

تأسيس اماره عريه في سوريه كالاماره المصريه يكون هو الحديو عليها ، ومن أن
رسمه باشا متصرف لبنان الاجنبي الاصل كان هو الذي كشف للدولة دسيسه
شيخ احرار الترك وزعيمهم الاكبر ، وترتب على ذلك اخراج السلطان عبد الحميد
لمدحت باشا من سوريه ، وقيل ان تلك الحركة كانت مدبره بدسائس الاستانة
ليتوصل السلطان بها الى نفي مدحت باشا ثم القتلك به . وفي تلك الاثناء نشرت
قصيدتنا الشيخ ابراهيم اليازجي السيفيه والباثيه (راجع ص ٨٣١ م ١٢)

ولما كنت أنشر في الاستانة مقالات (العرب والترك) وأشرت فيها الى هذه
المسأله جرى بيني وبين الصدر الاعظم حسين حلمي باشا حديث في هذا الموضوع
قال لي في أثناءه انه أقام في سوريه عدة سنين أيقن في أثناءها بأنه لا يوجد فيها أحد
من وجهاء المسلمين يكره الدولة الا بعض الافراد من بيت المؤيد ومن بيت الصلح،
ومائر الوجهاء مخلصون للدولة كغيرهم . ولا أدري من غنى بقوله ذلك . ولم أعلم عن
أحد من المعاصرين لنا من أهل هذين البيتين شيئا يبين المراد لنا من قوله ، الا أن
أحد أفراد البيت الاول كان قد جاء مصر في أوائل عهد مجيئي اليها وأسس جمعية
دينيه يشترط في أعضائها ترك المحرمات والمحافظة على أداء الفرائض وقد ساعدته
على ذلك ولم أكن أسمع منه كلمة تشعر بأن له غرضا سياسيا منها وقد أفادت الجمعية
فائدة دينية ظاهرة ، ثم انشق عنها عضو مصري تركي الاصل زاعما ان للمؤسس
غرضا سياسيا منها وتبعه على هذا جماعة من أعضائها في القاهرة صاروا يلفطون بذلك .
ثم ان المؤسس سافر الى الاستانة ثم عاد الى سوريه وأقام فيها . ولو صدق السلطان
عبد الحميد انه كان يسعى الى تلك الغرض السياسي لما أفلت من قبضة انتقامه .
وانما اتهمه بعض الناس بأنه تعمد القاء كلام لا أولئك اللاغطين ليشتهر ويوصله
الجواسيس الى السلطان

هذا كل ما نعلم عن سوريه في هذا الامر . وأما العراق فقد قيل ان السيد
سلطان القادري تقيب بغداد كان يسعى الى تأسيس حكومة عريه وأن طلب السلطان
عبد الحميد من القادري تقيب بغداد كان يسعى الى تأسيس حكومة عريه وأن طلب السلطان

من الاجناس الذين تتألف منهم المملكة العثمانية انهم فازوا بما جاهدوا في سبيله الى أن قلب لهم المتعالمون على جمعية الاتحاد وعلى الدولة ظرو الحزن وأوقعوهم في هوة اليأس من الدولة

السبب الصحيح

تبين مما شرحناه من الحقائق أن عدم تصدي العرب لانشاء دولة جديدة لم يكن سببه الخوف من قوة الدولة كما كان يتوهم الترك فإن العرب أقوى من اليونان والبلغار وغيرهما من الشعوب التي انفصلت من السلطنة العثمانية وصارت دولاً مستقلة، ولم يكن سببه تفرق العرب وأعداء اتفاق امرائهم وزعمائهم كما يتوهم الكثيرون منهم ومن غيرهم فلو وجد هذا القصد لكان هو الجامع لهم، ولا الجبل الضارب بجرانه في البلاد العربية فإن محد على الكبر لما غزا الدولة وكاد يقتحها كلها لم يكن من علماء السياسة والاجتماع ولم يكن الشعب المصري على درجة عالية من العلوم والفنون التي تدفع الشعوب الى الفتح والاستعمار

وانما كان السبب الصحيح انكساره العرب وسكونهم عنه طام استغفر لهم وتجزير دولتهم هو الاسلام وأوربه

دين الاسلام وسياسة دول أوربة سببان مستقلان أو سبب واحد مركب لكل من جزئية تأثير خاص في صرف العرب العثمانيين عن السعي للاستقلال، ولعله لو انفرد أي منهما لما صرفهم كلهم عن كل سعي والتعداد لذلك

أما الاسلام فقد أزل من أنفس العرب غصية الجبنية الا من غلبت عليهم البداوة فأنهم بما توارثوه من الفرائض والاخلاق لا يخضعون الا لسلطة رؤسائهم الذين من أبناء جنسهم بل من رؤساء عشائهم. وأما من غلبت عليهم الحضارة فزالوا يأفنون سلطة الاعاجم من الملوك والالاطين الذين يتولون أمرهم من قبل الخلفاء العباسيين ويحكمون بشريعتهم ويؤيدون اقتهم ويتركون لغاتهم اليها الى ان هان عليهم الخاضوع لسلطة الاعاجم المهرين على أعجميتهم الذين لا يستمدون سلطتهم من خليفة قرشي عربي وهم الترك، بل هان عليهم ادعاء هؤلاء الاعاجم للخلافة

النبوية وروضوا بذلك واطمأنوا له لانه مع اشرافه على مجموعهم المتفرق من شاهق القوة العسكرية، قد أطل على قلوبهم من سماء الفتاوى الشرعية، وتسرب الى أفكارهم من باب المصلحة الاسلامية، ذلك بأن أكثرهم من المنتهين الى مذاهب علماء السنة الذين يوجبون طاعة المتغلب بالقوة، وان لم يكن حائزا لقب الاسلام من شروط الخلافة الشرعية، ومنها النسب القرشي باجتماعهم، ومستندهم في ذلك رعاية المصلحة الراجحة وخوف الفتنة. على انهم يختلفون في عد رعاية المصلحة حجة، أو دخاله فيما ذكره للقياس من مسالك العلة، ويختلفون في سد الدرائع أيضا. ولما كانت الزيدية لا تقول بطاعة المتغلبين، ولا بمصلحة تبيح ترك اشتراط النسب القرشي العلوي وشرط العلم الديني في أئمة المسلمين، (أي الخلفاء) لم يخضعوا لسلطان الترك ولا دانوا لحكمهم، بل ظلوا ينصبون الأئمة الحائزين للشروط الشرعية في مذهبهم، ويقاثلون الترك الذين يتصدون لفتح بلادهم، ولم تستطع الترك ان تغلب أئمة اليمن على أمرهم، بل صالحوا إمامهم الامام يحيى منذ سنين قليلة وأقرره على امامته في قومه ووطنه بعد أن حاربوه وحاربوا سلفه أربع مئة سنة، على ان الامامة لا تتجزأ ولا تعدد. ولحق ان الباحث الاخير لاعتراف أكثر المسلمين بخلافة سلاطين الترك هو كونهم أمسوا حصنا لبقية البلاد الاسلامية في وجه أوربة

وليس من غرضنا هنا أن نبحث في الخلافة وشروطها وانما بحثنا هذا تاريخي اذا ذكرت فيه مسألة شرعية فانما تذكر على سبيل الاستطراد مختصرة بقدر الضرورة، ولم تكن مسألة الخلافة من مواضع بحث طلاب الإصلاح من العرب في السنين الاخيرة خلافا لواهام الواهين التي أثارها في مخيلاتهم لفظ بعض الكتاب بها في عهد السلاطین عبد الحميد لاجل استقلال وساوسه كما تقدم حتى صارت حكومته تمنع نشر كل كتاب من كتب الكلام والعقائد والحديث والتفسير تذكر فيه هذه المسألة. ومن أثر ذلك انه لما طبع كتاب المسيرة للكمال ابن الهمام وهو من أهم كتب العقائد عند الحنفية وكثير الزواج في الآستانة اضطر طابعه بمصر ان يطبع منه نسخا حذف منها بحث الامامة (الخلافة) لاجل بيعها في الآستانة وسائر البلاد العثمانية. وصار بعض الجاهلين في مصر يظنون أن ذكر الشروط الشرعية للخلافة ولا مباشر شرط النسب القرشي لا يصدر الا من عند

للدولة وللإسلام أيضا، على أن هذا الشرط مذكور في الكتب العربية والتركية التي طبعت في الآستانة قبل تشديد الحكومة الجديدة في مراقبة المطبوعات وقد ذكر في بعض الكتب المصرية التي طبعت بعد الدستور ومنها كتاب لاسماعيل حقي بك بإبان الاتحاد الذي كان مدرسا في مكتب الحقوق وصار ناظرا للمعارف

تكوين الترك للعصبة العربية

فهذا وجه صد الإسلام للعرب عن محاولة الاستقلال دون الترك ، وقد قلت مرارا انه لا يقدر أحد على إعادة هذه العصبة الى العرب أو إعادتهم اليها بعد ان أهدم الإسلام عنها الآستانة أو تحامل الترك عليهم ببعث العصبة التركية. (١)

وقد صدق الزمان هذا القول . وأسس الاتحاديون بعصيتهم التركية واضطهادهم للعرب بناء العصبة العربية أو أحبوها بعد موتها . فان هؤلاء الاتحاديين قد تفرسوا برجالات العرب وشبائهم في الآستانة وغيرها فعملوا من أقوالهم وأفعالهم في دور الحكومة الرسمية ومدارسها وأندية الجمعية في البلاد العربية أن عزمهم على تترك الغرب كثيرهم بالقوة عزم ثابت لا يرجعون عنه وأنهم جازمون بسهولة تترك بلاد سورية والعراق في سنين معدودة وما يعسر تتركه الآن من جزيرة العرب بعد من المستعمرات يوضع له قانون خاص لادارته ولا يكون لاهله مالمساثر العنانيين من الحقوق المنصوصة في القانون الاسامي . وقد أرسلوا طائفة من طلبة الترك الى أوربة لاجل درس قوانين الاستعمار

بهذا علم نبياء العرب أن أمتهم واقتمهم عرضة للزول من المملكة العثمانية — ولا يجهل أحد ان الدين الاسلامي يقوى بقوة لفته العربية ويضعف بضعفها ولا تقول أكثر من ذلك -- فتوجت قلوب كثير منهم اندارك الخطب وأفلوا بعض الجمعيات لذلك ورأى الذين يتعرون هدي الإسلام في أعمالهم أن ما كان مانعا من إحياء الجنسية العربية قد زال وخلفه المقتضي لحياتها، فقد كان المانع من ذلك اتقاء الشقاق

(١) أذكر أنني كتبت هذا غير مرة في المنار والكنني لا أتذكر من مواضعها الا ما في ص ٢٥٢ و ٢٥٣ من المجلد الثالث عشر والعبارة فيه تدل على أنها مسبقة، والا ما في ص ٨٠ من المجلد التاسع عشر

بين العرب وترك واقضاء ذلك الى زوال الدولة واستيلاء الاجانب على بلادها ، وقد وقع ذلك من قبل الاتحاديين أي من قبل الدولة نفسها لاهما في قبضتهم فلا معنى لانتهاه وقد حصل ، وخلفه مقتضى لاهيا هذه الجنسية وهو وجوب المحافظة على ائمة الحرية والامة الحرية شرعا . ولكن هذا قد يحصل بما دون استقلال العرب بأنفسهم دون الترك وان كان حصولا ضعيفا فلم يكن باعثا على السعي الى تأليف دولة عربية بل الى طلب اصلاح اضرب في تحديده أفرادهم وجماعاتهم وكان حزب اللامركزية أقصدها وأشدّها اعتدالا

وما كان يخفى على أحد من هؤلاء أن مطالبهم مطلقة بين الرجا والياس وان الحياة إنما هي حياة الاستقلال لأنحيا ائمة ولا ترقى الامة بدونها ، ولكن دونها خطر التصادم اذ لا تحصل الاثورة يصطدم بها الترك والعرب اصطداما يخشى أن يضعف الفريقين وينتهي بزوال الدولة وانقسام أوربة لبلادها . ومن ذا الذي يقدم على حل هذه الائمة التبعة التي تنط من حلها الجبال الرواسي ؟ أيجمل أحد من طلاب الإصلاح العرب أن هدم آخر سلطة اسلامية مها يكن سبه الحامل عليه لا يفتب الساعي اليه والقائم به الا لمن ثبات الملايين من المسلمين الى يوم الدين ؟ لهذا أجمع طلاب الإصلاح من العرب الذين يستد برأيهم ، ويرجى تأثير علمهم ، على ان لا يكونوا سببا لسقوط الدولة وزوالها . ولا يسوا الى ضررها ولا الى اضافها ، وعلى أن يجلبوا همهم في اصلاح أنفسهم ، وعارة بلادهم ، مع النصع للدولة والاختلاص لها ، وطلب حقوقهم التي أثبتها لهم القانون الاساسي فيها ، ليرتقوا ويمتروا بأنفسهم فلا يسقطوا مع الدولة ن سقطت وموتت الدولة وترتق بارواحهم ان يقيت وأن يكون جلّ سعيهم الى ذلك في مجلس الامة بواسطة مبعوثهم ثم طرا على بعضهم اليأس من بناء الدولة وقوي ذلك وكثر التفكير في عراقه عند منقلب البقانون الدولة في الحرب وكانت دولة البشار التي تم لها استقلالها في عهد الدستور تسترلي على الآسنة ، وتحدثت جرائد أوربة بمحقوق بعض الدول الكبرى في بلاد الدولة ونس بالذكر بعض الولايات العربية ، وطقق المنكون يتلجي بعضهم بشا : ملحياتنا اذا أقضت دولة قوية على الاستيلاء على بلادنا كما استولت

إيطالية على طرابلس الغرب وبرقة وليس فيها شيء من أسباب الدفاع ولا يمكن الدولة ولا مصر أن تساعداه على مقاومة المحتلين كما ساعدتهما ،

صدعهم هذا اليأس بعد أن قوي رجاءهم في الدولة بانتصار حزب الحرية والائتلاف على حزب الاتحاد والترقي وانتزاعه السلطة التنفيذية من يده ، ثم قوي ذلك اليأس واشتد بشوة الاتحاديين على وزارة كامل باشا وقتلهم لناظر الحرية في الباب العالي وتأليف وزارة جديدة منهم بقوة الثورة ، ولولا أن زعماء العرب كانوا مجمعين على المحافظة على الدولة مهما تكن حالها ، لبادروا عند ذلك اليأس الشديد إلى اضرام نار الثورة على الدولة والجهر بالاستقلال دونها ، لعلهم بأنه لم يبق عندها في ذلك الوقت سلاح ولا ذخيرة تدافع بهما عن عاصمتها ، فكيف تقدر على مجريد عسكر يخمد نيران الثورة في البلاد البعيدة عنها ؟ ولكنهم لم يفعلوا ، ولم يكن الاسلام هو المانع لهم من التصدي لتأسيس دولة عربية وهم يائسون من بقاء الدولة التركية ومن اقامتها للاسلام أن بقيت والاتحاديون غالبون على أمرها ، فإن افتاء مذهبهم بوجود طاعة المتقلب خوف الفتنة التي ترجح مفسدتها على المصلحة لم يعد ينطبق على حالتهم مع الدولة ، ولكن المانع الحقيقي هو الخوف من أوردية أن تقتسم الفرصة وتستولي على البلاد فحين بهذا أن ما كان يصعد زعماء العرب من المسلمين عن التصدي لتأسيس دولة عربية أمران : الاسلام والخوف من أوردية ، وكان الرجحان في بعض الاحوال للاول وفي بعضها للثاني ، ولكنهما كانا في عامة الاحوال والافاق مانعا واحدا أو شيئا واحدا مركبا من أمرين كل منهما يقوي الآخر

وبعد حرب البلقان أقدمت الحكومة الاتحادية على عقد الاتفاق بينا وبين الدول الكبرى على الاعتراف لها بالنفوذ الاقتصادي في أعظم الولايات العربية ليقرضها عشرات الملايين من الجنيهات ، وصرح بعض كبار السياسيين في جرائد أوردية بأن مناطق النفوذ الاقتصادي تتحول إلى مناطق نفوذ سياسي عند سنوح أول فرصة لذلك ، فثبت عند زعماء العرب أن الاتحاديين شرعوا في تنفيذ ما هددوهم به من ييم بلادهم وترقية الترك بشمها كما فعلوا ببيع طرابلس الغرب وبرقة ، فاشتدت عندهم على طلب الإصلاح وحقدوا المؤتمر العربي في باريس لذلك فذهبت الحكومة

الانحدادية وطلأت الى الحيلة والحداع لضعفها في ذلك الوقت وكان من أمر نتيجة المؤتمر ما هو معلوم من اعتراف جمعية الانحداد ثم حكومتها ببعض حقوق العرب في الدولة ووعداها باعطائهم تلك الحقوق بالتدريج وخداعها للسيد عبد الحميد الزهراوي رئيس المؤتمر وتصديقه اياها بما وعدت به

الحرب الاوربية واستقلال الحجاز

ثم ظهرت بوادر الحرب الاوربية وعزم الدولة على الدخول فيها فبادرت الى كتابة مقالة نصحت فيها لائتوني العرب بالكف عن طلب لاصلاح في حال الحرب وتأنييد دولتهم بالاجماع فكان لها تأثير عظيم. ولكن لانحدادين لما دخلوا في الحرب وجعلوا الاحكام في المملكة عسكارية عرفية جعلوا ذلك وسيلة للتكيد بالعرب والارمن حسب خطتهم المقررة منذ سنين فصلاوا في سورية جميع من عرفوا من المطالبين بالاصلاح من نابي العرب ونفوا من البلاد ارباب البيوتات والنزوة الكبيرة وصادروا اموال الناس وغللات ارضهم، وفعلوا مثل ذلك في العراق، ثم تخرجوا بالحجاز فبادر الشريف امير مكة المكرمة الى اعلان استقلال الحجاز بعد النصح لجال باشا الحاكم العسكري الانحدادي المطلق في سورية والحكومة الاستانة بالكف عن الغطاء في سورية والعراق فلم يقبل نصحه، وانتهى أمر الشريف باعتراف دول الحلفاء باستقلاله التام وبما بايعه به أهل البلاد من جعله ملكا عليهم

وقد نشر الشريف قبل المبايعة منشورا بين فيه سبب قيامه مع الحجازيين بما قاموا به فقمنا منه انه كان موافقا لما أجمع عليه من دولته من زعماء العرب من الرغبة في المحافظة على بقاء الدولة واتقاء ان يكون زوالها أو ضعفها من قبل العرب، فان استقلال الحجاز الذي أمتجته الضرورات لا يمكن ان يكون سببا لزوال الدولة وهي داخلة في أحد الحلفين اللذين اتقسمت اليهما دول أوربة الكبرى. فان النصر لأحد الحلفين على الآخر انما يكون بانتصاره عليه في أوربة، واستقلال الحجاز لا يقدم في ذلك ولا يؤخر، ولكنه افاد العرب فوائد عظيمة فصدق عليه قولنا إما ان ينعم نفعنا كبيرا أو صغبرنا وإما ان لا يضر. وقد ثبت عندنا ان استقلال الحجاز كان سببا لكف الانحدادين عن محاولة ابادة العرب من سورية والعراق الآن وتخفيف ما كانوا شرعوا

فيه من المذايح والفضائم وكان هذا من أجل منافعه التي تربي على ما ترتب عليه من سفك الدم الذي اجتهدت الحكومة العربية الحجازية في اجتنابه بقدر الطاقة

عاقبة العرب استقلال الشعوب

ثم طرأ بعد استقلال الحجاز أن أعلن دول الاحلاف أنهم قد اتفقن على حرية الشعوب واستقلالها في أمر حكومتها وذكروا العرب والارمن منها. وهذه قاعدة عادلة عظيمة الشأن اذا نفذت على وجهها الصحيح وكانت الدول كلها متضامنة في حفظها بما يتعاهدن عليه في مؤتمر الصلح، وأولها بعضهم بمعنى أن لا يحكم شعب الا بالطريقة التي يختارها لنفسه، ولكن الوقوف على آراء الشعوب المغلوطة على حريتها متعذر في هذه الاوقات التي نخضع فيه للاحكام العسكرية، وقد علمنا من فر من سورية والعراق الى مصر والحجاز ومن أسراهم بمصر ان العداء بين العرب والترك قد عم وتمكن فلا مطمع في زواله ولم يبق في العرب من لا يرغب في الاستقلال دون الترك. ومن البديهي انه لا يوجد شعب في الدنيا يختار على الحرية والاستقلال شيئا إذا تسراله، ولكن يوجد في كل أمة أفراد من عبيد المال، ومن الجاهلين الذين يخدعون بزخرف الاقوال، فيمكن أن يستخدم من هؤلاء وأولئك بالترغيب والترهيب طائفة تقول ما تؤمر أن تقول، ولا يمكن أن يكون اختيار هؤلاء للعبودية بقسميتها بغير أسمها حجة على الشعب، ولكن القوة تحتاج على الضعف بما تشاء، وانما يعرف رأي الشعوب في بلاد الحضارة من قبل أحزابها السياسية، وليس للشعب العربي الصنائي حزب سياسي عام. لا (حزب الامركزية) ويمكنه أن يبين رأي الشعب ان استطاع زعماءه أن يعبروا عن آرائهم، وله جمعيات موضعية خاصة كجمعية الاتحاد اللبناني بمصر وأمريكا والنهضة اللبنانية في أمريكا فهي تمثل آراء جمهور اللبنانيين. والدول اذا أخلصت في تنفيذ هذه القاعدة تقررها وعند ما يجتمع زعماء كل أمة تنال استقلالها جديدا لتأسيس حكومتها العليا يعرف رأيهم في شكلها، ولا يعرف معرفة صحيحة بغير ذلك. فاذا انتهت الحرب بذلك كانت عاقبتها على البشر خير العواقب. والله الموفق

مسألة استقلال الشعوب

نشر النظم في العدد الذي صدر منه في ٢٣ شبان (١٣ يونيو) مقالة عنوانها (الصالح الدائم وكيف ينال) قال فيها ما نصه :

وضعت روسيا للديمقراطية على بساط البحث مسألة الغرض من الحرب الحاضرة في أواسط الشهر الماضي فحملت الدول المتحاربة على اعلان قصدتها وغايتها وحثت الامم الكبيرة والصغيرة على بسط آمالها وأمانها، وكانت روسيا أولى الدول التي أعلنت غايتها، من الحرب فقالت انها لا تنوحي ضم لاملاك وتقاضي الغرامات الحربية ون غرضها الاساسي الوحيد انما هو ابرام صلح وطيد للاركان على أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة وتحقيق آمالها القومية العادلة ونحوها حقاً من أقدم حقوقها وهو ان تحكم نفسها بنفسها وتختار شكل الحكومة التي تلائم أخلاقها وعاداتها . وقام السيوريو بعد ذلك فأعلن رغبة فرنسا في ابرام صلح عادل أساسه استقلال العناصر . ثم وقف في مجلس النواب الفرنسي وقفته التاريخية المشهورة فجاهر في جلسة ٤ يونيو الحالي بأن فرنسا لا ترمي من هذه الحرب الا الى استرجاع الالزاس واللودين اللتين سلختا عنها سنة ١٨٧١ رغم ادارة سكانهما ومنح الامم الكبيرة والصغيرة الاستقلال التام . ووافقت بريطانيا العظمى على قرار حليفتيها العظيمتين اذا كان مبدأ عدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات الحربية يعني رد المسلوب والتمتع بوض من الخسارة التي نزلت بالامم التي اعتدي عليها

وقد وافقنا روبر أمس بنص المذكرة الكبيرة الشأن التي أرسلها الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة الى روسيا وبين فيها أغراض أميركا من هذه الحرب فقال « انها لا تروم الربح المادي ولا التوسع ولا تقاتل لجر منم ولا تكن لتحرير الشعوب في كل مكان ومساعدتها على النبوض والارتقاء في ظل الاستقلال من غير تسلط مناسط عليها، وان المشاكل الحاضرة يجب ان تسوى طبقاً لمبدأ واضح جلي وهو انه لا يصح اجبار شعب من الشعوب على ان يعيش في ظل حكم لا يريد ولا إجراء تعديل في السكون الا في ما يؤدي الى توطيد أركان السلام وسعادة الامم فيصير

[المنار: ج ١ م ٢٠] مذكرة أمريكية في الحرب . غرض روسية من الحرب ٤٩

أخاه البشر حينئذ حقيقة واضحة وقوة فمالة لصون الحياة من اعتداء المستبدين
وطمع الطامعين »

هذه غاية الولايات المتحدة من الحرب وذلك هو الغرض الوحيد الذي وضعه
الحلفاء . كلهم نصب عيونهم وأعلنوا غير مرة عزمهم الاكيد على الوصول اليه مهما
كلفهم الامر وبديهي أن الولايات المتحدة لم تخض غمار الحرب الحاضرة الا بعد
ما اتفقت مع الحلفاء على تحقيق هذا المبدأ الشريف العادل فان المسيو بريان رئيس
الوزارة الفرنسية سابقا أرسل اليها باسم الحلفاء جبههم مذكرة مسببة في ٣ ديسمبر
الماضي قال فيها أن للحرب الحاضرة ثلاثة أغراض (أولها) اعطاء الامم الكبيرة والصغيرة
حريتها واستقلالها (وثانيها) نيل التعويض من الخسارة التي نشأت عن اعتداء ألمانيا
الظلمة (وثالثها) الحصول على ضمان واف لمنع وقوع الحرب في المستقبل
على هذا الاساس . تم الاتفاق بين الحلفاء والولايات المتحدة ومن أجل هذه
الغاية الشريفة فقط بذلت أمريكا رفاهية شعبها والاموال الطائلة التي كانت تنهل
عليها من أوردية . فالجهد لها والفخر لرئيسها العظيم نصير الانسانية وحامل لواء الحرية
والعدل في العالم اه

وجاء في المقطم الذي صدر في ٢٤ شعبان (١٤ يونيو) مانصه :

خطة روسية

دعا وزير خارجية روسية مندوبي الصحف الى مقابلته وبسط لهم خطة روسية
الحاضرة وقال ما خلاصته :

ترمي روسية الجديدة الحرة الى ابرام الصلح العام في أقرب آن على أساس
تحرير الامم ونحو يلهاحق انتقاء شكل حكوماتها وعدم ضم الاملاك وتقاضي الغرامات
الحرية من الاعداء ، وهي تتوخى من مواصلة الحرب أمرين (أولها) الحصول على صلح
شريف يزيل الضغائن والاحقاد من بين الامم المتحاربة (وثانيها) استقلال الشعوب
استقلالاً تاماً وجعلها قوة عظيمة لصون الحرية ومنع اعتداء المعتدين في المستقبل .
ان الخطأ الذي ارتكب في حرب السبعين لا يجوز أن نرتكب مثله اليوم ، فسكان
الانزاس واللورين الذين سلخوا عن فرنسا رغم ارادتهم لم ينسوا وطنهم الاصلي الى
(المنار: ج ١) (٧) (المجلد العشرون)

الآن وكانت مسألتهم من أهم أسباب الحرب الحاضرة لان الظلم لا ينسى مهادنهم عهده . لذلك ترى روسية الحرة أن تشيد الصلح المقبل على أساس العدل وحرية الشعوب الكبيرة والصغيرة

لانكران الحكم السابق ارتبط بمعاهدات سرية مع بعض الدول وأن هذه المعاهدات أفلقت الديموقراطيين الروس لاعتقادهم بأنها ترمي الى التوسع وضم الاملاك فألخوا على الحكومة الموقفة في نشرها في الحال خوفاً من وقوع الشقاق بين أحزاب الامة ولكن هذا الطلب لا يتفق مع مصلحة روسية لانه يؤدي الى قطع صلاتها ببلقاتها واكرهاها على ابرام صلح منفرد مع علمها أن الصلح الوحيد الذي يلائم مبادئها هو الصلح العام على أساس استقلال الامم الكبيرة والصغيرة استقلالاً تاماً ، فالواجب على روسيا في هذه الحال أن تنسى الماضي وتنتظر الى المستقبل فقط بعد الانقلابات العظيمة التي طرأت على الكون كالثورة الروسية ودخول الجمهورية الاميركية العظمى في الحرب . وهذه الانقلابات ستؤثر أعظم تأثير في ديمقراطية الامم المتحالفة ولا سيما ان صلاتها بممثلي تلك الديمقراطية على أحسن مايرام . ويبدى أن مهتمتي الاساسية في وزارة الخارجية هي التوفيق بين الديمقراطية الروسية وديمقراطية الامم القوية على أساس يكفل تسلم للعالم . ولكن تحقيق هذه المهمة يتعذر علينا اذا أحجمنا عن القيام بالجهود التي قطعناها خلفائنا أما مسألة ضم الاملاك فلا نخطر على بال أحد منا وليست للمارك التي نخوض غمارها الآن الا ممارك دفاعية ترمي الى طرد العدو من البلاد التي احتلها في روسية والبلجيك وفرنسة وسرية ورومانية ونيل الامم الكبيرة والصغيرة حريتها واستقلالها هذا كل ما أستطيع أن أقول الآن عن غرض روسية والخطة التي تنهجها لتحقيق آمالها وأمانها . انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في يوم السبت ١٨ رجب (١٩ مايو)

غرض بريطانيا العظمى من الحرب

لندن في ١٧ مايو

ان الخطبة التي خطبها اللورد روبرت سسل في مجلس النواب في الليلة البارحة

تعد هنا وفي سائر بلدان الحلفاء من أهمها قيل في بيان غرض بريطانيا العظمى من الحرب

فتح المستر سنودن باب المذقشة ورد اللورد روبرت سسل عليه فقال ان عبارة « عدم الضم » راجت كثيراً وتناقضها الافواه . ثم شرع بطرق أبواب هذا الموضوع باباً فباباً واستمر إلى البحث بذكر بلاد العرب فقال ليس في الدنيا رجل يشبر علينا بأن نذل نفوذنا لرد بلاد العرب إلى تحت سلطة الاتراك (هاف) ثم ان أعظم ضم لارمنية بأوسع معنى السيادة والامبراطورية يفيد ضمها الذي على الولايات والنكبات بما اقترحه الاتراك بهمن الجرائم وما يقال عن أرمنية يقال مثله عن سورية وفلسطين

ثم انتقل إلى الكلام عن مستعمرات ألمانيا في أفريقيا فقال اننا لم نهجم على تلك المستعمرات لنتخذ أهلها الاصليين من سوء الحكم ولكن أنريدون ان نصيدهم إلى ألمانيا بعد ما اقتدناهم منها ؟ فهتف المجلس لهتافاً شديداً لما قال : ان بدني يشعر اذا فكرنا في رد أولئك الوطنيين إلى حكم الحكومة التي ارتكبت بهم ضروب القسوة وماذا أقول عن بولندا وهل فيكم من يعرض على إنشاء مملكة بولندية مستقلة . وماذا أقول عن الاتراس والهورين وهل من يقول (؟) ان ألمانيا بعد ما أخذت ولايتين من فرنسا لا يجب ان تردهما اليها (هاف) . وعندنا أيضا الولايات الايطالية الداخلة في حكم النمسا فهل توافق الحكومة البريطانية على عدم رد هذه الولايات إلى ايطالية وسكانها من الايطاليين

ثم طرق اللورد روبرت باباً آخر من أبواب الموضوع وأشار إلى عبارة « عدم هقد الصلح مع آل هوهنزرن » فقال ان في هذه العبارة كثيراً مما يستصوب وهي مقبولة عند عامة البريطانيين ولكن الفطنة قد تقتضي بعدم اتخاذها قاعدة لتعريف سياستنا الوطنية

قال وقد سمعنا البعض يقولون « لاغرامة حرية » فهل يراد ان لاتعطى المجرم غرامة ؟ وماذا يكون نصيب سربيا وولايات فرنسا الشمالية ؟ وهل يسعنا ان نفرض عن تعويض ما دمر من البواخر التجارية ؟ أما أنا فليست مستعداً للموافقة على ذلك

وعقبه المستراسكويت فخطب خطبة كان لها وقع عظيم فقال ان عبارة « عدم
الضم » التي وردت في بعض التصريحات الروسية لم تفهم تماماً لعدم وجود مصمم
واف لفئة السياسة الدولية ولكني لا أعتقد أن زعماء روسية وحكامها المسؤولين
استعملوها بغير المعنى الذي أسلم به نحن .

ولكن لضم البلدان أربعة معان مختلفة يمكن استعمالها لها (فالمعنى الاول) ان
هذه الحرب اذا أريد ان تؤدي الى صلح وطيد الاركان فيجب ان تسفر عن ضم
بعض البلدان لتحرر الشعوب الراسفة في قيود الظلم واغلال الاستبداد (هتاف)
وهذا أمر مشروع والا فان الاغراض التي امنشنا لاجلها الحسام في هذه الحرب
لا تتال أو ينال جانب منها قط الا اذا قام الحلفاء حق القيام بعمل هذا التحرر
بضم البلدان (هتاف) قال واني واثق ان رجال حكومة روسية الجديدة لايحتاجون
على ضم البلدان اذا كان هذا هو الغرض منه

(والمعنى الثاني) يسري على البلدان التي تحوي جنسيات فصلت عن أصولها
مثال ذلك بلاد الترتينو فضمها (الى ايطالية) ضروري لراحة ضمير العالم
التمدن (هتاف)

ثالثا (كذا) ان الضم قد يكون من الامور المطلوبة لبقل ملك أو أرض لاجل
الاحتفاظ بمواقع حربية تكون ضرورية لا لهجوم بل للدفاع ووقاية البلاد من
هجوم في المستقبل

ويبقى (الوجه الرابع) أي الضم بمعنى فتح البلدان للتوسع والتبسط لتسودد
السياسي بالربح الاقتصادي وهذا أمر لا يلقى شيئا من التأييد في البرلمان البريطاني
ولا في بريطانيا العظمى ولا بين حلفائها (هتاف)

ومنى جلونا هذا الابهام فهل يبقى خلاف بيننا وبين أصدقائنا ديمقراطيي
روسية على القواعد العامة التي يجب مراعاتها في الكلام عن الصلح ؟

أما أنا فلا أعتقد بوجود شيء من الفرق (اسمعوا اسمعوا) روتر

وجاء في المقطع الذي صدر في ٢١ رمضان (١٠ يوليو) ما نصه :

غاية الحقائق من الحرب

رد فرنسا وانكلترا على المذكرة الروسية

أرسلت الحكومة الروسية الموقفة في شهر ابريل الماضي مذكرة خطيرة الشأن الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها من الحرب وألحت عليهم في اعلان أفراضهم الحقيقية منها . وقد نشرنا المذكرة الروسية في حينه ورأينا الآن أن نوافي القراء برد فرنسا وانكلترا عليها لما فيه من الدلالة على حسن نيات الحلفاء وسوء مبادئهم وبطل مقاصدكم وهو الجواب الذي وصل الى بتروغراد في أواخر شهر يونيو الماضي . قالت فرنسا في مذكرتها :

جواب فرنسا عن مذكرة روسية

« اطلعت حكومة الجمهورية الفرنسية بارتياح عظيم على المذكرة التي سلمها اليها سفير روسية في باريس باسم الحكومة الموقفة وشاركتها في الثقة التامة بكل ما يتعلق بتحسين موارد روسية الاقتصادية وزيادة قوتها الحربية أو السياسية ثم رأيت أن تعلن ما يأتي :

« ان فرنسا لم تفكر في استبعاد شعب من الشعوب حتى أعدائها الحاليين ، ولكنها تريد أن يزول الخطر الذي يهدد العالم وأن يعاقب المجرمون الذين أضرموا نار هذه الحرب المأثمة وكانوا عاراً على أعدائنا أنفسهم ، وهي تترك لأعدائنا عواطف الطمع التي امتازوا بها في الحرب والسلم ولا تطلب من البلاد الا ما هو لها شريعاً

« لقد ذهبت مساعينا السليمة أذراع الرياح واضطرت الى امتشاق الحسام دفاعاً عن حريتها واستقلالها وروعة في اكرام العدو على احترام استقلال الامم . فكم ان روسية أعلنت احيا مملكة بولندة القديمة المستقلة هكذا فرنسا تنجي بسرور عظيم كل الماسعي الحرة التي تبذلها الامم للمستعبدة

« ولا ترمي فرنسا في هذه الحرب الا الى غاية واحدة وهي اقتصاص الحق والسلم سواء قامت الامم لاعلان استقلالها ووحدةها ولعادة سالف مجدها ومدنيها أو لطمع نير العبودية من عاقها وهو الذير الذي كان يهدد جميع الامم التي لم تبلغ فترة الجرمين من الارهاق الظاهري

« ولا تطالب فرنسا لنفسها الانحرار الولائتين الفرنسيين اللتين سلخاعنها بالقوة وهذا الاراس واللورين ولكنها تحارب مع حافها الى النصر الذي يعيد اليهم حقوقهم واستقلالهم السياسي والاقتصادي ويعيضمهم من الحسارة التي نزلت بهم ويكفل لهم منع كل اعتداء يقع عليهم في المستقبل »
 « وتستند حكومة الجمهورية اعتقادا تاما كاعتقاد الامة الروسية ان هذه المبادئ العادلة هي المبادئ الوحيدة التي يجب أن يضعها الخلق نصب عيونهم لابرار صلح دائم على أساس العدل والحق »
 « فعلى الحكومة الموقفة أن تثق ثقة تامة بمبادئ الحكومة الفرنسية وتعلم انها مستعدة للاتفاق معها ليس فقط على التدابير اللازمة لمواصلة الحرب بل على طرق الانتهاء منها أيضا بشكل يتفق مع الغاية التي خضنا غمار الحرب من أجلها » انتهى.
 قرار مجلس نواب فرنسا

ثم شفمت الحكومة الفرنسية هذه المذكرة بالقرار الخطير الشأن الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في جلسته التاريخية في ٥ يونيو ونقلته اليها التفريعات الخصوصية والعمومية في حينه [المار: وهذه ترجمته :]
 باريس في ٥ يونيو

هذا نص قرار الثقة بالحكومة الذي وضعه مجلس النواب الفرنسي : —
 ان مجلس النواب الذي يعبر رأساً عن سلطة الشعب الفرنسي يرسل الى الديمقراطية الروسية وسائر ديمقراطيات الحلفاء التحية والسلام
 ان مجلس النواب يؤيد الاحتجاج الاجتماعي الذي قدمه مندوبو الاراس واللورين المسلخطين عن فرنسا الى الجمعية الوطنية في سنة ١٨٧١ وبجواهر بأنه ينتظر ان هذه الحرب التي أكرهت ألمانة المحبة للفتح سائر بلدان أوربة على خوض غمارها لا تؤدي الى تحرير الولايات التي اكتسبها الالمان فقط بل الى رد الاراس واللورين الى وطنهما الاصلي وتعويض فرنسا مما أصابها من الضرر والخسارة
 ان مجلس نواب فرنسا لا يفكر في فتح البلدان واخضاع شعوب أخرى ولكنه

ينتظر ان يؤدي جهاد جيوش الجمهورية الفرنسية وجيوش حلفائها الى سحق البرخ
المسكري البروسي والحصول على ضمان وطيد لاستقلال الشعوب الكبيرة
والشعوب الصغيرة

والمجلس واثق بأن الحكومة تكفل احراز هذه النتائج بالتعاون المسكري
والسياسي مع حلفائنا — روتر
جواب انكلترة عن مذكرة روسية

وأرسلت الحكومة البريطانية المذكورة التالية الى حكومة روسيا وهي : —

« نلت الحكومة البريطانية المذكورة التي سلمها اليها معتمد روسية في لندن
وتضمنت أقراض روسية من الحرب الحاضرة

« وقد ورد في المنشور الذي أعلن على الشعب الروسي ووصل اليها مع المذكورة
أن روسية لا تتوخى سيادة الأمم الأخرى والاعتداء على أملاكها القومية واحتلال
بلادها بالقوة فالحكومة البريطانية تشارك الحكومة الموقفة في مبادئها وتعلن أنها لم
تخض غمار الحرب من أجل التوسع والفتح وإنما خاضت غمارها في بدء الأمر دفاعاً
عن كيانها ورغبة في إكراه المعتدين على احترام المعاهدات الدولية ، أما الآن فقد
صار لها غاية أخرى وهي تحرير الأمم التي تشن من جور الاستبداد الأجنبي

« وقد قابلت الحكومة البريطانية بسرور عظيم عزم روسية على تحرير بولندا
التي نجت حكمتها الديمقراطية الروسية وبولندا التي تشن من جور الاستبداد الجرمانى
فالديمقراطية البريطانية تحبج روسية وتتمنى لها النجاح في هذه المهمة من صميم قواها
« وبهنا قبل كل شئ . أن نجد طريقة حسنة لحل المشاكل الحاضرة حللاً يكفل

للأمم سعادتها وهناها ويستأصل جرائم الحروب المقبلة من العالم

« والحكومة البريطانية تنضم الى حلفائها الروسين من صميم قواها وقيل معهم
المبادئ السامية التي أعلنها الرئيس ولسن في خطبته الشهيرة في مجلس الأمة الامبركية
« هذه هي الغاية التي تحارب الأمم البريطانية من أجلها وتلك هي المبادئ

التي تسير عليها في سياستها التي لها صلة بالحرب

« وتعتقد الحكومة البريطانية ان الاتفاقات التي أبرمتها مع حلفائها في الماضي

لا تناقض هذه المبادئ، ومع ذلك فإنها تقبل أن تعيد النظر فيها إذا اشادت الحكومة الروسية ذلك وأن تمدد بمض موادها إذا اقتضت الحال » انتهى

وجاء في المقطم الذي صدر في ١٨ رمضان (٧ يوليو)

(الحلفاء واستقلال الأمم)

أرسلت الحكومة الروسية مذكرة الى دول الحلفاء بسطت فيها غايتها الحقيقية من الحرب وطلبت منهم أن تعرف الغاية التي يتوخونها هم أيضا فأجابتها فرنسا بمذكرة طويلة قالت فيها انها لا ترمي الا الى استرجاع الازلاس واللورين ومنح الام الكبيرة والصغيرة استقلالها التام ثم شغفت هذه المذكرة بالقرار الذي أصدره مجلس نواب فرنسا في ٥ يونيو الماضي

وقالت انكثرة في ردها على المذكرة الروسية انها خاضت غمار هذه الحرب دفاعا عن كيانها ورغبة في اكراه الآخرين على احترام المعاهدات الدولية . أما اليوم فصارت ترمي الى غاية ثالثة وهي تحرير الامم التي تن من جور الاستبداد الاجنبي فانكثرا في هذه الحال توافق على المبادئ السامية التي جاهر بها الدكتور ولسن وأعلنتها الديمقراطية الروسية وهي مستعدة لاعادة النظر في المعاهدات التي أبرمتها مع روسيا وسائر حلفائها

وقد قابلت الصحف الروسية هاتين المذكرتين بارتياح عظيم اذا استقينا الصحف الثورية والمتطرفة والداعية الى الصلح . فقالت جريدة نوفوريميا ما خلاصته : — لا يمكننا ان نزيد حرقاً واحداً على جواب الحلفاء عن مذكرتنا فهو في غاية الوضوح في ما يتعلق بخطة الفتح الذي يتهمهم أعداؤنا بها وقد أعلن حلفاؤنا غايتهم الحقيقية من الحرب فاذا هي غاية روسيا وغاية اميركا حليفنا الجديدة . انتهى

وقالت « البورص غازت » ان جواب الحلفاء أَرْضَى روسية الديمقراطية وأكد لها أن ديمقراطيات العالم كله متفقة على الدفاع عن استقلال الامم وسحق الاستبداد البروسي

(استقلال ألبانيا)

رومية في ٤ يونيو — صدر منشور في ارجيرو كسثرو يوم ٣ يونيو باستقلال البانيا وتوحيدها كلها تحت حماية ايطاليا — روتر
رومية في ٤ يونيو

هذا بعض نص المنشور باعلان الحماية الايطالية على البانيا وهو باضاء الجنرال فريرو:
« أيها الالبانيون انكم بهذا القرار سيصبر لكم معاهد حرة وجنود ومحكم ومدارس يديرها أبناء قومكم ويتيسر لكم ان تدبروا أملاككم وتجنوا ثمرة تعبكم لانفسكم ولزيادة خير بلادكم وإسعادها

« أيها الالبانيون انكم أيما كنتم سواء في بلادكم الحرة الآن أو فارين في سواها من البلدان أو كنتم خاضعين لحكم أجنبي بمن عليكم بالواعد الكثيرة ولكنه في الحقيقة يسلبكم ويعاملكم بالشدّة أنتم سلاله جنس عريق نبيل تربطكم عدة قرون من التقاليد القديمة بحضارة رومية والبنديقية . انكم لا تجهلون اشترك المصلحة بين الايطاليين والالبانيين في البحار التي تفصل بيننا والتي وحدث بيننا أيضا انكم لحسنو النية واليقين تعتقدون بحسن مصير وطنكم المحبوب فأنتم تقفون الآن في ظل راية ايطاليا والبانيا وتحلفون بمن الاخلاص الابدي لالبانيا المستقلة التي تنادي بها اليوم باسم ايطاليا وتتمنون بصداقة ايطاليا »

وقد تلى هذا المنشور على جمهور كبير من الباني ارجيرو كسثرو وقابلوه بالحفاة ونشروا في سواها من الجهات التي تحت ادارة الايطاليين والقي الطيارون نسخا منه في البلاد الواقعة وراء فوجوزا — روتر

(النار) هذا وان البرقيات العامة نقلت البنا ان رومية الحرة لم تعترف بهذا الاستقلال بل صرحت بأن مؤتمر الصلح هو الذي يفصل في أمرها

ومن تأمل أجوبة الحلفاء كلها رأى ان جواب فرنسا أبعدا عن مظان التأويل وأقربها الى مقصد المذكرة الروسية ، ولما كان المهود في السياسة ان يكون لكل كلام ظاهر وباطن وان يكون ظاهره محتملا للتأويل كتب أحد كتاب فرنسا الاحرار (المسيو اولار) مقالة في الموضوع الذي نبحت فيه لخصتها جريدة القطم في العدد الذي صدر منها يوم الجمعة ١٣ يوليو (٢٤ رمضان) بما يأتي :

غرض فرنسا من الحرب

من مقالة للمسيو اولار

انشأ المسيو اولار الكاتب الفرنسي الشهير مقالة شائقة في جريدة «البابي»

(الوطن) الباريسية بسط فيها غاية غرض فرنسا من الحرب ولاغراض حقيقية التي ترمي اليها . والمسيو اولار من أعظم الكتّاب الفرنسيين وأشدهم تأثيراً في رأي العام وأكثرهم خبرة بشؤون الشرق الأدنى ولا سيما سورية التي زادها لآخر مرة سنة ١٩٠٧ وأسس فيها مدرسة بيروت العلمية ومدرسة دمشق للنبات . وهو استاذ التاريخ في جامعة السوربون وصاحب المؤلفات العديدة عن الثورة الفرنسية ومن زعماء الماسون والرئيس لا كبر الجمعيات التعاليم العدائي في فرنسا لذلك رأينا ان نلخص مقالته للقراء لما فيها من الدلالة على أغراض الامة الفرنسية من هذه الحرب وسبب مبادئها ونبل مقاصدها ورغبتها الاكيدة في مواصلة الحرب الى النصر قال :

« خاضت الولايات المتحدة غمار الحرب ودخلت الثورة الروسية في دور جديد في الاسابيع الاخيرة فأحدث ذلك تأثيراً عظيماً في العالم ظهرت نتائجها الاولى في انقشاع الغيوم المتلبدة في جو سياسة الحلفاء »

« وقد وقعت هذه الايام حوادث سياسية لها مغزى عظيم واضح فأعلن المسيو ريبو رئيس الوزارة الفرنسية في مجلس النواب بعد اتفاقه مع الحكومات المتحالفة [انه لا يمكن ان تكون لنا خطة سرية غير الخطة الصريحة التي يعرفها العالم كله وان في التلاعب بالوجدان الوطني خطراً عظيماً يؤدي الى أعظم النكبات] فالمسيو ريبو انفس من نفسه هذه الجرأة الادبية التي حملته على هذا التصريح الخطير الشأن بعد ما أبدت الديمقراطيتان الاميركية والروسية آراءهما في الامر وأعربتا عن عدم رضاهما عن السياسة السرية »

« هذا واننا نرى من جهة أخرى ان الجنود الفرنسيين الذين يقاسون ضروب الشقاء ويريقون دماهم الزكية في الخنادق دفاعاً عن الوطن العزيز يريدون ان يعلموا الغاية الحقيقية التي يقاسون الشقاء ويقنحون الاخطار للوصول اليها . لا مشاحة في انهم يعلمون ان غرضهم الوحيد من الحرب الحاضرة طرد العدو من البلاد التي

اجتاحتها ونحرير العناصر من رقة الاستعباد ولكنهم يخشون ان تكون هنالك سياسة سرية وراءها مقاصد فتح ومطامع استثمار تحت ستار العدل والحق وان يتخذ ذلك حجة لتحقيق الاحلام القديمة التي مفتأها الفرور وغاياتها استعباد الامم ان الفرنسيين قاطبة يحاربون الى النهاية من أجل فرنسا واللائس واللورين ويريقون آخر نقطة من دمهم لانتقاد البلجيك الناعسة من مخالف المدو ولكنهم لا يقبلون بوجه من الوجوه ان تكون غايتهم من الحرب فتح آسيا الصغرى وتحقيق مشروع استعماري بعيد تخفيه الحكومات اه

[المنار] ان الذكي الفطن يفهم من هذا التلخيص ما وراءه فسمى ان تنتهي هذه الحرب بما يحبه — مثلنا — هذا الكاتب الحر بتحقيق آمال المستضعفين ونحرير الشعوب أجمعين ،

الترك والعرب . وهل يكونان كالثمة والمجر

نشر المقطم في ه شوال مقالة أرسلها اليه ابراهيم افندي التجار من باريس شرح فيها ما أحدثته الثورة الروسية ودخول الولايات المتحدة في الحرب من الروح الجديدة في سياسة العالم وأشار فيها الى ما بين قاعدة أحرار الروس ومرامي الرئيس ولسون وبين تنفيذ فكرتها من العقبات وذكر تأثير ذلك في الدولة العثمانية فقال ما نصه :

د وقد اتصل بي هذين اليومين خبر كبير الاهمية اذا صدقت الرواية وصدق راويها وهو ان هذه الفكرة التي سبقت الإشارة اليها مشئت شرعاً ووقفت في فروق (الآستانه) ففكر أصحاب الحل والعقد فيها في انشاء السلطنة العثمانية على الاساس التناسلي من الترك والعرب كما قامت امبراطورية النمسا على أساس سلطة التسويين والمجريين . وان الحكومة شارعة في تعديل القانون الاساسي على هذا المبدأ . قرأت هذا الخبر الذي رواه لي مخبري في سويسرا ووقفت عنده وقفة الحائر في تقضه وتصديقه . الاول لانه لا ينطبق على سياسة غلاة الترك العنصرية والله أعلم بما أعرف من خبايا نياتهم وبما يضمرون . والثاني لان القوم ضاقوا ذرعاً في هذه الحرب وعلموا ان عاقبتنا ستكون وبالاً عليهم وان نهايتها ستكون على حسابهم وعرفوا مبادئ الثورة

أحمد لطفي السيد بك مدير دار الكتب السلطانية كاتب السر والسيد محمد البلاوي وكيل دار الكتب مساعد كاتب السر وحضرات الشيخ أحمد إبراهيم والشيخ أحمد الاسكندري وأحمد براده بك وأحمد تيمور بك وصاحب السعادة أحمد زكي باشا وأحمد سليمان بك والدكتور أحمد عيسى بك وأحمد كمال بك وإسماعيل رأفت بك وحفي ناصر بك وعبد الحميد فتحي بك وعبد الحميد مصطفى بك وصاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن قرعانه وعثمان فهمي بك والدكتور فارس عمر ومحمد أمين وأصف بك والشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد شريف سليم ومحمد عاطف بركات بك والشيخ مصطفى العناني والدكتور يعقوب صروف وهذه صورة قانون المجمع

الفصل الاول — في غرض المجمع

المادة الاولى — غرض هذا المجمع خدمة اللغة العربية وخصوصاً وضع معجم واف بحاجة الزمن شامل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات
المادة الثانية — يكلف المجمع لجناً أو أفراداً جمع مصطلح كل علم أو فن أو فنه وأكمل لجنة أو فرد ان يطلب من المجمع ان يدعو الى الاهتمام اليه من يرى دعوته من الاختصاصيين ويعرض ما تم من ذلك على المجمع لبحثه وتقرير ما يراه واذا تم جزء صالح للنشر جاز نشره على حدة قبل اتمام المعجم

المادة الثالثة — للمجمع ان يزيد في اللغة للضرورة ويراعي في الزيادة دفع الحرج
المادة الرابعة — يستبدل بالكلمة العامية أو الاعمجية التي لم تعرب من قبل غيرهما من اللانظام العربية الموضوعة للدلالة على معناها فاذا لم يمتد المجمع الى كلمة عربية وضع كلمة عربية للدلالة عليها أو أقر الكلمة العامية أو هرب الكلمة الاعمجية مع مراعاة المادة الثالثة
المادة الخامسة — يكون وضع الكلمات بطريق المجاز أو الاشتقاق أو النعت أو غير ذلك مما يقع إجماع على منعه ويفضل الاخذ من الكلمات المموجرة قليلاً لا لاشتراك المستعمل
المادة السادسة — تذكر الكلمات من المعجم بمكانها القديمة ويضاف اليها اسمها في المعاني الجديدة التي يقرها المجمع ويبنه على ما كان من وضع المعجم

الفصل الثاني — في أعضاء المجمع

المادة السابعة — يؤلف المجمع من ثمانية وعشرين عضواً منهم ثلاثة بمرف أحداهم

اللغة العبرية والثاني الفارسية والثالث السريانية زيادة على معرفة كل منهم للغة العربية.
 المادة الثامنة — متى خلا مركز أحد الاعضاء فلكل عضوين ان يرشحا خلفاً
 وتعرض أسماء المرشحين ثم يدور عليهم الانتخاب على حسب المادة الثالثة عشرة
 ويشترط في قبول المرشح ان ينال انتخاب ثلثي الاعضاء الحاضرين على الأقل
 المادة التاسعة — للمجمع ان ينتخب أعضاء مرادلين بالطريقة التي ينتخب بها
 الاعضاء ويكون لهم حضور الجلسات وليس لهم أصوات في القرارات
 المادة العاشرة — من اهان المجمع من أعضائه المراسلين أو غيرهم اعانة افوية
 يعتد بها ذكر اسمه في ثبت واضعي المجمع

الفصل الثالث — في ادارة أعمال المجمع

المادة الحادية عشرة — تقوم بالأعمال الادارية للمجمع لجنة مؤلفة من الرئيس
 والوكيل وكاتب السر ومساعده
 المادة الثانية عشرة — ينتخب أعضاء اللجنة من بين أعضاء المجمع لمدة سنة.
 ويجوز إعادة انتخابهم

المادة الثالثة عشرة — يكون الانتخاب بالاقتراع السري وبالأغلبية المطلقة
 للاعضاء الحاضرين في جمعية عمومية يحضرها ثلثا الاعضاء على الأقل فان لم يحضر
 ثلثا الاعضاء تم الانتخاب في الجلسة التالية مهما كان عدد الاعضاء فيها
 المادة الرابعة عشرة — يدير الرئيس أعمال المجمع ويدعو لجلانه ويقدم اليها
 موضوعات البحث ومهيمن على تنفيذ قرارات المجمع . وهو عضو بالقانون في كل
 لجنة من لجان المجمع يشترك مع أيها شاء
 المادة الخامسة عشرة — يقوم الوكيل مقام الرئيس عند غيابه في كل ماله من
 الحقوق وعليه من الواجبات

المادة السادسة عشرة — على كاتب السر ومساعده تحرير محاضر الجلسات
 وتسجيلها في سجل خاص بعد التصديق عليها وهما مكلفان بمراسلات المجمع
 وحفظ أوراقه ونشر أعماله التي يقرر نشرها

الفصل الرابع — في نظام الجلسات

المادة السابعة عشرة - - ينعقد المجمع مرتين في كل شهر على الأقل ويجتمع فوق العادة بناء على طلب يكتبه خمسة من أعضائه أو بناء على طلب الرئيس

المادة الثامنة عشرة - - يعين المجمع في شهر أكتوبر من كل سنة الأيام التي ينعقد فيها كل شهر إلى نهاية شهر مايو

المادة التاسعة عشرة - - إذا لم يستطع أحد الأعضاء حضور جلسة فيجب أن يمتدروا وتلى الاعتذارات عند افتتاح الجلسة

المادة العشرون - - كل عضو غاب أكثر من ست جلسات متواليات من غير عذر قبله المجمع يعتبر مستقلاً ويستبدل به غيره بالانتخاب

المادة الحادية والعشرون - - في غير الأحوال المنصوص عليها يكون الاجتماع صحيحاً متى حضره ربع الأعضاء

المادة الثانية والعشرون - - للمجمع أن يستعين باختصاصيين يدعوهم لحضور جلساته عند النظر في البحوث المتعلقة بآثارهم الخاصة

المادة الثالثة والعشرون - - تعقد الجلسات برئاسة الرئيس أو الوكيل عند غيابه وإذا غاب كلاهما افتتحت الجلسة برئاسة أكبر الحاضرين سناً

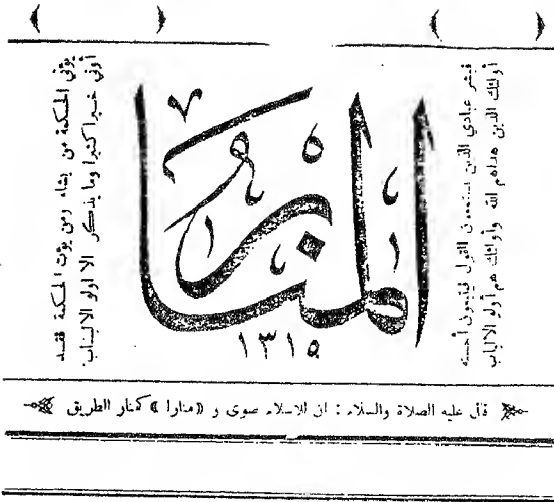
المادة الرابعة والعشرون - - في غير الأحوال المنصوصة في القانون تكون قرارات المجمع بالأغلبية النسبية

المادة الخامسة والعشرون - - للمجمع أن يعيد المناقشة في قرار سابق إذا طلب ذلك بأغلبية من الأعضاء

الفصل الخامس - أحكام تكميلية

المادة السادسة والعشرون - - لا يجوز تغيير مادة من هذا القانون إلا بطلب مكتوب يقدمه خمسة من الأعضاء مبيته فيه أسباب التغيير يقرأ في المجمع ثم ينظر في الجلسة التالية ولا يكون التغيير صحيحاً إلا إذا اتفق عليه سبعة عشر عضواً

المادة السابعة والعشرون - - كل خلاف يقع في تفسير مادة من مواد القانون يمرن على المجمع تقرير ما يقع في ذلك



بداية الجزء الثاني

حسب ترقيم الكتاب في اعلى الصفحة

[المنار:ج 1م 20] - [المنار:ج 2م 20]

فَسْخَاؤُ الْمُبْتَائِنِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسهل الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك له لئلا هذا، ولئن بضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ فسخ عقد النكاح بالغيب في احد الزوجين ﴾

(س ٣) من صاحب الامضاء في العلاقة بالشرقية

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الى القائم بأمر ربه المتضد بحجة الله البالغة صاحب مجلة المنار

ارفعه مستقيا فضيلتكم بعد حمد الله حق حمده والصلاة والسلام على خير عباد سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعه ونحبه الله وسلامه عليكم : أيها الاستاذ النبيل السيد السند :

يا صاحب الفضيلة فيما قرأ ما يتعلق بالمرء وزوجه من بقاء النكاح وفسخه في الكتب التي للائمة الثلاثة الشافعي ومالك وأبي حنيفة رضي الله عنهم : إذ رأينا فيها أنه ليس لاحد الزوجين أن يفسخ النكاح اعيب بالآخر الا بالجنون والجزام والبرص ويسميها الائمة ومن تبهم العيوب المشتركة فتوقفتنا في حصر العيوب المشتركة التي يفسخ بها النكاح في الثلاثة الآفة الذ كرمع وجود ما يماثلها في الضرر بل ربما كان أشد وأولى بما ذكروا بالفسخ كالسل والزهري وغيرهما من الادواء المستحدثة وبعد البحث والتقيب لم نعلم على قول لافي الكتب التي بأيدينا ولا من شأنهم ممن يظن فيهم انهم لا يتقيدون بما تقع عليه أبصارهم من المنصوص فبعث اليكم بذلك الرسالة مستفتين : هل تجري الادواء المستحدثة مجرى ما نصوا عليه لمشاركته في (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد العشرون)

علة الحكم فتكون مقيسة عليه فيفسخ بها النكاح أو يقف الأمر عند حد المنصوص
وهنا تسأل أي فرق بينها وبينه ؟ وإذا كان مانص عليه الفقهاء مأخوذاً من دليل
فأهو ؟ هذا ما نرجو أن نجيبوا عنه بفصل القول الذي نعهد فيكم وبعهده العقلاء
أجمع أمدكم الله بالعلم النافع وهدانا الله وإياكم إلى ما يوصلنا إلى مرضاته وسلك
سبيله القويم أنه سمع قريب علم

(ج) ليس في هذه المسألة نص صريح في الكتاب ولا في السنة الصحيحة
وحديث زيد بن كعب بن عجرة الآتي فيه مقال وليس فيه تصريح بالفسخ لاجل
البرص . ولكن فيما آثارا عن بعض الصحابة والتابعين مستندة إلى أصول الشريعة
الثابتة من منع الفسوخ وفي الضرر والضرار وحينئذ لا وجه لحصر العيوب فيما ورد
في تلك الآثار إذ لا دليل على الحصر وإن ورد عن بعضهم عبارة فيه فذلك العبارة
ليست مما يحتاج به من ذكرتم من الفقهاء كما يعلم من أصولهم ، ومذهبهم ليست متفقة
كما ادعيتهم . وقد حرر المسألة العلامة المحقق ابن القيم في كتابه زاد المعاد في فصل
مستقل قال :

﴿ فصل ﴾

في حكمه صلى الله عليه وسلم وخلفائه في أحد الزوجين يجحد بصاحبه
برصاً أو جنوناً أو جذاماً أو يكون الزوج عتياً

في مسند أحمد من حديث يزيد بن كعب بن عجرة ^(١) رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة من بني غفار فلما دخل عليها فوضع ^(٢) ثوبه
وقعد على الفراش أبصر بكشحهما بياضاً فأنماز ^(٣) عن الفراش ثم قال « خذي
عليك ثيابك » ولم يأخذ مما آتاها شيئاً . وفي الموطأ عن عمر رضي الله عنه : أنه قال
أيما امرأة غرّ بها رجل بها جنون أو جذام أو برص فلها المهر بما أصاب منها وصدّاق

(١) كذا في نسخة الكتاب المطبوعة بمصر السكتيرة المثلث وهو غلط سواءه زيد بن كعب
ابن عجرة كما في سنن سعيد بن منصور وقد شك في المسند فقال عن جميل بن زيد قال حدثني
رجل من الأنصار ذكر أنه كان له صبيحة يقال له كعب بن زيد أو زيد بن كعب . ومثله عند ابن
عدي والبيهقي . ورواه الحاكم المستدرک من حديث كعب بن عجرة ولم يشك . وجميل بن زيد ضعيف
وقد اضطرب في هذا الحديث وقال الحافظ ابن حجر مجهول (٢) في النسخة المذكورة وضع (٣) وفيها فأماز

الرجل على من غره^(١) وفي لفظ آخر قضى عمر رضي الله عنه في البرصاء والجذماء والمجنونة اذا دخل بها فرق بينهما والصداق لها بميسره اياها وهو له على وليها . وفي سنن أبي داود من حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما طلق عبد يزيد أبو ركانة^(٢) زوجته أم ركانة ونكح امرأة من مزينة فجاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ما يعني عني الا كما تعني هذه الشعرة لشعرة أخذتها من رأسها ففرق بيني وبينه ، فأخذت النبي صلى الله عليه وسلم حية فذكر الحديث وفيه انه صلى الله عليه وسلم قال له « طلقها ففعل قال « راجع امرأتك ام ركانة واخوتك » فقال اني طلقتها ثلاثا يا رسول الله قال « قد علمت راجعها » وتلا (يا أيها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن اعدتهن) ولا علة لهذا الحديث الا رواية ابن جريج له عن بعض بني أبي رافع وهو مجهول ولكن هو تابعي وابن جريج من الائمة الثقات العدول ورواية العدل عن غيره تعديل له ما لم يعلم فيه جرح ، ولم يكن الكذب ظاهرا في التابعين ولا سيما التابعين من أهل المدينة ولا سيما موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سيما مثل هذه السنة التي اشتدت حاجة الناس اليها ، لا يظن بابن جريج انه حملها عن كذاب ولا عن غير ثقة عنده ولم يبين حاله

« وجاء التفريق بالعنة عن عمر وعثمان رضي الله عنهما وعبد الله ابن مسعود وسمرة بن جندب ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم لكن عمر وابن مسعود والمغيرة رضي الله عنهم أجلوه سنة وعثمان ومعاوية وسمرة رضي الله عنهم لم يؤجلوه والحارث بن عبد الله رضي الله عنه أجله عشرة أشهر . وذكر سعيد بن منصور حدثنا هشيم أنبأنا عبد الله ابن عوف عن ابن سيرين ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث رجلا على بعض السماية فتزوج امرأة وكان عقيا فقال له عمر رضي الله عنه : أطلعتها انك عقيم ؟ قال لا . قال فانطلق فاعلم أم خيرها أو أجل مجنوناسة فان أفاق والافرق بينه وبين امرأته » فاختلف الفقهاء في ذلك فقال داود وابن حزم ومن وافقهما لا يفسخ النكاح

(١) عزاه الحافظ ابن حجر في باوغي الزمان الى سعيد بن منصور ومالك وابن شيبة ثم قال ورجاله ثقات وروى عنه أيضا عن علي بن محبوب وزاد : وبها فرق فزوجها بالخيار فان سها لله المهر بما استحل من فرجها (وسياقي) (٢) في السنن زيادة واخوته أي وأبو اخوة ركانة

بصيب البتة ، وقال أبو حنيفة رضي الله عنه لا يفسخ إلا بالجب والعنة خاصة ، وقال الشافعي ومالك يفسخ بالجنون والبرص والجذام والقرون والجب والعنة خاصة . وزاد الامام احمد عليهما أن تكون المرأة فقاه منقرعة ما بين السبيلين ، ولا صحابه في ثفن الفرج والفم وانحراق مجرى البول والمثي في الفرج والقروح السيالة فيه والبواسير والناصور والاستحاضة واستطلاق البول والنحو والخصي وهو قطع البيضتين والسل وهو مثل البيضتين والوج ، وهو رضها وكون أحدهما خنى مشكلا والعيب الذي بصاحبه مثله من العيوب السبعة والعيب الحادث بعد العقد وجهان ، وذهب بعض أصحاب الشافعي الى رد المرأة بكل عيب ترد به الجارية في البيع ، وأكثرهم لا يعرف هذا الوجه . ولا مقلته ولا من قاله ومن حكاه أبو عاصم العباداني في كتاب طبقات أصحاب الشافعي ؛ وهذا القول هو القياس أو قول ابن حزم ومن واقفه . وأما الاختصار على هيين أوسمة أو سبعة أو ثمانية دون ما هو أولى منها أو مساو لها فلا وجه له ، فالصبي والخرس والطرش وكونها مقطوعة البدين أو الرجلين أو إحداهما أو كون الرجل كذلك من أعظم المنغرات والسكوت عنه من أقيح التدليس والفش وهو مناف للدين ، والاطلاق انما ينصرف الى السلامة فهو كالمشروط عرفا وقد قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لمن تزوج امرأة وهو لا يولد له أخبرها انك عقيم وخبرها فاذا يقول رضي الله عنه في العيوب التي هذا عندها كمال بلا نقص

«والقياس ان كل عيب ينفر الزوج الآخر منه ولا يحصل به مقصود النكاح من الرحمة والمودة يوجب الطلار وهو أولى من البيع كما أن الشروط المشروطة في النكاح أولى بالوفاء من شروط البيع وما أئزم الله ورسوله مفرورا قط ولا مقبونا بما غر به وخبث به . ومن تدبر مقاصد الشرع في مصادره وموارده وعدله وحكمته وما اشتمل عليه من المصالح لم يخف عليه رجحان هذا القول وقر به من قواعد الشريعة

» وقد روى يحيى بن سعيد الانصاري عن ابن المسيب رضي الله عنه قال قال عمر رضي الله عنه أيما امرأة تزوجت وبها جنون أو جذام أو برص فدخل بها ثم اطلع على ذلك فلها مهرها بمسيه اياها وعلى الولي الصداق بما دلس كما غره . ورد هذا بأن ابن المسيب لم يسمع من عمر رضي الله عنه من باب الهذيان البارد الخالف

لاجماع أهل الحديث قسبة، قال الامام أحمد اذا لم يقبل سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه فمن يقبل : وأئمة الاسلام جمهورهم يحتجون بقول سعيد بن المسيب : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فكيف بروايته عن عمر رضي الله عنه ؟ وكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنه يرسل الى سعيد يسأله عن قضايا عمر رضي الله عنه فيفتي بها ، ولم يظن أحد قط من أهل عصره ولا من بعدهم ممن له في الاسلام قول معتبر في رواية سعيد بن المسيب عن عمر رضي الله عنه ولا عبرة بغيرهم

«وروى الشعبي عن علي كرم الله وجهه : أيا امرأة نكحت وبها برص أو جنون أو جذام أو قرن فزوجها بالنيار ما لم يمسا ان شاء أسكت وان شاء طلق وان مسها فلها المهر بما استحل من فرجها . وقال وكيع عن سفيان الثوري عن يحيى بن سعيد عن سعيد ابن المسيب عن عمر رضي الله عنهم قال : اذا تزوجها برصا أو عيافا فدخل بها فلها الصداق وبرجع به على من غره . وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه لم يذكر تلك العيوب المتقدمة على وجه الاختصاص والحصر دون ماعداها ، وكذلك حكم قاضي الاسلام حقا الذي يضرب المثل ببله ودينه وحكمه شرح رضي الله عنه . قال عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين رضي الله عنه : خاصم رجل الى شرح فقال ان هؤلاء قالوا لي إنا تزوجك أحسن الناس فجأني بامرأة عياف ، فقال شرح ان كان دلس لك بعيب لم يحز . فتأمل هذا القضاء وقوله ان كان دلس لك بعيب كيف يقتضي ان كل عيب دلست به المرأة فلزوج الرد به .

«وقال الزهري رضي الله عنه برد النكاح من كل داء عضال . ومن تأمل فتاوى الصحابة والسلف علم انهم لم يخصوا الرد بعيب دون عيب الا رواية رويت عن عمر رضي الله عنه لا ترد النساء الا من العيوب الاربعة الجنون والجذام والبرص والداء في الفرج ، وهذه الرواية لا تعلم لها اسنادا أكثر من أصبغ وابن وهب عن عمر وعلي رضي الله عنهما وقد روي عن ابن عباس ذلك باسناد متصل ذكره سفيان عن عمرو ابن دينار عنه

« هذا كله اذا أطلق الزوج وأما اذا اشترط السلامة أو شرط الجمال فبانت شوها ، أو شرطها شابة حديثة السن فبانت عجوزا شعثاء ، أو شرطها بيضاء فبانت

سوداء، أو بكرة فبانت ثيباً، فله الفسخ في ذلك كله، فإن كان قبل الدخول فلا مهر وإن كان بعده فلها المهر وهو غرم على وليها إن كان غره، وإن كانت هي الغارة سقط مهرها وأودع عليها به إن كانت قبضته. ونص على هذا أحد في إحدى الروايتين عنه وهو أقسهما وأولاهما بأصوله فيها (إذا) كان الزوج هو المشرط، ونقل أصحابه إذا شرطت فيه صفة فإن بخلافها فلا خيار لها إلا في شرط الحرية إذا بان عبداً فلها الخيار، وفي شرط النسب إذا بان بخلافه وجهاً. والذي يقتضيه مذهبه وقواعده أنه لا فرق بين اشتراطه واشتراطها بل أثبات الخيار لما إذا فاته ما اشترطته أولى لأنه لا يتمكن من المفاارقة بالطلاق، فإذا جازله الفسخ مع تمكنه من الفراق بغيره فلا يجوز لها الفسخ مع عدم تمكنها أولى، وإذا جاز لها أن تفسخ إذا ظهر تزوج ذا صناعة دينة لا تنسب في دينه ولا في عرضه وإنما تمنع كمال لذتها واحتياجها به فإذا شرطته شاباً جليلاً صحيحاً فإن شيئاً مشوهاً أعى أطرش أخرس أسود فكيف تلزم به وتمنع من الفسخ؟ هذا في غاية الامتناع والتناقض والبعد عن القياس وقواعد الشرع وبالله التوفيق

«وكيف يمكن أحد الزوجين من الفسخ بقدر المدسة من البرص ولا يمكن منه بالجرب المستحكم المتمكن وهو أشد إعداء من ذلك البرص اليسير وكذلك غيره من أنواع الداء العضال»^(١) وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم على البائع كتمان عيب سلعته وحرم على من علمه أن يكتبه من المشتري فكيف بالعيوب في النكاح وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس حين استشارته في نكاح معاوية رضي الله عنه أو أبي جهم رضي الله عنه «أمامعاوية فصلوك لآماله وأما أبوجهم فلا يضع عصاه عن عاقبه» فلم إن يان العيب في النكاح أولى وأوجب فكيف يكون كتماناً وتدليساً والفش الحرام به سبباً للزومه، وجعل ذا العيب غلاً لازماً في عتق صاحبه مع شدة نفرتة عنه ولا سيما مع شرط السلامة منه وشرط خلافه؟ وهذا مما يعلم يقيناً أن التصرفات (في) الشريعة وقواعدها وأحكامها تأباه والله أعلم

«وقد ذهب أبو محمد بن حزم إلى أن الزوج إذا شرط السلامة من العيوب

فوجد أي عيب كان فالتكاح باطل ، من أصله غير منعقد ولا خيار له فيه ولا اجازة ولا نفقة ولا ميراث ، قال ان التي أدخلت عليه غير التي تزوج اذ السائلة غير المعنية بلا شك فاذا لم يتزوجها فلا زوجية بينهما اه

﴿ الاصرار على البدع ، وما يشترط في مكان الجمعة وزمانها وعدد جماعتها ﴾
(٤ - ٧) من الشيخ يوسف أحمد سليمان الطالب بمشيخة الاسكندرية .

من (طملاي) بمركز منوف

فضيلته الاستاذ مفتي المنار

سأل عبد الرحمن أحمد الصمدي من طملاي عن حكم فعل البدع التي كثرت ما نهينا أئمة البلد عنها والله الحمد فأجبتم اجابة كافية شافية في الجزء التاسع الذي صدر في ٣٠ ربيع سنة ١٣٣٥ (صحيفة ٥٣٨) وعرضنا الجواب على علماء الناحية لافرق بين مدرس في الازهر وغير مدرس فقروه وفهموه ، والتمسنا العمل بما علموه فامتدوا وقالوا ان ترك العمل غير جائز والعمل بالبدع جائز وهو أحسن ! ولذا لم يتركوا حتى ولا واحدة بل زادوا الطلل والرايات أمام الجنازة اذا شخص منهم مات وعضوا عليها بالنواجذ . وقد رأينا في كتاب فتاوى أئمة المسلمين للشيخ محمود صحيفة : سئل الشيخ أحمد الرفاعي عن الذي لم يرض بسنة النبي في الصلاة أو الدفن فهل تصح الصلاة خلفه ويصح ان يحمل من عدد الجمعة ؟ فأجاب بأن الصلاة خلفه باطلة واذا جعل من عدد الجمعة بطلت صلاة الجمعة على جميع المسلمين . وسئل الشيخ سليم البشري عن رجل يقول بدمم جواز ترك البدع المجمع على بدعيها كالترقية الخ واذا قيل له سنة النبي صلى الله عليه وسلم ترك هذه الامور لا يقبل النصيحة وهذا الرجل امام راتب في مسجد فهل يصلون جماعة في المسجد قبله أو معه أو بعده ؟ فأجاب بأن هذا الامام مبتدع فلا يكون اماما للمسلمين وعليهم ان يجتهدوا في منعه من الامامة ولو بواسطة الافراد

فعلى هذا

هل الشرع الذي شرعه لنا رسول الله يرى لنا رخصة في كوننا نصلي الجمعة

في الفخط أو في البيت أو في المسجد بمدد أقله ثلاثة غير الامام الخاطب من وقت صلاة العيد الى الاصفرار هل ذلك يجوز أم لا وما هي التي تجزئ أشفاً بالجواب
رفعتك الملك الوهاب

الجواب في مسألة البدع

البدع منها ما يكون كفراً أو وسيلة الى الكفر ومنها ما هو حرام وما هو مكروه ، وليس في البدع الشرعية شيء ، جائز كان يكون مباحاً ، لأنها لا تكون الا ضلالة كما ورد في الحديث ، وقد صرح بهذا العقيد ابن حجر المكي في الفتاوى الحديثية (ص ٢٠٦) وأما البدعة غير الشرعية فهي التي قالوا أنها تنقسم الى الاحكام الخمسة كما بينه ابن حجر في ص ١١٢ من الفتاوى الحديثية أيضاً ولكنه أخطأ في بعض الامثلة ، وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية وقد فصل العلامة الشاطبي هذا البحث تفصيلاً تاماً في كتابه الاعتصام ، وسبق لنا نقل كثير من فصوله . ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجبل بلغ من أحد ينسب الى الاسلام مبلغاً حمله على القول بأن العمل بالبدعة الشرعية جائز وأنه خير من تركها . وما نقله السائل عن الشيخ أحمد الرفاعي فيه مبالغة لا نعرف لها وجهاً بذلك الاطلاق ، وما أفتى به الشيخ سليم البشري حق ظاهر والشيخ أقدر من كل أحد في مصر على مقاومة البدع وابطال كثير منها وذلك لا يكون بفتوى منه فانه يقل في هذا القطر من يترك شيئاً تعودته الفتوى عالم ، ولكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر مالا يؤثر الفتاوى الفردية

يسهل على الشيخ وهو رئيس العلماء - أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الاربعة في الأزهر ويأمرها باحصاء البدع الفاشية في المساجد والازحرة والموالد وغيرها وتأليف رسائل في التغير عنها وتطبع وينشر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين أفتوها وأقروها ، وأن يهتد الى علماء جيم المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع ، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمتكرين على كل من يخالفها ، ويمكن طبع الآلاف من هذه الرسائل على نفقة الاوقاف الخيرية المطلقة وتوزع بها بغير عن - وأن يهتد الى بعض المنشئين المجدين

بإنشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الاوقاف على خطباء جميع المساجد لينخطبوا بها ، وأن يقترح على الشراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع . ويسهل عليه أيضا ان يتوسل بالحكومة الى ابطال كثير من تلك البدع ولا سيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها . فمضى الله أن يوفق الشيخ الى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخرا له عند الله تعالى وموجبا لثناء الناس كلهم بحق الجواب عن مسألة العدد في الجمعة

اختلف العلماء في العدد الذي تنعقد به الجمعة على خمسة عشر قولاً قلها الشوكاني عن الخافظ ابن حجر أضعفها القول بأنها تصح من الواحد فلا يشترط فيها عدد — وقد قلل الاجماع على خلافه — ثم القول بأنها لا تنعقد بأقل من ثمانين وهو أكثر ما قبل فيها . وأوسطها القول بأنها تصح من اثني عشر غير الامام وهو العدد الذي بقي مع النبي (ص) فجمعت بهم حين انقض الناس الى التجارة وهم الذين نزل في شأنهم آخر سورة الجمعة ، فظاهر حديث جابر في المسألة عند أحمد والشيخين انه صلى بهم وان لم يصح بذلك وصح عند الطبراني وابن أبي حاتم أنه (ص) سألهم عن عددهم فكانوا ١٢ رجلا وامرأة فلو لا اعتبار العدد الذي لا يعرف الا بالعدد دون مجرد النظر لم يسألهم وفيه ان ذلك لا ينفي صحتها بأقل من هذا العدد لان هذه واقعة عين لا تدل على العموم وإنما وجه الاستدلال به أن يقال فيه ما قيل في خبر انعقادها بالاربعة وهو ان الامة أجمعت على اشتراط العدد في الجمعة وقد ثبت جوازها بهذا العدد فلا يجوز بأقل منه ولا سيما في الابتداء الابدال ولم نرد ليلا صحيحا لاحد من قالوا بانعقادها بأقل من ذلك فأقول ما يقال فيه ان انعقادها بما دون هذا العدد مشكوك في صحته ولا يزيل هذا الشك قياسها على الجماعة الذي استدلل به من قال بانعقادها باثنين أو ثلاثة مع الامام أو بدونه لانه معارض لما دل عليه سؤال النبي (ص) عن عدد من بقي يوم انقض الناس من حوله . ولان مخالفة الجمعة لقبرها من الصلوات الخمس في بعض الاحكام فارق يبطل صحة القياس ، ولو كان صحيحا لما خفي على الصدر الاول ولم ينقل عنهم التجميع بثلاثة ولا أربعة ولكن في الاربعة حديثا لا يصح . هذا ما أراه أقوى (المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد العشرون)

الاقوال في المسألة . وقال الجافظ عند ذكر القول الخامس عشر وهو اشتراط جمع كثير بنبر قيد : ولعل هذا الاخير أرجحها من حيث الدليل اه وفيه ان الاثنى عشر اذا لم يكنوا جمعا كثيرا فما حد الكثرة عنده وهي من الامور النسبية وما الدليل عليها ؟
الجواب عن مسألة مكان الجمعة

اشترط بعض الفقهاء أن تقام الجمعة في مصر جامع أي مدينة ولم يميزوا إقامتها في القرى بمصناها العرفي أي الضياع أي البلدات القليلة السكان . وروي ذلك عن علي كرم الله وجهه مرفوعا وموقوفا وقد ضعف أحمد رفعه وضح ابن حزم وقفه وعليه زيد بن علي والباقر والمؤيد بالله من أئمة المعتز وأبو حنيفة وأصحابه . والجمهور يحضرون التجمع في القرى بالمعنى العرفي المذكور ومن حججهم ما رواه البخاري وأبو داود عن ابن عباس (رض) : أول جمعة جمعت بعد جمعة جمعت في مسجد رسول الله (ص) في مسجد بجوائي من البحرين — هذا لفظ البخاري ولفظ أبي داود : بجوائي قرية من قرى البحرين . وزاد أيضا « في الاسلام » . بعد قوله : أول جمعت جمعت . قالوا وصلاة الجمعة في ذلك الوقت مما لا يفعله الصحابة باجتهدهم بل بأمر النبي (ص) أي وإن فرض فعلا باجتهدهم فلا يعقل أن يخفى عليه فإذا لا يكون إلا بأمره وهو الراجح أو باقراره اذ لو أنكره عليهم لتوفرت الدواعي على قتله . وكعب عمر الى أهل البحرين أن جمعوا حينما كنتم وصحبه ابن خزيمة عنه . وروى عبد الرزاق عن ابن عمر باسناد صحيح انه كان يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعتب عليهم . أقول ولا حجة فيما هو آثار عن الصحابة مختلفة والقرية في حديث ابن عباس الذي في معنى المرفوع هي المصر . ويمكن الجمع بأنهما تصح من أهل الضياع والمزارع ولا تجب عليهم بل على أهل المدن . ونص حديث علي المشار اليه آنفا « لاجمة ولا تشريق الا في مصر جامع »

والقرية والمدينة والمصر والبلد تتوارد على معنى واحد في اللغة وإن كان بينها فروق دقيقة في موادها فقد أطلق في القرآن اسم القرية والبلد على مكة وهي أيضا مدينة ومصر بلا خلاف ، وأطلق اسم القرية في سورة يوسف على مصر (١٢ : ٨٢) وقال علماء اللغة : القرية — بالفتح والكسر — المصر الجامع . ولا ندري متى جعل

المولدون لفظ القرية اسما للبلدة الصغيرة وفسر أهل اللغة المصر بالكورة والصقم ، والكورة بالمدينة ، وقالوا ان الكورة والخلاف والرساق والجند واحد ، وهو مجموع القرى والمزارع ، فكان المصر البلد الذي يتبعه عدة مزارع وضياح وهو كالبلند في عرف مصر ، وقال الراغب المصر اسم لكل بلد محصور أي محدود يقال مصرت مصرا — أي بنيته ، والمصر الحد . اهـ وقول الليث انه عندهم الكورة التي تقام فيها الحدود ويقسم الفي ، والصدقات — من غير مؤاخذة الخليفة اصطلاح اسلامي واشترط بعض العلماء اقامة الجمعة في مسجد مستدلا بعمل الناس في الصدر الاول وما بعده ، والعمل وحده لا يعدونه دليلا ، وروى أهل السير انه (ص) صلى الجمعة بالناس في بطن الوادي قبل وصوله الى المدينة ، وصرح ابن القيم بأنه صلاحها هنالك في مسجد ، والجمهور لا يشترطون المسجد ، وثبت عن الصحابة اقامة الجمعة في مصلى العيد خارج البلد

الجواب عن مسألة وقت الجمعة

ورد في الاحاديث الصحيحة التصريح بان النبي (ص) كان يصلي الجمعة حين تحيل الشمس أي عند الزوال بأنهم كانوا يصلون معه ثم يرجعون الى القائلة فيقولون — روى المعينين أحمد والبخاري من حديث أنس ، والقائلة الظهيرة أي منتصف النهار والقبسولة وهي النوم في الظهيرة أو الاستراحة فيها وان لم ينم وفي حديث سهل بن سعد الذي اتفق عليه الجماعة : ما كنا نقيل ولا نتقضى الا بعد الجمعة . أي في عهد النبي (ص) كما صرح به في رواية مسلم والترمذي . وعن ابن قتيبة لا يسمى غداء ولا قائلة بعد الزوال ، وهنالك احاديث أخرى بهذا المعنى أخذ بها الامام أحمد فقال بصحة الجمعة قبل الزوال وتكلف الجمهور تأويلها وذهب بعض أصحاب أحمد الى أن وقتها وقت العيد وبعضهم الى أنها لا تقدم على الساعة السادسة أي التي تنتهي بالزوال والجمهور منهم كثيرهم فالمعروف في قههم ان وقتها وقت الظهر ولا دليل على صحتها في وقت العصر ، والتجميع قبل الزوال مختلف فيه وموجب للافتراق والقيل والقال بلا فائدة ، فلا ينبغي الاقدام عليه

رحلة الحجاز *

٤

السفر الى مكة المكرمة

في صبيحة يوم السبت سافر ركب المحمل المصري من جدة قبل شروق الشمس وفي ضحوته سافرت والدة والشقيقة ومعهما الصديق الكريم الشيخ خالد النقشبندى والصهر الحليم محمد نجيب أفندي وقد استأجرنا لهم أربعة جمال بحجبتين اثنان للركوب واثنان لحمل المتاع (الغش) وأرسلت حكومة جدة معهم جنديان عرييان من جنود الشريف المهجانة للخفارة وزودهم صديقنا ومضيفنا الشيخ محمد نصيف بأنفس الزاد الكافي . وتأخرت عنهم لاتمام ما كنت بدأت به من كتابة نبذة من التفسير للمعارف لارسالها مع البريد من جدة مع كتابة مالا بد من كتابته الى مصر . ثم سافرت بعد صلاة العصر من هذا اليوم على حمار استأجرته بمئة قرش عما في ولم أكد أظفر به لولا مساعدة الاصدقاء لان المفاربة والمصريين قد سبقوا الى استئجار جسيم حمار البلد أو أكثرها . وسافر معي جنديان من هجانة العرب بأمر الحكومة لاجل التكرم لا الحفظ فانها واثقة بأمن الطريق، وركب معي الشيخ محمد نصيف والشيخ مساعد الياقي مدير الشرطة في جدة وبعض الاصدقاء مشيعين مودعين ثم عادوا عند غروب الشمس الى جدة وقد زودني الصديق المضيف بالزاد النفيس الكافي كما زود الاسك والصحب واختار لي شابا نشيطا من أهل جدة للخدمة في الطريق وأخذ الحمار في مكة وأدركنا في الطريق أحد الحجاج المصريين على حمار فراقنا .

العناية بأمر الماء في السفر

ولم أهتم لنفسى الا بملء إبريقى المعدني الذي يحفظ ما يودع فيه من بارد وحار زمانا طويلا بقطع الثلج وملء قربة من الماء النقي . ذلك بأنى أعنى بأمر الماء مالا أعنى بأمر الطعام ولا سيما في السفر ، ولا يشق على فقد شيء من طيبات الدنيا

(*) تأخر نشره بقدر نعمة

التي اعتدتها الا الماء البارد النقي : وهذا الابريق من نوع الروايات (الواد) أوعية الماء للسفر) الافرنجية التي يسمون واحدها (ترموس) وأكثر هذا النوع عمودي الشكل وهو يحفظ ما يودع فيه من بارد وحارّ يوماً وليلة بالتقريب، وأبريقي الذي ذكرت بخلافها في الشكل والجودة فهو نوع جيد يحفظ الثلج أو الجليد عدة أيام لا يذوب منه الا القليل وقد ملاّته بالثلج مرة في طرابلس الشام وسافرت قاصدا مصر فبت في بيروت ليلتين وفي البحر ليلتين بعدها لم أحتاج فيها اليه لاني أعدته لشرب الليل والماء المتلوج متمسر في الباخرة عامة النهار وناشئة الليل، وقد اتفق ان كان منزلي (القمرة) من الدرجة الاولى بجانب مستودع الماء المتلوج للباخرة ، وفي ضحوة اليوم الخامس نزلنا في بحجر الاسكندرية الصبحي فتأهت الابريق فاذا بالثلج فيه لم يذب الا بعضه . وقد كان هذا الابريق هدية من سلطان مسقط السابق السيد فيصل رحمه الله تعالى - ولم أر هذا النوع الا عنده أهدها الي عند سفري من مسقط سنة ١٣٣٠م اذ رأى أنني حين كنت في ضيافته لم أسأل عن شيء الا عن الماء المتلوج. وكان عنده آلة اصنع الثلج ولكنها كانت معطلة في فصل الشتاء وكان وصولي الى مسقط في أول فصل الربيع والشمس في برج الحمل (شهر ابريل - نيسان) فأمر باصلاح الآلة واستعمالها قبل الموعد المعتاد عندهم لاجلي ، ووضع عندي في دار الضيافة ابريقا من هذا النوع الذي تسكلم عنه ليتيسر وجود الثلج عندي في كل ساعة من الليل والنهار، ولما سافرت وجدت مع متاعي في الباخرة ابريقا آخر منه جديدا لم يستعمل من قبل، فاستفدت منه في سفري ذلك، وكان أكبر نفعه في السفر من البصرة الى بغداد في شط العرب ودجلة اذ قل الثلج في الباخرة بين العمارة وبغداد ثم فقه، ثم في السفر من بغداد الى حلب، ولا يوجد الثلج بينهما الا في مدينة دير الزور وهي بين العراق وسورية، وكان شائنا في تدير ماء الشرب في ذلك الطريق - الذي قطعناه في ١٨ ليلة في مركبات (عربات) سفريّة تسير على ضفاف الفرات لا تبعد عنه في بعض الاحيان الا قليلا - اتنا كلما نزلنا منزلا في المساء نأدر الى تقطير الماء في قدور من الفخار ثم نبرده بهواء الليل الجاف البارد في أكواز (قلل) الماء البغدادية وفي قلة معدنية منشأة بقماش يبلل بالماء فيبرد المعدن بضرب الهواء لهوي يود الماء

برده ، — وهذه القلة أهداها الي الطيب النطاسي بمحمد عبد الولي في مدينة لكةنو بالهند — وكنت قبل الادلاج في آخر الليل املا الابريق المعبود من هذا الماء وترمسا آخر عموديا من النوع المعروف لكثرت في هذه البلاد كان أهدها الي صديقي السيد يوسف الزاوي أكبر سموات مسقط بمدينة السلطان فيها ، فكنت أشرب في بكرة النهار من هذا وأدخر ذلك الي العشي لانه أحفظ والتغير فيه أبطأ ، وقد انكسر العمودي معي في حماه ، ولا أسف عليه لان مثله كثير ، الا أنه أثر من صديق ، ثم انكسر الاول في مصر فألقي كسره لطرافته وقائدته ولكونه أثرا من ذلك السلطان الكريم سقى الله لحده ، ولكن نجله البر الوفي صديقي السيد نادر قائد الجيش الاول لسلطنة مستطأ أهدها الي أبريقا آخر عوضا عنه ، وهو الذي كان معي في الحجاز وكان ماحلت فيه من الثلج كافي لي بين جدة ومكة الآن ماء قرية الجبل تغير في الطريق لانها كانت بعيدة العهد بالاستعمال

وسبب حفظ الترمس لما يودع فيه مدة طويلة هو انه مؤلف من أثنين أحدهما وهو الظاهر معدني وثانيهما زجاجي باطنه كاللآة وظاهره مفشي بمادة من المواد البسيطة التوصيل للحرارة والبرودة ويوضع الزجاجي في باطن المعدني منفصلا عنه ويكون الاتصال بينهما من أعلى الفوهة ولهذا الفوهة صمام (سداد) من الفلين على رأسه قطعة من معدنه الابيض ويكون فوقها غطاء المعدني المتصل به ، فاذا رفع الصمام قليلا أمكن صب الماء من بلبل الابريق

أطلت في مسألة الماء ليستفيد مما كتبت من يعنون بأمر صحتهم ورفاهتهم في السفر . والمانية بأمر الماء المحمودة بل ضرورية ، فالأمر الردي ، يكون سببا لأمراض كثيرة ، إذ الماء يحمل من جراثيم الأمراض والابوثة مالا يحمل غيره . وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يأكل ما وجد ولا يذم طعاما ولكنه لم يكن يشرب من كل ماء يوجد بل كان يستعذب له الماء من آبار السقيا وهي على مسافة يوم من المدينة أو أكثر ، وكان أحب الشراب اليه العذب البارد . والماء الذي يوجد بين جدة ومكة في القهاوي — أي الاكواخ التي يأوي اليها المسافرون للاستراحة وشرب القهوة والشاي — كله قدر فلا أصله جيد ولا أوانيه نظيفة ، وماء (بحرة) التي ينزل فيها

جميع الحجاج للاستراحة ودي . غير عذب . ويقال ان بالقرب منها بنز لا بأس بمائها ولكن لا يسهل الا على الاقلين الوصول الى شي . منها . فمن الضروري للمسافر الذي يعنى بصحته ان يحمل ما يكفيه من الماء بين جدة ومكة في سفره من كل منها الى الاخرى . وللاشقاؤف قتل من الفخاوير بطونها في مؤخرتها فيكون ماؤها مقبولا ولا سيما في الليل

القهوات في طريق مكة والدكرور

نزلنا بعد المغرب في أول قهوة من القهوات التي أشرنا اليها آنفا فأذنت وصليت المغرب والعشاء جمعا وقصرا وصلى معي الرفاق وشربت الماء المثلوج وشرب الرفاق القهوة وبعد أن استرخنا قليلا أعطيت صاحب القهوة عنهم أضعاف المتاد فدعا لنا ، وركبنا حمرنا وركب الخنديان هجانتهما وصيرنا لا نرى من الحجاج في الطريق الا سودان الدكرور مشاة على أرجلهم رجالا ونساء وأطفالا يحمل الرجال حراهم والنساء أطفالهن على ظهورهن وما لديهن من المتاع والزاد على رؤسهن ، وكنا نرى بعضهم نياما على جانبي الطريق ، فهم ينامون اذا تعبوا فاذا استيقظوا في أي ساعة في ليل أو نهار مشوا لا يخافون اللصوص ولا قطاع الطريق ، وقد قيل لنا انه لا يتعرض لهم أحد بسوء ، لانه لا يكاد يوجد معهم شي . له قيمة ينفع به اللصوص من الاعراب هنالك فأكثرهم عراة لا يملكون من اللباس ما يزيد على ستر العورة ولباس جميع رجالهم ونسائهم الابيض وهم مع ذلك يدافعون عن أنفسهم دفاع الابطال بحراهم السودانية فلا يستهان بهم مع كثرتهم ، فانهم منتشرون طول الطريق لا تبعد ثلثة منهم عن أخرى الا قليلا ، واللصوص قلما يكونون كثيرين الا اذا كانوا يقصدون سلب القوافل الكبيرة

أمن الطريق وحادثه اعتداء

وقد كان الطريق في هذا الموسم آمنا مطمئنا لم يلقنا أنه وقع فيه اعتداء على أحد الا ما حدث بالقرب منا فاننا سمعنا قبل انتهاء الثلث الاول من الليل صوت طلق رصاص استغز الحارسين الذين معنا فسالتهما ما هذا ؟ قالوا « قوم » وهم يبنون بكلمة القوم اللصوص وقطاع الطريق ، وأشارا علينا بأن نسرع في السير ما استطعنا

وقصد قهوة كنا نرى ضوءها فنزل فيها ، وتركنا مسرعين بهجهما الى الجهة التي سمع منها صوت الرصاص ، وطلقنا نحن نلكرز جهرنا مسرعين بها الى تلك القهوة فبلغناها بمد جهد وعناء فاسترخا فيها ساعة وشرب رفيقاي الجندي والمصري الذي الفيناها في الطريق الشاي ورأينا هناك أناسا من الفقراء يطلبون من القهوة طعاما . ثم جاء الجنديان مع رجل آخر . فأخبرا أن القوم (قطاع الطريق) الذين سمعنا صوت رصاصهم قد شردوا بعمرين للرجل الذي عاد متهما ولرفيق له وكانا عائدتين من جده بمد بيع ما كانا حملاه اليها وان خفوا الطريق ما زالوا يتقفون أثرهم ، وقال الرجل انه لم يره ورفيقه الا لصا واحدا ولكنه مسلح وهما أعزلان

النزول ببحرة

وبعد استراحة الجنديين وشربهما الشاي أكرمت صاحب القهوة واستأقنا السرى فبلغنا (بحرة) في منتصف الليل تقريبا ورأينا أنوار ركب المحمل المصري بالقرب من الخصاص التي يأوي اليها الحجاج وغيرهم من المسافرين . والخصاص جمع خص وهي البيوت من عيدان الاشجار أو القصب أو غيره من النبات ، وهي هناك كثيرة تسم الالوف الكثيرة من الناس وعلى جانبي الطريق سوق منها فيه الحوانيت والقهوات وأن شئت قلت الخانات أو الفنادق لا يواء المسافرين فيجد المسافرون فيها الماء والحبز واللحم والبيض وأنواعا أخرى من الاغذية وقهوة البن والشاي ، والموسرون من المسافرين قلا يحتاجون الى شيء منها لانهم يحملون زادهم من جدة أو مكة لعلهم بأن ما يوجد هناك غير نظيف ولا جيد . والخصاص التي وراء هذه السوق التي في الطريق العام عبارة عن دور يأنف كل منها من عدة بيوت يمكن ان يحمل بعضها للنساء وبعضها للرجال ولها حراحيض وراء المساكن . وقد نزلنا في قهوة كبيرة كنا أوصينا بالنزول فيها فاسترخا فيها ساعتين كاملتين وكنا قد جئنا فأكلنا بما نحمل من لحوم الضأن والدجاج والسدك والخضر والحلوى والفاكهة وشربنا الماء الثلوج وحدث الله تعالى حمدا كثيرا . وأحييت أن أعرف أبني نزل جماعتنا فتعذر علي ذلك

السرى من بحرة ومسألة أمن الطريق

ولما اردنا استئناف السرى استأذنتي الجنديان في البقاء ببحرة لانهما يريدان

العودة صباحاً الى جدة ، وجاءني بجنديين عربيين من المشاة فقالا هذان من جنود سيدنا الموكلين بحراسة الطريق وهما يقومان مقامنا ، فسرنا ومشيا امامنا يحمل كل منهما بندقية من الماووز على كتفه شادا منطقة من رصاصها المنضود في وسطه وهو حافي القدمين ليس عليه الا قميص قصير فسألت أحدهما عن أمن الطريق فقال ان الامن تام ولا خوف عليكم في الطريق ، قلت أرأيت اذا هجم علينا قوم كثيرون فاذا تقني عني أنت وصاحبك ؟ قال ان القوم الكثيرين لا يعتدون على الافراد أو الجماعة القليلة من المسافرين وانما يقصدون القوافل الكبيرة التي تحمل ما يحتاجون اليه من الطعام ونحوه ، والقوم القليلون لا يتجرءون على جنود سيدنا وان كانوا أقل منهم ، وفي الطريق على طوله مخافر متقاربة يمكن ايصال أبناء الاعتداء من بعضها الى بعض بسهولة . وحقا ما قل فانا كنا بعد مفارقة جدة بقليل نرى تلك المخافر على جانبي الطريق وكثير منها في الروابي والهضاب وهي كثيرة متقاربة ، وكان هذان الجنديان كلما أبصرا أحدا في الطريق على مقربة منا أسرعنا اليه قبل وصوله الينا وعرفا حاله . وقد رأينا في طريقنا قبل بحرة وبعدها كثيرا من القوافل قاصدة جدة اما من مكة واما من الطائف وهي التي تحمل الفاكة كالرمان والسنبل والسفرجل ، ورأينا ايضا كثيرا من الافراد والجماعات يقصدون جدة . وفي أثناء الساعة الثانية وصلنا الى قهوة استرحنا فيها قليلا واستأذنتي الجنديان بالتخلف وأوصيا جنديا كان هنالك بأن يصحبني الى مكة ، وكانت المسافة قد قربت وعلمت منهما انهما جائعان وليس معهما شيء ، فأعطيتهما ما تيسر من الدراهم

ثم أدخلنا وسألت الجندي عن حال الامن في تلك البقعة فقال ان هذه الارض ارض هذيل الذين انا منهم وهم لا يسرقون ولا يعتدون على أحد وان مانوا جوعاً بل يعيشون بمواشيهم وانما اللصوص وقطاع الطريق هم عرب الشمال . وبعد ان أصبحنا وصلنا الى مكان فذكر لي حادثة من الحوادث المثبتة لاماتهم قال مات في هذا المكان رجل من حجاج المغاربة يظهر انه كان مريضاً فتمسك في الطريق فتحول عنه الى هذا المكان للاستراحة فمات فيه وكان له ولد مفرد عنه وصل مكة فلم يجد والده فعاد يشده في الطريق وكان بعض عربنا قد رأوا الميت ووجدوا معه كيساً

كبراً فيه تقود كثيرة فحفظوه ونا رأوا الولد لدوله على و... به تقوده وأعنوه على
دفنه ولم يأخذوا من الكيس شيئاً ولو شاءوا لاختبئ به

وجملة القول ان العناية بحفظ لادن في هذا الموضع كانت كبيرة وانني لم أسمع من
أحد من الحجاج شكوى اعتداء على نفس ولا مال، ولكن حدثني الولادة بعد الوصول
الى مكة المكرمة انه عرض لهم في اقل رجل ادعى أنه من الحجاج المصريين من المتصورة
وأنه فقير لم يجد ما يركبه وكان يحاول أن يركب البعير الذي عليه اسقاطنا وصناديقنا
ففيهضه أحد الجنديين اللذين مهمم بالكلام فيتحول قليلاً ثم يعود، ولم ينصرف
حتى هدده بالضرب واتهمه بأنه يريد أن يركب البعير ليشرده ويذهب به وأنه لابد أن
يكون له رفاق ينتظرونه. ويجوز أن يكون الرجل صادقاً ولكن اساءة الظن في هذا
المقام من القطنة. والفضل الاول في هذا الامن الذي لم يسمع بمثله منذ قرون شخص
الشريف الحسين بن علي. (١) وقد كان السيد الزواوي قال لي منذ بضع سنين أنه
لم ير أقدر من هذا الامر على حفظ الامن في الحجاز كله وسياسة العرب فيه

بحث لغوي في الحجر والفهر والصخر

لم أستفد من حديث هذا الاعرابي الجندي ولا من حديث من قبله فائدة
لغوية تذكر على اني اكثر من الكلام مع هذا ما لم أكن مع الآخرين ورايتهم
أفصح منهم وذكر له أحياناً من الشعر العربي فرأيتهم جميع مفرداتها، ولكنه
امتنعني بالسؤال عن شيء أبيض في الجبل - ولون الجبل أسود بل أصهب - قلت
أي شيء هو؟ قال ماهو مثل الشاة؟ - والغنم هناك أبيض اللون - قلت نعم.
قال هذا فيهر. وأقول إن المشهور في كتب اللغة ان الفهر الحجر الصفي الذي يؤخذ
باليد ويدق به الجوز ونحوه، وقال بعضهم الذي يملأ الكف، وذلك الحجر كبير
لا يمكن رفعه بيد واحدة ولذلك رجعت الى معاجم اللغة فرأيت في لسان العرب
بعد تعريفه بما ذكرت آتياً « وقيل هو الحجر طقاً » ومن العجيب انه قد فسر
هو والفهر روز بادي الحجر بالصخرة، والصخرة بالحجر العظيم الصلب. وهو تساهل
أو تقصير في تحديد الماني. والصواب ان الحجر اسم جنس لهذه الاجسام المعروفة

(١) نهنا قبل على ان حوادث الرحلة حدثت قبل المباشرة بالملك فبقى التعبير فيها على ما كان عند وقوعها

يطلق على صغيرها وكبيرها وعلى الصاب الشديد اليوسة منها وقبره . وقالت العرب : استحجر الطين أي يبس فصار حجرا . والصخر ما عظم من الحجارة وأحدته صخرة والحصى صغار الحجر وأحدها حصاة وجهها حصيات وحصى . قلها ابن صيده في الخصاص ، وهذا ما يفهمه جميع الناطقين بالضاد من معنى الحجر والصخر والحصى . وقول اللسان في الفهر « وقيل الحجر مطلقا » على ضمه لا يؤخذ على إطلاقه والذي ظهر لي من قول أهل اللغة ومن كلمة الاعرابي الهذلي ان أكثر العرب كانت تطلق الفهر على الحجر الذي يؤخذ باليد الواحدة للدق به والكسر أو الحذف والرجم ، وقيل منهم أطلقه على ما يؤخذ بكلا يديي لدق شيء أو ضربه ، وأكثر العرب تؤنث الفهر ، وورد تذكره في حديث حمالة الخطب فأنها أخذت فهدا وجاءت لتضرب به النبي (ص) فلم تره فقالت لابي بكر (رض) - وهو معه - : لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر . نقله شارح القاموس بهذا اللفظ عن الروض . قال صاحب المهرية :

وأعدت حمالة الخطب الفهر ر وجاءت كأنها الورقة
يوم جاءت غصني تقول في مثلي من احمد يقال الهجاء
وتولت وما رآته ومن أب ن ترى الشمس مقلة عمياه

قهوة سالم

وقد بلغنا قهوة سالم مصبحين وهي في حدود الحرم على مقربة من مكة - وكنا مررنا ايلال بالعلمين المنصوبين للحدوده - فصلينا فيها صلاة الفجر ثم لم أملك نفسي من التعب والنعاس ان اضطجعت فذمت حتى طلعت الشمس . وكنت عازما على الاغتسال في هذه القهوة لدخول مكة عملا بالنسوة وسألت في جدة وفي الطريق عن مكان يمكنني أن اغتسل فيه فقبل لي قهوة سالم ، ولكنني خشيت على نفسي المرض من الاغتسال وتثنت بالماء البارد مع شدة الاعياء فاكفيت بالوضوء . ورأيت أن أنشئي ميلا وأميلين لتأين عروقي رجلي ووركي وأعصابهما انتنيسة من طول الركوب الذي طال علي عهده ففعلت وضايقتي دخول الرمل في نعلي فشيت حافيا ضاحيا (أي بارزا للشمس) كسودان المذكور الذين كنت أراهم أمامي وخلفي وهن يبني وثمالي منذ خرجت من جدة الى ان دخلت مكة

أسرى الترك

ولما قربنا من مكة وظهرت لنا ضواحيها رأينا أسرى الترك الذين أسره العرب في الطائف خارجين منها مشاة في الطريق اليسرى مرسلين الى جدة بخفرهم قليل من الجنود الاعراب ، وفي اليوم الثاني من دخولنا مكة رأينا فيها ضباطهم ركوباً على الابل متلفعين لا ترى الا أعينهم وأنوفهم وهم مرسلون الى جدة بخفرهم قليل من جنود الاعراب المدججاة وكان قد بلغنا في جدة خبر فتح الشريف الأمير عبد الله للطائف بعد ان حاصرها عدة أشهر وتسليم قائد الحامية التركية غاب باشا الذي كان والي الحجاز له وفد الأمير لاستقبال العبد الفقير

ولما بلغنا قهوة العلم وهي آخر قهوة بين جدة ومكة رأيت صديقنا الاستاذ الكبير السيد عبد الله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة مع بعض والده وبعض المكين فأقبل لاستقبالي ونزلت عن دابتي فعاقنا وتصادفنا وجلسنا للاستراحة وبعد السلام قال لي ان هذا الوقت هو وقت دخول سيدنا الشريف عبد الله نجل سيدنا الأمير مكة قادماً من الطائف بعد ان تم فتحها على يديه وقد أعد له احتفال كبير وخرج سيدنا بجميع الشرفاء والوجهاء ورجال الحكومة الى خارج البلد لاستقباله ، ولما علم بأن قدومك يتفق في هذا الوقت أوفدني من قبله لاجل استقبالك وأرسل اليك بقلته هذه مع من ترى من حجاب سيادته لتدخل عليها مكة - وأشار الى بقلته ذهبا ، مشدودة مع حاجبين أبيضين اللون بياض حجر كالكباب التي يلبسها قواسم وكلاء الدول - ولو جئت قبل هذا الموعد لرأيت من العناية باستقبالك ما يسرك ولكنك معنا الآن في استقبال صديقك سيدنا الشريف عبد الله ، ولدخلت بك مكة من الطريق التي دخل منها سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقابلت هذه العناية الهاشمية بالشكر والثناء وخالص الدعاء ، هذا وانتي كنت عازماً عند الوصول الى جدة ان أكتب الى هذا الصديق الوفي أكلفه أن يستأجر لي ولبن ممي داراً ننزل فيها ولكنه كلني بالسرة (التلفون) من مكة فقال ان سيدنا الأمير أهزه الله قد أمر باعداد منزل لك مؤلف من دائرتين احدهما للرجال والاخرى للنساء وفيه جميع ما يحتاج اليه من الاثاث والماعون والخدم وهو بهرب الحرم الشريف . وعلمت من هذا الصديق انه كان يتمنى أن ينزل في داره

ضيوقا عليه لو لم يتفضل (سيد الجميع) بنشر يفنا بضيافته السنية الهاشمية
وقد تذكرت الآن - والشيء بالشيء يذكر - ان صديقي السيد يوسف
الزواوي كبير نجار مسقط وسرواتها - الذي مر ذكره في هذه الرحلة وهو من آل
هذا البيت - كان قد كتب الي وأنا في بجاي نهر الهند الاول سنة ١٣٣٠ يقول
انه بلغه انني عازم على زيارة مسقط ويدعوني الى النزول في داره ولم يكن يعلم أن
سمو سلطانها السيد فيصل رحمه الله وطيب ثراه قد أمر مندوبه في بجاي بدعوني الى
ضيافته وبأن يجبره عن يوم سفري بالبرق (التلغراف) فلما جئت مسقط ونزل السيد
الى الباخرة مع من نزل من ولد السلطان وحاشيته في زورقه البخاري لاستقبالي فيها
أخبرني بما كان تمناه واستعدله من حسن الضيافة لولا ان سمو السلطان نفس عليه
بذلك وقال له أنت تنتظر مثل قدوم فلان على بارنا وتريد ان تستأثر بضيافته من
دوننا ؟ ولكن السيد يوسف أحسن الله اليه أدب لي مأدبة عظيمة في نفس مسقط
دعا اليها جميع كبارنا وجهاؤها رمادية أعظم وأخف منها في دار له بمزرعة في ضواحي
مسقط دعاليها كبارا مسقط وجهاها البلاد المجاورة لها حضرها عشرات منهم فقضيئا
معهم يوما كاملا من أطيب أيام الحياة ذكرناهم فيه بآيات الله فألقينا أذانا صاغية
وقلوبا واعية . وكذلك الاستاذ السيد عبد الله حياه الله تعالى فإنه أدب لنا عدة
مآدب فخمة ، حضر بعضها أهل العلم والوجاهة من حجاج المغاربة ، وسيجي ذكر
هؤلاء المغاربة في هذه الرحلة

﴿ دخول مكة المكرمة والطواف والسعي ﴾

بعد ان استرحنا قليلا ركبت البغلة التي تفضل بلوالها الي سيدنا الامير ،
ومشى أمامي حاجبها وركب السيد الزواوي فرسه الائمة السبر ونجله السيد عبد الرحمن
دابته وسارا الى جانبي ، وركب مطوف بلدنا (طرابلس الشام) الشيخ محمد الحريري
ونجله دواهما وسارا واما ، فلما دخلنا مكة وورنا في أسواقها جعل الناس يقومون
علي الجانبين تكمرا لمن كرم أمبرهم ومتقدم من الملكة ، وان كانوا لا يعرفون شخصه
ولا صفته ، حتى اذا ما بلغ السبر بنا بيت الله الحرام ، دخلناه ومررنا فيه من باب

بني شية^(١) حيث دخله سيد الرسل عليه أفضل الصلوة والسلام ، فلما وقعت العين على الكعبة المعظمة ، التي كساها الله تعالى حلل المهابة والعظمة ، قلت كما كان يقول عمر بن الخطاب عليه الرضوان : اللهم أنت السلام ومنك السلام ، فحينا ربنا بالسلام . وقفيت على ذلك بالدعاء الذي ورد ، وإن لم يصح به السند ، : اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حججه أو اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبراً .

وظفت طواف القدوم والعمرة سبعة اشواط ، وطاف مهى ، طوافاً رافعا صوتاً بما يحفظه من الثناء والدعاء — وهو ما اعتاد المطوفون تلقينه للحجاج — وأنا أدعو وأثني بما أعلم وما أظم . وقد ذكرني المطوف بما كدت اذهل عنه من الرمل في هذا الطواف ، وما يسن فيه من كشف المنكب الذي يكون بالاضطباع ، وبعد الطواف صليت ركعتين وشربت من ماء زمزم ، ثم خرجت من باب الصفا لاجل السعي بين الصفا والمروة ، كنت أحب أن أطوف بالصفا والمروة ماشياً ولكن السعي بينهما سبع مرات عبارة عن قطع ثلاثة كيلو مترات مشياً وذلك ما كنت أعجز عنه في ذلك الوقت لما عرض لوركي من التعب والالام من الركوب عامة الليل على حمار غير فاره لولا الإشتاق له لطول الطريق لحسرتي مراراً ، ولم تنف ركبته للركوع ، ومنعه جذبني الرسن من السجود ، فسميت راكبا على البئلة وهو جائز ورملت بها في موضع الرمل وهو ما بين المبلين (العمودين) الاخضرين النائتين من جدار الحرم . وقد بينت في المناسك ان جميع مناسك الحج قد شرعها الله تعالى على لسان ابراهيم واسماعيل عليهما الصلوة والسلام الا الرمل في الطواف والسعي فانه من آثار نبينا صلى الله عليه وسلم فعله مع الاضطباع وهو عبارة عن كشف المنكب الايمن واظهاره ليظهر قوة المسلمين للمشركين في عمرة القضاء ، اذ كان بلغه انهم قالوا ان محمداً وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال ، وكان بافه عنهم في الحديدية انهم قالوا

(١) هو الآن في صحن الحرم كأنه قوس متصوّر وبقائه في جدار الحرم الشرق بابان يسمى أحدهما باب العباس والثاني باب عتي وفي وسط هذا الجدار الباب الذي يسمونه باب النبي (ص) يليه في الجانب الشمالي باب السلام الذي يدخل منه أكثر الحجاج

في المؤمنين : أو هنتهم حتى يهرب

وبعد السبي عدت الى دار السيد الزاوي إجابة لدعوته فروا بي من طريق آخر
وحجاب الامير آامي والكثيرون من الناس يقفون في دكاكينهم وفي الطريق من
الجانبيين فأحييهم بالسلام وبالإشارة حتى اذا ماجئت الدار أعد لي ماء للاستحمام
فاغتسلت وتغديت مع السيد وولده ونمت وكان الحر قد اشتد فلم أتم الا قليلا . وقد
آاتي السيد متى تحب أن أذهب بك لزيارة سيدنا الامير ؟ فقلت له اني كنت
محرما بالعمرة وقد أديت طوافها وسميها وسأقصر شعري وأتحلل منها ، ولكن ثيابي
مع الوالدة والرفاق فتى وصلوا ألبس ونذهب ، ودرغت اليه في الذهاب الى الدار
المعدة لنا لاجل انتظارهم فيها ، ولما جئت الدار وجدتها على الشارع العام بمحور باب
الحرم الغربي الكبير المسمى بباب ابراهيم ، وقد تأخر وصول الجماعة الى قرب المغرب
فلم تنشرف بتلك الزيارة الا ليلا ، وسأذكر لقاء الامير وشماله في فصل آخر ،

❦ الحالة الروحية عند أداء المناسك ❦

وحكم التلبية والطواف والسعي

الحج عبادة روحية جسدية اجتماعية فهو تربية عالية للانسان منفردا ومجتما .
أي تربية كاملة له ، فان الانسان مركب من جسد وروح ، وقد خلق ليش مجتما ،
وفي الحج تقوية لجسده ولروحه ولروابطه الاجتماعية
أما كونه رياضة بدنية مقوية للجسد فظاهر في جميع المناسك فالاحرام ضرب
من الرياضة والسفر كذلك قد وصفت لك أيها القارئ سفري من جدة الى مكة ،
وعلمت بالاجمال ما قاسيت فيه من المشقة ، مع استكمال أسباب الراحة وقرب الشقة .
وفي الطواف والسعي رياضة المشي التي يصف الأطباء نفعها ويوصون بها ، فذاثرة
الطواف حول الكعبة المعظمة لا يقل متوسطها عن مئة متر وأقل الطواف سبعة أشواط
(مرات) ومن الناس من يطوف في اليوم والليلة أسابيع كثيرة متصلة ومنفصلة ،
أما أنا فلم أستطع أن أزيد على سبعة أسابيع في أمثل الاوقات وأعد لها وهو وقت

السحر ، لما كنت عليه من ضعف البدن ، وكان رفيقي وأخي في الله الشيخ خالد يطوف ضممني ذلك أو يزيد . وإذا كان أقل الطواف وهو أسبوع عبارة عن مشي ثلاثة أرباع الكيلو فان السمي بن الصفا والمردة سبع مرات يقرب من مشي ٣ كيلو وأما كونه مقويا للروابط الاجتماعية فلما فيه من التعارف والتآلف بين الشعوب المختلفة في أفضل بقاع الارض وفي أحسن الاحوال التي يكون عليها الانسان في هذه الحياة وهي التجرد من شوائل الدنيا والتوبة الى الله تعالى من جميع المعاصي والآثام وأما كونه عبادة روحية مهذبة للنفس بتقوية شعور الايمان فهو المقصود بالذات الذي يجب ان يتحرى ويؤى ويلاحظ عند كل عمل من أعمال المناسك ، وهالك خلاصة وجيزة من العلم والاختبار في ذلك :

الحالة الروحية في طريق مكة . وتأثير التلبية

كنت قبل عودة المشيعين لي من جدة أبي في السر قليلا ، وأنتكلم معهم كثيرا ، فلما عادوا ولى النهار بأنسه وبهائه ، وأقبل الليل بوحشته وظلماته ، هدأت المشاعر ، وقرت النواظر ، وخشعت السرائر ، وتزاحمت الخواطر ، فكان الغالب منها على الفكر والقلب ، ما يشير تأثير الزمان والمكان وزوي الاحرام في النفس ، فأما الزمان فهو شهر ذي الحجة الحرام ، وأما المكان فهو الطريق الى بيت الله الحرام ، وأما زوي الاحرام ، فهو الذي كان يتزينا به ابراهيم خليل الله ، واسماعيل ذبيح الله . ومحمد خاتم رسل الله ، وغيرهم من رسل الله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام ، وكل من حج البيت أو اعتمر ، من أصحابهم وأتباعهم هداة البشر ، فيالها من ذكرى لذي اللب ، يخشع لها القلب ، ويرجى بها رضوان الرب ، بما تنمى من قوة الايمان ، وطهارة الوجدان ، وخلوص السر والاعلان ، ولو لم يقترن بها ذكر لسان ، ولا عمل أركان ، فكيف اذا صحبها تكرار التلبية ، التي تزيد حرارتها تذكية ، واخلاصها تزكية : لييك اللهم لييك لييك ، لا شريك لييك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأملت نفسي في تلك الليلة الليلاء ، والطريق الجرداء ، فأرأيتني حاسرا حافيا في ازار ورداء ، غير مبالي بما يكون من تأثير الهواء ، وهي حال لم أعهدها في - ألف

الايام ، الا بين 'جدر' الحمام ، وقد كان الهواء عند خروجنا من جدة حاراً رطباً ، وكانت الدابة وهي في أول السير تنهب الارض منها ، وهذه ثلاثة أسباب ، يتفصد بها العرق من الإهاب ، ثم كنا كلما أوفلنا في السرى وتفلفنا في البداء ، نشمر بجفاف الجو وبرد الهواء ، حتى اضطررت الى اخراج سجاداة صلاة كانت تحتي ، فوضعتها على عاتقي فلم تفتن عني ، فأخرجت العباءة فلففت بها ، جاعلاً لاجل الاحرام أعلاها أسفلها ، ولم أخف من أذى يصيبني من برد الليل ولا ضرر ، ولم يعرض لي سأم من طول السرى ولا ضجر ، فان مسني طائف من شيطان الوسوسة ، ذكرت الله تعالى فطرده بالتلبية : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

وبالله ما أحلى التلبية في تلك الفلوات ، وما أعظم الانس بها في حنادس الظلمات ، اذا خشعت بها الاصوات ، واستطارت بها العبرات ، ومن دقائق حكم الشرع استحبابه رفع الصوت بها للرجال ، وتجديدها بتجدد المناظر واختلاف الاحوال ، فرفع الصوت بها ينفي الوسواس ، واذا كان في الليل يطرد النعاس ، وهو أجاب للخشوع ، وأدرف للدموع ، واستثنائها عند اختلاف الاحوال وتجدد المناظر ، أدهى الى دوام الذكر وعدم تفرق الخواطر ، فكنت كلما علونا نجداً ، أو هبطنا غوراء ، أو نزلنا مكاناً ، أو استأنفنا سرائاً ، أو أقينا مشاة أو ركباناً ، جأرت الى الله تعالى : لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك .

تأثير رؤية الكعبة والطواف بها

تلك التلبية تملأ قلب متدبرها إيماناً وتوحيداً ، وتجرده من الحظوظ والاهواء تجريداً ، وتعمده لزيارة بيت الله والطواف ، وهو في أحسن حال وأتم استعداد ، حتى اذا اكتسحت عينه برؤية الكعبة المظمة ، وراعى القلب ما جلها من المهابة والعظمة ، تذكر أنها أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، وبخسه الله بالآيات والنبات الباقية على بقاء الايام والسنين ، ورأى أمامها مقام ابراهيم عليه وعلى نبينا وآلها الصلاة والسلام ، ووجد نفسه حيث كان بدء دين الله الاسلام وحيث الختام ، فاذا دنامن مهبط الروح الامين ، ومهاض الملائكة والنبين ، والصدقيين والشهداء والصالحين —

(المنار : ج ٢) (١٦) (المجلد العشرين)

فلاتسل ثم من الدموع كيف تسكب ، ومن الصلوع كيف تضطرب ، وعن الاعناق كيف تفضم ، ومن القلوب كيف تفتح ، ولا عن وجدان الايمان ، كيف يتألق نوره في الجنان ، ويفيض بيانه على اللسان ، فيحركه بما يلهم من اثناء ، وما يشعر بالحاجة اليه من الدعاء ، وما يذكركه أو يذكر به من المآثورة ، من مرفوع أو موقوف ، لا تسأل أبا القاري من شيء من ذلك ، ولا عن غيره مما يكون عند أداء المناسك ، فمن ذاق حرق ، ومن حرم انحراف

على هذه الحال تدخل الحرم المقدس ، طاهر القلب والبدن من الحدث والدنس ، فتأتي الركن الاسود ، حيث العظمة والسودد ، فتقول بسم الله الله أكبر ، فيصغر في قلبك كل شؤون البشر ، ثم تبدأ الطواف ، مع النية والاخلاص ، بامس الحجر وتقبيله ان قدرت ، وبالاشارة اليه ان أنت عجزت ، ولا بأس بأن تذكر ما روي من انه رمز الى يمين الله التي لاتشبه الايمان ، وأن استلامه وتقبيله في معنى تحية رب البيت ومبايعة على الايمان والاسلام والاحسان ، ومن أنه يشهد لمستلمه يوم القيامة كما تشهد الاعضاء — وبأن تقول بلسانك أو قلبك ، كما قال أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من قبلك : انني أعلم انك حجر لاتضر ولا تنفع ، ولولا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلك (١) لما قبلك ، فتقبلك ليس لذاتك الحجرية ، ولا لمنفعة فيك مرجوة أو مضرة مخشية ، ولا هذا الطواف الذي بك يتدأ وعندك ينتهم ، في معنى عبادة الوثن وتمظيم الصنم ، وإنما هو خضوع لامر الله ، واقتداء برسول الله ، وتمظيم لما عظم الله ، وأنس بالقرب مما نسب الى الله ، يكمل به توحيد الله ، وتنهي به محبة الله ، فمن شأن المحيين الانس بكل ما ينسب الى المحبوب ، ولا سيما اذا تعذر التقاء وعز الوصول ، وكم نظموا من الاشعار ، في الوقوف بالاطلال والطواف بالآثار

أمر على الديار ديار ليسلى أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شققن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

ولما كان الرب العلي العظيم ، الجدير بأعلى مراتب الحب والتعظيم ، لاتذكره الابصار وهو يدرك الابصار ، ولا يراه عباده في هذا الدار ، كان من رحمته بالمؤمنين المحيين ،

(١) عبارة عمر ولولا اني رأيت رسول الله (ص) يتقبلك الخ رواه الجماعة كلهم

أن وضع هذا البيت للطائفتين منهم والمالكين ، ونسبه اليه ، ليكون تعظيماً وتعظيماً له ،
 فإذا مضيت في الطواف يمينا مصاحباً لهذه الذكرى ، جاء على البيت من الجنة اليسرى ،
 فاشغله بآثاء على الله والدعاء لنفسك . ولا تترك وصحبك ، ولا تترك وأولي أمورك ، فإذا
 بلغت الركن الثاني ، وهو الجنوبي الغربي ، فاستلمه إن سهل عليك فإنه على قواعد
 إبراهيم ، التي ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم ، ومتى انتهيت إلى مقابله وهو
 الركن الأسود ، فقد أتممت من طوافك الشوط الأول ، وبقية الأشواط مثله في
 الشروط والآداب ، كالخشوع والتذكر وترك غير الضروري من الكلام ، وعدم
 التهاوت على استلام الركن والحجر عند الزحام ، فإذا أتممت السبعة الأشواط ، فاختتم
 دعائك بين الركتين بقوله تعالى (ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
 عذاب النار) ثم صل ركتين سنة الطواف ، والافضل ان تصليهما وراء المقام ،
 . تأثير السعي وحكمته

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة ، وليس له نفل فلا يفعل في
 كل منهما أكثر من مرة ، ويجب ان يكون بعد الطواف ، ولا يشترط فيه شروط الصلاة .
 فإذا جئت الصفا ، فاقرا كاقرا الرسول (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقول كما قال
 « نبدأ بما بدأ الله » ثم اصعد درجة أو أكثر واستقبل البيت الحرام ، فإذا رأيته قل
 كما كان يقول عليه الصلاة والسلام : « لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك
 وله الحمد وهو على كل شيء قدير » لا إله الا الله وحده ، أنجز وعده ، وأنصر عبده ،
 وهزم الأحزاب وحده » ، وادع الله تعالى مكرراً ذلك ثلاث مرات .
 وتذكر عند السعي أنه ذكرى سعي جدتنا السيدة هاجر عليها الرضوان ، أم آيينا
 اسماعيل عليه الصلاة والسلام ، وعلى أبيه ، وصغوة بنيه . وبالحسن من ذكرى لمجد
 العرب الكرام ، ومعجزات الاسلام ، مثبتة لحفظ الله تعالى لهذه الملة ، وهباته بهذه
 الامة ، حفظتها العرب بالسل المتواتر . ولم تحفظ ما هو دونها من المآثر . وما يحفظ
 بالتمثيل والحكاية ، يكون أثبت مما يحفظ بالتلقين والروايات ، ولكنهم مزجوا مناسك
 الحنيفة ، بمخالفات الوثنية ، فإن كانوا قد وضعوا صنمين على الصفا والمروة ، فقد
 وضعوا ٣٦٠ صنماً على الكعبة ، ثم طهر الله تعالى هذه البقاع بالاسلام ،

وأعادها الى ما كانت عليه في عهد ابراهيم واسماعيل عليهما وآلهما الصلاة والسلام ،
 وروى البخاري وغيره من طريقين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما كان
 بين ابراهيم وبين أهله ما كان^(١) خرج اسماعيل وأم اسمعيل ومعهما شاة^(٢) فيها
 ماء ، فجعلت أم اسمعيل تشرب من الشاة فيدربنها على صبيها حتى قدم مكة فوضعها
 تحت دوحه — زاد في الرواية الاخرى فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة
 يومئذ أحد ولا بها ماء ووضع هندها جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء — ثم رجع ابراهيم
 الى أهله فاتبعته أم اسمعيل حتى لما بلغوا كداء نادته من ورائه يا ابراهيم الى
 من تتركنا ؟ قال الى الله ، قالت رضيت بالله — وفي الرواية الاخرى أنها قالت
 اذا لا يضيعنا ، وفيها أنه لما كان عند الثنية أي ثنية كداء حيث لا يروونه استقبل
 بوجهه البيت ثم دعا هؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا اني أسكنت من
 قريبي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من
 الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) قال فرجعت فجعلت
 تشرب من الشاة ويدربنها على صبيها حتى لما قفي الماء قالت لو ذهبت فنظرت
 لعلني أحس أحدا — زاد في الرواية الاخرى حتى اذا نفذ ما في السقاء (أي الشاة)
 هطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية ان
 تنظر اليه — (قال) فذهبت فصعدت الصفا فنظرت ونظرت هل تحس أحدا فلم
 تحس أحدا ، فلما بلغت الوادي سمعت وأنت المروة فنعلت ذلك أشواطا ثم قالت لو
 ذهبت فنظرت ما فعل تعني الصبي فذهبت فنظرت فإذا هو على حاله كأنه ينشغ^(٣)
 للموت فلم تقرها نفسها فقالت لو ذهبت فنظرت لعلني أحس أحدا ، فذهبت فصعدت

(١) أهله امرأته سارة غارت من هاجر لما ولدت وحملت على طرد هاجر بطفها اسماعيل ، وفي الفصل ٢٦
 من سفر التكوين (التوراة) ان ابراهيم استاء من كلامها فأمره الله تعالى باخراجها ووعدته بأن يجعل
 اسماعيل ابنه أمه ، وفيه انه زودها هاجر بخمير وقرية ماء واعطاها ابنها فأنهت في برية بر سبع وانه
 لما نفذ ماؤها وتوهمت أن يموت ولدها ، ناداها ملاك الرب وأمرها الماء ووعدتها بجعل ابنها أمه
 عظيمة . وان الله كان مع العلام وانه سكن برية فاران . أقول وفاران من أسماء مكة كما في
 معجم البلدان وما يخالف هذه الرواية مما هنالك من عدمه بقاء . وقالوا ان ابراهيم جاء مكة على البراق
 (٢) بنهم الثمن والنون المشددة القرية اليابسة (٣) يوزن بفتح معناه يشغى من صدره

الصفا فنظرت ونظرت فلم تحس أحدا حتى أتمت سبعا — زاد في الرواية الاخرى قال ابن عباس قال النبي (ص) « فذلك سمي الناس بينهما » ثم قالت لو ذهبت فنظرت ما فعل فاذا هي بصوت فقالت أغثان كان عندك خير فاذا جبريل — وفي الرواية الاخرى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث، فاذا هي بالملك عند زمزم — قال فقال بعقبه هكذا ونحز عقبه على الارض قال فانثنى الماء فدهشت أم اسمعيل (١) فجعلت تحفر (قول) فقال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم « لو تركته كان الماء ظاهرا » — وانظر الرواية الاخرى « يرحم الله ام اسماعيل او تركت أو قال اولم تعرف من زمزم لكائنات زمزم عينا معينا » أي جاريا على وجه الارض — (قال) فجعلت تشرب من الماء ويدربنها على صبيها قال فرأس من 'جرهم بطن الوادي فاذا هم بطير — وفي الرواية الاخرى : فرأوا طائر عاتقا أي يحوم على الماء — كأنهم أنكروا ذلك وقالوا ما يكون الطير الا على ماء فبعثوا رسولهم فنظر فاذا هم بالماء فأتاهم فأخبرهم فأتوا اليها فقالوا يا أم اسمعيل أتأذنين لنا أن نكون معك أو نسكن معك — وزاد في الرواية الاخرى فقالت نعم ونسكن لاحق لكم في الماء ، قالوا نعم ثم قال مصرحا بالرفع « فتنزلوا وأرسلوا الى أهلهم فتنزلوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنفسهم وأعجبهم حين شب فلا أدرك زوجه امرأة منهم ». اه المراد منه ووليه ذكر عودة إبراهيم الى مكة لتفقد تركته أي ما تركه فيها وخبر بنائه البيت ، وجرم كقنفذ هو ابن قحطان ولكن رجح المحافظ ان قحطان نفسه من ذرية اسماعيل.

فهذا حديث صريح في ابن عباس بما يدل على رفعه كله وان لم يسنده الى النبي (ص) في أوله ، وفيه نص صريح في بيان حكمة جمل الصفا والمروة من شعائر الله التي يحيا شعور الايمان بها ، ووجوب التطوف بهما والسعي بينهما ، فانه تمثيل يذكر بتلك الواقعة التي هي من أكبر آيات الله ومظاهر قدرته ، وعنايته بتلك السيدة العظيمة القوية الايمان به والالتكال عليه والثقة به ، وبولدها الذي أراد سبحانه ان يباركه ويحمله أمة عظيمة ، كما هو منصوح في سفر التكوين من أسفار التوراة القديمة ، وأي شيء أجدر بأن تذكره هنالك وغثله كما وقع لاجل الاعتبار به واهيا شعور الايمان بتصوره ، من رضاء

(١) قوله فقال بعقبه هكذا أي فعل. وقوله ودهشت: بفتح الهاء والذال ولا يذر بكسر الهاء

أم مريض بأن تقيم مع طفلها منفردين بعيدين عن العمران، في واد غير ذي فرع ولا ماء، لأن الله تعالى قد أمر بذلك أباً ولدها الذي لقنها الإيمان، ورأت ما أيده الله به من الآيات البينات، وكيف نصره وحده على قومه المشركين الظالمين الاقوياء؟
 أليس تمثيل حال تلك الام جاعة عظيمة، والمه حائرة، وشاهد طفلها يتلوى ويتمرغ، من شدة الجوع والظما، ويضرب بنفسه الارض كالمصاب بالصرع، ويذبح أي يشق من صدره للموت في ذلك القفر، فيسوقها ذلك الالم الى الفرار من رؤيته بتلك الحال، والسعي بين ذنك الجبلين القرييين من ذلك المسكان، تصعد هدامة وتلك أخرى، ضارعة الى الله راجية ان نجد من عنده غوثا، حتى اذا ما انتهت من الشوط السامع أرسل الله تعالى روحه الامين الذي يؤيد به الانبياء، فأنبع لها ذلك الماء، وجعل فيه الري والغذاء، ثم ساق ذلك الركب من جرم اليها، وسخرهم للاقامة عندها، ليتربى فيهم ويتذرعهم ولدها، ثم يجعلهم أصلاً لهذه الامة الكريمة، ويجعل ذلك الوادي القاحل صدفة لدرة الكعبة البشيمة، اذ جعله بلداً يحفظ بيته الذي جعله مثابة للناس وامناً، وجعل قلوب الناس تهوي اليه من جميع الاتجاهات إيماناً ونسكاً، ورزق أهله من الثمرات، وسخر لهم البشر في كل زمان، ألنا نرى في هذا العام معجزة من معجزات هذا التسخير؟ بلى وقد ابتلى في هذا العام وما قبله الامم الغنية القوية، المتصرفة في البلاد العامرة الخصبه الغنية، بشي من الخوف والجوع وقصص من الاموال والانفس والثمرات، بهذه الحرب الاوربية التي قطعت بهم الروابط وقلت المواصلات، واقتضى دخول الدولة العثمانية في غمراتها، ان تضرب البترول المحاربة لها حجراً بحراً على جميع سواحلها، فكان الضيق على سكان حرم الله تعالى ألماً شديداً، حتى اذا ما أوشك أن يفتك بهم الموت جوعاً، سخر الله تعالى لهم تلك الدول تحمل اليهم الاقوات والاموال، وتقل اليهم وفود الحجاج، وأراهم بهذه الاغثة العامة، مثلاً لتلك الاغثة الخاصة، انهي انقاة هاجر واسماعيل، استجابة لدعاء الخليل (فاجعل أفئدة من الناس تهوي اليهم وارزقهم من الثمرات) وكثيراً ما ذكرت الناس بذلك، في أثناء أداء المناسك،

فنسى بين الصفاء والمروة علماً بما ذكر متذكراً له معتبراً به، فانه يشعر في قلبه بنهاه الايمان بالله وبرسل الله، ويفهم سر قوله تعالى (ان الصفاء والمروة من شعائر الله)

باب الاخبار والآراء

﴿ اقتراح عظيم في الاصلاح الاسلامي ﴾

يود بعض المومنين من المستسكنين بعروة الكتاب والسنة، لو يعرفون أمثالهم من الفقراء والمساكين المتجنين للمعاصي والبدع، المحافظين على الفرائض والسنة، ليؤدوا اليهم ما يجب من زكاة المال وزكاة الفطر وغيرهما من الصدقات، إذ لا تطيب أنفسهم أصرفها إلى فاسق ولا مبتدع ولا مجهول الحال، لما يعلمون من فساد البدع والضلال، وكثرة المعاصي والنفاق، دع المجاهرة بالكفر والاختاد، فالصدقات المفروضة التي يتقرب بها إلى الله تعالى لإقامة دينه، يتحرى صرفها إلى من ينفعها في طاعته، أو فساد أباحه لمباداه من الطيات، لا في المعاصي والمحرمات، ولا في البدع وانحرافات، فإذا كانت صدقة التطوع يجوز بذلها لكل مؤمن وكافر، من ذمي أو مستأن، أو معاهد، فصدقة الفرض ليست كذلك. لذلك أقترح علينا بعض هؤلاء المومنين أن نحصى من نعرف ومن يتيسر لنا أن نعرفهم من المؤمنين المؤمنين المتصمين، من فريق المومنين وفريق المستحقين للزكاة من الفقراء والمساكين، والمؤلفة قلوبهم والغارمين، ومن يلم بادارة المنار من أبناء السبيل، وأن نكون واسطة التعارف والتعاون بين الفريقين، لأن وقوف كل فرد من المومنين على هؤلاء المستحقين متعذر، وأن منهم من تعدد تأخيرهم الزكاة عن وقتها زمنا طويلا أو قصيرا لاجل ذلك. ولعمري أن هذا اقتراح جليل، ولكن القيام به على حقه عسير غير يسير، وإذا علم الناس أن بعض الناس يعطون صدقاتهم للجنب كإثر المعاصي والبدع، المحافظين على الفرائض والسنة، يكثر المدعون لذلك وحاملوا الشهادات من العلماء والوجهاء على صحة دعواهم، وأخذ الشهادات على هذا سهل على أكثر الناس في هذا العصر، فإن كثيرا من محبي الصدق يستحلون أن يشهدوا لمن يدعي مثل هذه الدعوى إذا كانوا لم يروا منه ما يصدقها ولا ما يكذبها، وأما غيرهم فلا يتعاطى شهادة الزور وقول الباطل في ذلك، ومنهم من يرى أنه يتقرب به إلى الله تعالى بمساعدة الفقير على تحصيل قوته. وأنا على ما نعلم من العسر في ذلك فنظرفه ونجتهد في القيام به بقدر الطاقة، ونرجو من اخواننا الصادقين إعانتنا على ذلك

السنة الرابعة للحرب

دخلت الحرب في السنة الرابعة من عمرها فشاب لاهواها الولدان وهي لم تزد الا شبابا ، وحدث بها نار حياة الامم ولم تزد نيرانها الا شوبا ، وكان أهم احدث عامها الثالث في المبادئ الشرقية ، ثورة الروس على حكومتهم القيصرية ، واستأطأ القيصر نقولا عن عرشه ، واعتقله مع زوجته وولده ، ثم نفىهم الى سيبيريا حيث كانت حكومته المستبدة تنفي الالوف من أحرار السياسين ، والعلماء والكتاب النابغين ، واكبر العبر في هذا الانقلاب العظيم أن طلاب حكومة الشعب الشورية من الروس عجزوا عن جمع كلمة أحرابهم على شكل آخر لحكومتهم ، فانشقت العصا وتفرقت الشيع ، وتعددت الثورات والفتن الداخلية حتى في الجند ، وقد كانت الحكومة الجديدة الموقفة امسكت عن الحرب عقب الثورة وامسك عنها اعداؤها حتى ظن ان هنالك هدنة ، ثم هجمت في هذا الصيف على النمسة ، فشدد الالمان الهجوم عليها ، واستولوا على كثير من ولاياتها ، واعظم ما استولوا عليه قيمة عندهم ريفا

يلي هذا ما حدث قبله من دخول دولة رومانية في الحرب واستيلاء الجرمان على عاصمتها وقسم كبير من بلادها وخروج الملك والحكومة منها واقامتهم في روسيا ، ويلي استيلاء الانكليز في الربيع الماضي على مدينة بغداد عاصمة المدنية العربية في الشرق ، وتهنئة الملوك ورؤساء حكومات الاحلاف للامم بهذا الظفر ،

واما الميدان الغربي الاعظم فاهم احداثه أن الانكليز والفرنسيين مازالوا يكاثرون الالمان في المدافع والذخيرة وغيره ما حتى كثروهم فيها كما كثروه في عدد الجيوش ، وان الالمان قد جلوا عن قسم عظيم من ارض فرنسا وامتنعوا وراءه في خط أقصر من الخط الاول سموه خط هندنبرج نسبة الى قائدهم العام ، وقد استولى الحلفاء على ذلك القسم ، بعد أن صار معظمه خرابا يابا كما توقعا من قبل ، وحاربوا الالمان عند انسحابهم منه حربا عوانا ، دبحوا فيها كثيرا من الاسرى والمدافع ولا تزال الحرب في هذا الميدان سجالا .

﴿ تاريخ هذا الجزء ﴾

صدر الجزء الاول من هذا الجلد في شوال فوجب ان يكون الثاني جزء ذي القعدة وكان جعل تاريخه سلق شوال خطأ

أولئك الذين مداهم الله أرتك هم أرتو الألبان
أولئك الذين مداهم الله أرتك هم أرتو الألبان

المجلد
١٣١٥

أولئك الذين مداهم الله أرتك هم أرتو الألبان
أولئك الذين مداهم الله أرتك هم أرتو الألبان

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام سوى و «مناراً» كنار الطريق

٣٠ ذي الحجة ١٣٣٥ - ٢٤ الميزان (خ) ١٣٩٦ هـ ش ١٧ أكتوبر ١٩١٧

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه وألقبه وبلده وعمله (وخطبته) وله بعد ذلك أن يرمز إلى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الألفاظ إن شاء. وأتينا نذكر الأسئلة بالترتيب غالباً وربما قدما متأخراً لسبب حاجة الناس إلى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك مثل هذا، ولن مضى على -والله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر بحسب لا عفا له

﴿ حكمة تحريم الدم المسفوح ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ رشيد رضا

ما قولكم دام فضلكم في الدم المنصوص على تحريمه في القرآن الشريف مقيدا بالمسفوح مرة وغير مقيد مرارا وما الحكمة في تحريمه. أفيدوا الجواب ولكم الثواب طيب جمعية الرفق بالحيوان

حسن ذهني

(المجلد العشرون)

(١٧)

(الناظر ج ٣)

(ج) الدم المسفوح هو الذي حرم الله شربه وأكله وهو الذي يراق من الحيوان بذبح أو جرح أو غيرها ، وتقييده بالمسفوح هو الذي نزل أولا في سورة الانعام وما نزل بعده مطلقا فهو محمول على ذلك المقيد ومقيد بقيدته . واحتوز بالقيد عن الجامد كالطعام ، وعما يخاطب اللحم من المائت القليل فانه لا يسفح . وقد بينا في تفسير آية محرمات الطعام من سورة المائدة أن حكمة محرمه أمران أحدهما أنه خبث تستقذره الطباع السليمة فوجب التنزه عن جملة غذاء للمؤمنين الطيبين الذين لا يليق بهم الا الطيبات ، وثانيهما أنه ضار لانه عسر الهضم ويشمل على كثير من الفضلات العفنة ، وكثيرا ما يشتعل على جراثيم الامراض والادواء الخطرة . فان سهل على بعض البارعين في العلوم الطبية معرفة مثل هذا واتقاء ضرره فهو لا يسهل على جميع البشر من البدو والحضر المخاطبين بهذا الدين العام . وتمة الكلام على ذلك في ص ١٣٤ و ١٣٥ من جزء التفسير السادس

(الكتاب وطريق تحصيلها ومكان القرآن والحديث منها)

(س ٩) من صاحب الامضاء بمصر

استاذي الفاضل الشيخ رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله وبعد فانا نعلم مكاتكم من العلم في هذا البلد اذلك

نرجو الاجابة على ما يأتي

ان فن الكتابة والتحرير الذي احياه فينا الاستاذ الامام مازال يتصعد درجات الكمال حتى إنه ليخيل لناظر في كتابات هذا العصر أنه بين أولئك الاعراب البائدين أو العباسيين المتحضرين حسب اختلاف درجات الكتاب . وقد توافقت آراء الكاتبين على أن أقوم طريق الى الكتابة النظر في كلام العرب وحفظ الجيد منه واللسج على منواله . وإنا نجد أحسن كلام في جزالة الالفاظ ومتانة الاسلوب وعلو المعنى كتاب الله تعالى وحديث رسوله وأنا نحفظ الكتاب وكثيرا من السنة ومع ذلك أرانا لا نجد شيئا من الكتابة بل لم نصل فيها الى الدرجة الوسطى من ذلك . وقد بلغنا أن بعض النصارى كان يحفظ القرآن لهذا الغرض

وينتفع به فبأي عين نظر اليه ذلك النصراني حتى انتفع به وما بالك ضلنا هذا الطريق في حين أننا أولى به ؟ وكم من رجل ما حفظ شيئا من القرآن ولا عرف شيئا من السنة غير أنه زاول كثيرا من اللغة العربية هو قليل بالنسبة لكتاب الله وسنة رسوله وبهذا طال باعه فيها وذهب فيها مذاهب آياتها الاولين . فاللهم هي لنا ما يرشدنا الى الصواب . وإنا نرجو الاهتداء بهديك والاستنارة بمنارك ان شاء الله فأجبتنا عن ذلك وما السبب فيه على صفحات المجلة لفائدة القراء ولكم الشكر محمد أحمد عليوه

(ج) كان الناس في أول العهد بالنهضة العلمية والادبية التي جدها الاسلام العرب يطلبون اللغة العربية من أهلها بالتلقي والمشافهة ، ولما سرت العجمة الى الامصار العربية بكنوة مخالطة العرب للعجم فيها صار أبناء العرب ومواليهم من العجم يرحلون الى الاعراب في البوادي فيقيمون عندهم زمنا طويلا يتلقون عنهم العربية الخاصة من شوائب العجمة ، ويحفظون أشعارهم ويروونها كما يحفظون ويروون الكتاب والسنة ، فيتلقاها عنهم طلاب العلم والآداب في الامصار ، بالرواية والدراسة والاستظهار ، ولما استنبطوا منها الفنون لاجل ضبطها وفهمها ، وبيان أسرارها وفلسفتها ، صاروا يتدارسون هذه الفنون في شامهم والدور والقصور مع تطبيق قواعدها على الشواهد من الكتاب العزيز والسنة ، وأقوال العرب وأشعارهم المحفوظة ، فيجمعون بين ملكة اللغة وذوقها ، وبين فنونها وفلسفتها ، ومنهم من كان يضم الى ذلك العلوم الشرعية ، والعلوم العقلية والكونية ، ولا يحول رسوخ ملكتهم في العلوم والفنون ، دون رسوخ ملكة اللغة في منشور ولا منظوم ، وقد انسلخ القرن الخامس للهجرة والعلماء البلغاء كثيرون ، حتى اذا ما قهر منهج التعليم ، وأسلوب التأليف ، وقل الحفظ والحفاظ ، وكثر الاختصار في الكتب وما اقتضاه من البحث في اللفاظ ، ضعف ملكة اللسان ، وسقطت مكانة البيان ، وصار جهابذة علماء الشرع واللغة ، والمصنفون في فنون الفصاحة والبلاغة ، لا يستطيعون التغلث من عقل اصطلاحات علومهم وفنونهم البعيدة عن الاسلوب العربي ، الا الى اسجاع متكلفة ، أو عجمة أو عجرفة ، ومن شاء قايس بين عبارة الزنجشيري في الكشف وعبارة الفخر الرازي

في التفسير الكبير ، وبين عبارة عبد القاهر في أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز ، وعبارة السعد التفتازاني في المطول والمختصر ، فإذا كانت عبارة العلامة التفتازاني في دقتها وتحررها ، نائية عن براءة عبارة الامام الجرجاني في فصاحتها ورشاقة أسلوبها ، وإذا كانت عبارة الامام الرازي على بسطها وايضاحها ، تكاد تمد ركافة عامية في جنب عبارة العلامة الزمخشري في متانتها وعلو أسلوبها ، فما القول في المتأخرين الذين يعدون منتهى العلم الاستعداد لفهم كلام مثل الرازي والتفتازاني ، بل القدرة على المناقشة فيه ، وإيراد الاحتمالات والاجوبة في معانيه ؟

أتى على الامة العربية بضعة قرون وهي في تذلّ وضعف في اللغة ، لا يمضي عليهم قرن ولا عام الا والذي بعده شر منه ، وما سببه الا تنكب سبيل الاولين في حفظ الكثير من الكلام العربي الحر الفصيح وفهمه ، ومعارضة أسلوبه في نثره ونظمه ، فكان اذا اتفق لاحد منهم ذلك بإلهام الفطرة ، أو إرشاد أحد من بقية أهل المعرفة ، فصار كتابا بليغا ، أو خطيبا مفعّوا ، أو شاعرا مجيدا ، أحال الباحثون ذلك على ندور في الاستعداد ، يكاد ينظم في سلك خوارق العادات ، حتى إن ذلك التابع نفسه يظل غافلا عن السبب ، دع من كان بعيداً عنه أو كان منه على كتب بلغ الجهل من أكثر أهل هذه القرون بهذه المسألة كل هذا ولم تكشفه عنهم سيرة سلفهم ، ولا ما يؤثر من العلم وطريقة التعاليم عنهم ، ولا ما شرحه الحكيم عبد الرحمن بن خلدون في القرن الثامن في ذلك وفي هذه المسألة بخصوصها عند الكلام على اللغة العربية وفنونها وآدابها ، وتحصيل ملكة البيان فيها ، فقد وفاه حقاقي أثني عشر فصلا من مقدمته المشهورة وهي الفصل السابع والثلاثون وما بعده الى الحسين ، ذلك بأنه كتب ما كتب والامة في طور يقل فيها من يقرأ مقدمته فيفقه ويعتبر ، ولم يكن كل من يفقه بالذي يقدر على تلافي الخطب ، والسبر بالامة في الطريق القصد ، وقد استبد بأمر الامة الاعاجم الجاهلون ، وقل العلماء المستقلون وساد المقلدون .

أما هذه النهضة الاخيرة فقد كان حكيما السيد جمال الدين مقتدح زنادها ، وشيخنا الاستاذ الامام قائد جيادها ، ولكن السائل البالغ في اطراء المعاصرين من كتابها ، فظفهم في سلك الاولين ، من الفحول المقرمين ، وما هم عيال على بعض

المولدين ، على قلة ما يحفظون من المفردات ، وكثرة ما يخطئون في المركبات :
وأما سؤاله عن حفظ القرآن من النصارى استعانة به على تحصيل ملكة البلاغة
— وهم ثلة من المتقدمين ، وأفراد من المتأخرين ، — بأي عين نظروا اليه وكيف
صار بعضهم بليغاً دون كثير ممن حفظه من المسلمين وأضاف اليه شيئاً من الاحاديث ؟
جوابه أنهم نظروا اليه بعين طالب الفصاحة والبلاغة ، لا بعين طالب الدين
والهداية ، والامور بمقاصدها ، وإنما يستفيد كل امرئ من كل شيء مفيد بقدر
ما تتوجه اليه ارادته من فوائده ، وتحصيل ملكة البيان في العربية لا تتوقف على حفظ
القرآن الكريم ، ولكن حفظه يكون مزيد كمال فيها لمن حفظه وقصد منه ذلك ،
لانه ابلغ الكلام العربي وأعلاه أسلوباً ، وان كان أسلوبه معجزاً لا يمكن أن
يحتذى مثاله ، ومن حفظه لا يقصد ذلك منه لاستفيد شيئاً من بلاغته ، كما انه اذا
لم يقصد الاهتداء به لاستفيد من هدايته ، ومن هنا تعلم أن حفظه وحده لا يكفي
في تحصيل ملكة البيان في اللغة العربية ، بل يتوقف ذلك على ممارسة الكثير من كلام
بلغاء العرب في العهدين الجاهلي والاسلامي أو العهد الثاني فقط ، وان هذه الممارسة
هي الاصل في تحصيل ملكة البيان لانها هي التي تحتذى وقدّر القرآن الكريم أو
ضعفه لا يكفي خلافا لما تظهره عبارة السائل وما قيل في القرآن يقال مثله في الاحاديث
النبوية وان كان أسلوبها غير معجز وذلك ان المحفوظ منها قليل ، واكثرها جهل
مختصرة ، فلا تنطبع في نفس حافظها ملكة التصرف في جميع الاغراض والمخاطبات .
ومن لم يقصد استفادة البلاغة منها لم يستفد منها شيئاً . وان من حافظ القرآن عندنا من
لا قصد لهم من حفظه الانجويد الفاظه وتوقيع آياته على الانعام الموسيقية ليعجبوا
أو يطربوا من يستأجرونهم لقراءته في المآثم أو ليالي رمضان ، ومن الناس من
لا ينظر فيه الا بقصد البحث عن آية يمكن التشكيك فيها بمحملها على غير ما أريد منها
ولا يعجزه أن يجد ذلك ، وقد ذم بعض الشعراء وجهاً أبيض أزهر فشبّه برئة
الحبوان ، وذم ابن الرومي الورد فشبهه بما نثره عنه هذا الكلام . « إنما الاعمال
باليات وإنما لكل امرئ ما نوى »

رحلة الحجاز

٥

مقامنا بمكة قبل الحج

نقدم اتي دخلت مكة ضحوة يوم الاحد (وهو الثالث من أيام ذي الحجة بحسب تقاويم مصر وهو ما ثبت لدى حكومة مكة بعد وكانوا يعدونه الرابع في تقاويمها) واني كنت متمتعا بالعمرة الى الحج ، واني لم أتجاوز يوم الاحد دار السيد الزواوي التي جتهد بعد الطواف والسعي الا مساء اذ جئت المنزل الذي أعد لي من قبل الامير أحسن الله كرامته ، واني لم أخرج منه الا ليلا بعد وصول السيدة الوالدة والرفاق الى قصر الامير للشرف بزيارته . ولقيت في القصر نجله النقيب صديقي الشريف عبدالله ، وليس في مكمن أنجاله النجباء سواه ، اذ كان قد وجه الامراء الثلاثة عليا وفيصلا وزيدا الى فتح المدينة المنورة والامير عبدالله الى فتح الطائف — وتقدم ان فتح الطائف قد تم على يديه قبيل قدومنا ، وانه دخل مكة منهرفا عنها في وقت دخولنا

وفي اليوم الثاني وهو يوم الاثنين رابع ذي الحجة علم الناس بوصولي الى مكة مع الحجاج المصريين ، وذكرته جريدة القبلة في عددها الخامس عشر الذي صدر فيه ، فأقبل الكثيرون من الشرفاء والعلماء والوجهاء لزيارتنا وفي مقدمتهم الامير الشريف عبدالله وبعض من يشار اليهم بعد ، وبقينا الى يوم التروية وهو يوم الجمعة ثامن ذي الحجة لاعمل لنا الاعادة الله تعالى وأخصها التطوف بيته ، والا لقاء الناس في الدار وفي الحرم والاستفادة من مذاكراتهم .

وقد كنت مدة إقامتي بمكة ضيف البدن بنزف دم كان قد عرض لي لم يسبق لي مثله ، فكنت لا أستطيع الطواف الا في وقت الاصيل ووقت السحر ، وثقل علي الحر على أنه لم يكد يتجاوز الدرجة ٣٥ من ميزان سنكراڤ الا قليلا ، ولم اكن أجد راحة في جسدي الا حيث كانت راحة روحي ، وما ذاك الا في الحرم الشريف . ولا يوجد في بطن مكة مكان كالحرم يتخلله الهواء سمته وكثرة الفجاج الموصلة اليه من

الجهات الأربعة ولولا أن وصفه مبين بالتفصيل في كتب المتقدمين والمتأخرين من المؤرخين والرحالين لوصفته في هذه الرحلة الوجيزة . وكنت أصلي الفجر كل يوم بجانب مقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى آله الكرام ، وأصلي المغرب والمشاء في الجانب الشرقي من الحرم مع صديقنا الشريف أبي نجي الذي يعشق فضله وأخلاقه كثير من فضلاء المصريين ، اذ عرفوه باقامته في القاهرة عدة سنين ، وكانت داره في مصر بجوار دارنا من شارع درب الجماميز ، واتفق ان زارته في جدار الحرم الشرقي بالقرب من باب إبراهيم - وكذا داره - فهي بجوار المنزل الذي أنزلنا فيه كما علم مما تقدم . وكان خدمه يفرشون له في كل أصيل سجادة أو سجادتين تجاه زاويته حيث يصلي مع بعض أصحابه وكنت أنا والسيد الزاوي منهم ، وكنا نحيثه في الاصيل ونخرج بعد صلاة العشاء .

لم أجد قوة على رد الزيارة على كل من زارني ولم أتمكن من احصائهم ، فنويت ان أرجئ النظر في ذلك الى ما بعد الانتهاء من أعمال النسك ، ولكنني زرت فوزي بك البكري من سروات دمشق الشام في داره وعبد العزيز بك المصري في منزله وكلا من الشيخ كامل قصاب أحد علماء الشام ومحب الدين افندي الخطيب وقواد افندي الخطيب في ادارة جريدة القبلة وكلهم يعملون فيها ، وكثر التلاقي بيني وبين هؤلاء والحديث معهم في الشؤون السياسية الحاضرة ، وتعرف أخبار المجاز منهم ولم أدخل دار أحد من المكين زائرا الا زاوية الشريف أبي نجي ودار الشيخ محمد صالح الشبيبي ففتح بيت الله الحرام (ورئيس مجلس الشيوخ في الحكومة الجديدة كما يأتي) ثم لم ييسر لي بعد الحج زيارة أحد ممن زارني كما يعلم مما يأتي الا نائب الشرع الشريف الشيخ يونس افندي فأنني زرت في المحكمة الشرعية وكنت عرفته مجاورا في رواق الشوام بالازهر إذ كان يحضر دروس الاستاذ الامام ، وزرت الشيخ عبد الملك الخطيب من أدباء مكة قبل السفر منها بيوم واحد . وكنت أود أن أزرر الشيخ عبدالله سراج قاضي القضاة ووكيل رئيس النظائر في الحكومة الجديدة وأخلو به في داره ساعة للمذاكرة في الشؤون الحجازية فلم أجد فرصة لذلك . وكان قد تفضل بزيارتي في دار الضيافة الهاشمية وأتمني لي على تفسير المنار وطلب

مني جميع ما طبع منه . وقد رأيت أنه في أقرب منزلة من ثقة الأمير وقلما جثت قصر الامارة الا ورايته معه أو منتظرا لقاءه .

وأما الشيخ الشيباني فهو كبير بني شعبة حجة الكعبة المعظمة ووارثي مفتاحها في الجاهلية والاسلام ، ويقتسم من أكبر بيوت قريش بعد بيوتات الهاشميين عامة والعلويين منهم خاصة ، وهم ينسبون الى شعبة بن عثمان بن أبي طلحة ، وهو ابن عم عثمان بن طلحة بن أبي طلحة الصمخاني الذي فتح باب الكعبة للنبي (ص) يوم الفتح ودخلها معه كما في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة والسير والتاريخ . وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر قال : أقبل رسول الله (ص) عام الفتح على ناقه لأسامة بن زيد حتى أتاه بفناء الكعبة ثم دعا عثمان بن طلحة فقال « ائتني بالمفتاح » فذهب الى أمه فأبته أن تعطيه فقال : والله لاتعطينه أو ليخرجن هذا السيف من صليبي (يعني أنه يقتل نفسه بطنه بطنه به حتى يفقد من ظهره) قال فأعطته إياه فجاء به الى النبي (ص) فدفعه اليه ففتح الباب . وظاهر هذه الرواية ان النبي (ص) هو الذي فتح الباب ، وورد التصريح بذلك في رواية عنه أيضا سندها ضعيف في تاريخ مكة للناكبي قال (أي بن عمر) كان بنو أبي طلحة يزعمون أنه لا يستطيع أحد فتح الكعبة غيرهم فأخذ رسول الله (ص) المفتاح ففتحها بيده . ولكن روى عنه البخاري من طريق فليح انه قال : وقال لعثمان « ائتني بالمفتاح » فجاء بالمفتاح ففتح له الباب فدخل . وفي هذه الرواية أيضا انه كان مردفا لأسامة على القصور . وهي ناقتة (ص) وفي رواية أخرى للبخاري وغيره انه (ص) أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا لأسامة بن زيد الحديث . وقال الحافظ في الفتح : روى عبد الرزاق والطبراني من جهته من مرسل الزهري ان النبي (ص) قال لعثمان يوم الفتح « ائتني بمفتاح الكعبة » فأبى عليه ورسول الله (ص) ينظره حتى انه ليتحدر منه مثل الحمان من العروق وية قول « ما يحبسني ! » فمضى اليه رجل وجعلت المرأة التي عندها المفتاح وهي أم عثمان واسمها سلافة بنت سعيد تقول ان أخذه منكم لا يعطيكوه أبدا ، فلم يزل بها حتى أعطت المفتاح فجاء به ففتح ثم دخل البيت ثم خرج منه فجلس عند السقاية . فقال علي (إنا) (يعني بني هاشم) أعطينا النبوة والسقاية والحجابة ، ما قوم بأعظم نصيبا

مننا . فكره النبي (ص) مقاتله ، ثم دعا عثمان بن طلحة فدفع المفتاح اليه . ثم قال
الحافظ : وروى ابن عائد من مرسل عبد الرحمن بن سابط (وهو ثقة) ان النبي
(ص) دفع مفتاح الكعبة الى عثمان فقال « خذها خالدة مخلدة ، اني لم أدفعها اليكم
ولكن الله دفعها اليكم لا ينزعها منكم الا ظالم » ومن طريق ابن جريج ان عليا قال
لنبي (ص) « أجمع انا الحجابة والسقاية فنزلت (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات
الى أهلها) فدعا عثمان فقال « خذوها يا بني شيبه خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا
ظالم » ومن طريق علي بن أبي طلحة ان النبي (ص) قال « يا بني شيبه كلوا مما يصل
اليكم من هذا البيت بالمعروف » اهـ

والظاهر ان ذكر بني شيبه هنا غلط من النساخ صوابه يا بني أبي طلحة ، فان
عثمان بن طلحة هذا هو ابن عم شيبه بن عثمان بن أبي طلحة كما تقدم وكانوا كلهم
يدعون بني أبي طلحة نسبة الى جدهم أبي طلحة عبدالله بن عبد المزي بن عثمان
ابن عبدالدار بن قصي . وقد ذكر الحافظ في ترجمة كل من عثمان بن طلحة وابن عمه
شيبه بن عثمان من تهذيب التهذيب من عبارة الاصل عن مصعب الزيري ان النبي
(ص) دفع المفتاح اليهما معا وقال « خذوها يا بني أبي طلحة خالدة تالدة لا يأخذها
منكم الا ظالم » وذكر عن ابن سعد عن هوزة بن خليفة عن عوف عن رجل من
أهل المدينة : دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفتح شيبه بن عثمان فأعطاه
المفتاح وقال « دونك هذا فأنت أمين الله على يته » وذكر الحافظ هذين الحديثين
في ترجمة شيبه من الاصابة أيضا ثم قال : وذكر الواقدي ان النبي (ص) أعطاهما
يوم الفتح امانا وان عثمان ولي الحجابة الى ان مات فوليا شيبه واستمرت في ولده اهـ
وهذا هو الصواب ، وقد استمرت في ولده الى اليوم وبهذا حفظ نسبهم ، وهظم حسبهم ،
وقد نزعها منهم بعض أمراء مكة ثم عادت اليهم كما يؤخذ من بعض كتب التاريخ
أقول ولاهل هذا البيت أن يغفروا على جميع الناس بهذه الوظيفة القديمة
الثابتة من قبل الاسلام ، التي أقرها الله تعالى ورسوله لهم في محكم القرآن ، وبأن
اقرارها لهم كان سبب نزول تلك الآية العظيمة التي هي قاعدة أصول الاحكام ، وعليها
مدار اصلاح الانام ، وهي قوله تعالى (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها
(الثار: ج ٣) (٢٠) (المجلد العشرين)

وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل (كأن تقدم آتفاً
 وذكر ذلك السيوطي في الدر المنثور من تخریج ابن جریر وابن المنذر عن ابن
 جريج ، بمعنى ما تقدم وفيه أنه قال وقال عمر بن الخطاب : لما خرج رسول الله
 (ص) من مكة وهو يتلو هذه الآية فداؤه أبي وأمي من سمعته يتلوها قبل ذلك .
 وذكر هو والحافظ ابن كثير رواية طويلة في هذا المعنى عن ابن عباس أخرجهما
 ابن مردويه عنه من طريق الكلبي عن أبي صالح وفيها أن العباس (رض) حاول أخذ
 المفتاح وطلب من النبي (ص) أن يجعل له الحجابة مع السقاية فأذنزل الله الآية في
 ذلك . قال الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه الرواية : وهذا من المشهورات أن هذه الآية
 نزلت في ذلك ، وسواء كانت في ذلك أولاً فحكمها عام اه وذكر علماء الحديث والسيرة أن
 عثمان بن طلحة أسلم في هدنة الحديبية هو وخالد بن الوليد وهاجرا وإن شذية أسلم عام الفتح
 الشيخ محمد صالح الشبيبي

هذا وإنني لم أر فيمن رأيت رجلاً مثل رؤيته فصلا من تاريخ قريش في الجاهلية
 والاسلام وتاريخ بيت الله الحرام الا كبير الشيبين الشيخ محمد صالح . وهو رجل
 جليل المنظر لطيف المعاشرة ، حسن المفاخرة ، له مشاركة في العلوم الاسلامية ،
 والآداب العربية ، وحظ من المدنية العصرية ، ورأيت على مشري في العناية بأمر
 الماء النقي البارد ، فهو لا يشرب من ماء عين زبيدة التي يشرب منها أهل مكة
 بل يستعذب له الماء من بئر في ضواحيها — كما كان يستعذب الماء من آبار السقيا
 للرسول الاعظم ، صلى الله عليه وعلى اله وسلم — ويثلج له الماء في داره ، وعنده رواية
 افرنجية من نوع الترمس الاسطواني المشهور يحمل له فيها الماء المتلوج مع قطع من
 الجليد المصنوع اذا خرج هو منها الى سفر قريب كمرفة أو جدة . وقد أقام في الاستانة
 زمنا وهو يعرف اللغة التركية

رخاء المعيشة بمكة

وعلى ذكر الثلج اذكر من خبر رخاء المعيشة في مكة المكرمة ان أهل هذا البلد
 الامين يتمتعون أبدا بدعاء ابراهيم صلى الله عليه وآله وسلم الذي حكاها الله عنه في قوله
 (وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) ودعائه ان يبارك الله لهم في اللحم عند ما زارت

إسماعيل بمكة بعد زواجه الثاني كما ثبت في حديث ابن عباس عند البخاري الذي ذكرنا القسم الأول منه في بيان حكمة النبي ﷺ بين الصفا والمروة من هذه الرحلة . قاله في مكة كبير رخصيص وهو جيد شديد السن ، والثرات والحضر فيها كثيرة رخصصة أيضاً على أنهم يرضون أمان كل شيء في موسم الحج . وقد كنا في دار الضيافة الهاشمية نستطاب لنا أنوان اللحم والحضر في كل غداء وعشاء ، ولكن كان يفتب علي وعلى الوالدة والشقيقة الإقهاء ،^(١) فرغبنا في الطعام كانت ضعيفة ، ولولا عنب الطائف ورماتها الجيدان لما طابت لنا المعيشة ، وكان أدينا طاه بحسن الطبخ على الطريقةين المكية والتركية ، ثم استحسننا الوالدة أن تتولى الطبخ لنا إحدى الجارتين اللتين خصصتا للخدمة المنزلية ، وأما الثلج أو الجليد فقد قيل لنا أنه كان له معمل في مكة وقد كسر ونسطل . ووجدنا بعض الهنود هنالك يعملون قطعاً صغيرة من الجليد يجمدونها في قوالب من التوك ويبيعونها بأثمان غالية جداً لمتنادي شرب الماء المثلوج كالشيخ الشبي فكنت أشتري منهم كل يوم ، إذ لم أجد ماء كيران الفخار مقبولاً وإن كنا في شهر الميزان ، خلافاً للمثل الحجازي القائل : إذا دخلت الشمس في الميزان ، يبرد الماء في الكيران .

وقد ذكر الرحالة محمد بن جابر الاندلسي في رحلته ما وجد في مكة من الثرات والبقول كما ذكر غير ذلك من خبراتها ونفعها ، قل : وأما الأرزاق والقواكه وصائر الطيبات فكنا نظن أن الاندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد حتى حلنا هذه البلاد المباركة فالفيناها نقص بالعم والقواكه كاللبن والتمب والمان والسفرجل ، والبطيخ والارج والجزر والقل ... الخ ومن أعجب ما اخترناه من فواكهها البطيخ والسفرجل وكل فواكهها عجب لكن لبطيخ فيها خاصة من الفضل صحية ، وذلك لأن رائحته من أعطر الروائح وأطيبها ، يدخل به الداخل عليك ، فتجد رائحته العتبة قد سقت اليك ، فيكاد يشغلك الاستمتاع بطيب رياه ، من أكلك إياه ، حتى إذا ذقه خيل اليك أنه شبه بسكر مذاق ، أو يجنى النحل الباب ، الخ واطنب في وصف جودة اللحم وسمنه ولينه وسهولة هضمه ، وهو كما قل ، ونحن لم

ندرك كل ما أدرك من الثمرات فإنه جاء مكة في قلب الصيف من سنة ٥٧٩ هـ وبقي فيها الى أواخر الشتاء . والبطيخ الاصفر الذي أدركناه دون النوع الجديد منه في مصر المعروف بالشام

﴿ الاحرام بالحج وشد الرحال الى عرفات ﴾

صلينا الجمعة يوم التروية وهو ثامن ذي الحجة^(١) في الحرم الشريف وفي ليلة السبت شددنا الرحال الى عرفات محرمين بالحج ، وقد قال لي صديقنا السيد الزواوي في صبيحة ذلك اليوم : ان سيدنا الامير أبده الله تعالى قد كان استحسن أن يخرج معه الى عرفة وتكون في صحبته هنالك وفي منى الى أن هودوا الى مكة ، ولما ذكر لي ذلك مستبها فيه ذكرته بوجود والدتك معكم ، وقلت لعل الاولى أن يخرج في خدمتها لان ذلك أنس لها وأقر لعينها ومنريد ثواب له ، فاستحسن ذلك ، وأمرني بتجهيز الرواحل والمؤنة وسائر ما يلزم وأمر بصرف عشرين جنبيا لافقة عرفة خاصة ، وقد عهدت الى ابراهيم (هو وكيل الخرج والمتولي أمر خدمتنا) باختيار رجال قوية جيدة لخدم الجال في هذه العام قليلة جدا لكثره مامات منها قبل الثورة لقله العلف ، ولو كان الحاج كثيرا كالعادة لما وجد من الجال ما يكفيه ، وقد وصلت أجرة الجال الواحد الى عرفة ذهابا وإيابا الى عشرين ريالاً مجيديا ، ولولا ان سيدنا الامير حفظه الله أمر عسكر البيشة بجلب الجال من الاعراب ولو بالقوة لتعذر على بعض الحاج أن يجدوها الا باجرة فاحشة

هذا ملخص ما قاله السيد الزواوي ، فشكرت لسيدنا الامير كرمه وفضله ودعوت له بالتوفيق والتأييد ، ثم للسيد عنايته بنا هو ونجله السيد عبد الرحمن ، ونماهذهما ايانا بكل ما نحتاج اليه في كل يوم بل في كل آن ، وكانت هذه المناية على أتمها عند الحل والترحال ، ففي أصيل هذا اليوم - يوم التروية - جيء بالرواحل الى حوش الدار ، وتولى وكيل الخرج ووالده شد الشقادف وفرشها بنظر السيد عبد الرحمن وابوشاده ثم ركبنا في وقت العشاء ، فكانت السيدتان والوالدة والشقيقة

(١) حمي بذلك لانهم كانوا يروون فيه ابلهم ويحملونها الماء السكينة لعدم وجوده في عرفة

في أحسن المواعيد ومعهما فزلان الجارية جلست بينهما فخدمتهما ، وركبت أنا ومحمد نجيب أفندي في شقدف ، وركب وكيل الطرح مع الاستاذ الشيخ خالد في شقدف ، وركب والد وكيل الطرح الجبل الذي يحمل الخيام والاثاث والماعون والمؤونة ، وركب السيد عبد الرحمن دابة قهرقه ، وسرنا الهويثا في أسواق مكة قاصدين هرقة بعد أن أحرنا جميعا وأهلنا بالحج من منزلنا ، إلا الذي ذهب بالخيام والماعون فانه سبقنا ، وتأخر عنا السيد الزواوي الكبير ثم أدركنا ، وبعد سرى نحو من ست ساعات ، وصلنا الى حيث ضربت خيامنا من عرفات ، وذلك بالقرب من موقف النبي (ص) حيث مسجد الصخرات ، (وسيأتي قريبا بيان هذا الموقف) ولم يكن في استطاعتنا ان نتبع سنه (ص) في السير بأصحابه الى عرفة

كان من لم يسبق الهدي من الصحابة الذين كانوا مع النبي (ص) في حجة الوداع قد قلبوا أحجهم الى عرفة بأمره (ص) وبعد طواف العمرة وسعيها قصرها شعورهم وتمتعوا الى يوم التروية ، وكانوا تازلين في خارج مكة ، فلما خرجوا معه (ص) فيه الى منى أهلوا بالحج من الابطح — وهو ما انبطح من الارض في أول طريق منى ما بين الجبلين الى مقبرة مكة (الملى) ويسمى البطحاء والمحصب — وقد صلى النبي (ص) الظهر والمصر يوم التروية غنى وبات فيها ليلة عرفة وأما رحل منها بعد طلوع الشمس ففي ذلك عدة سنن لم نيسر لنا . والمخرج في كل وقت من يوم التروية مباح ، وكره ما لم تقدم اليها قبله والتأخر عنه إلا أن أدركه وقت الجمعة بمكة فيصلي فيها كما فعلنا . وروى ابن المنذر أن عائشة لم تخرج من مكة يوم التروية حتى دخل الليل وذهب لثقه . اهـ من نيل الاوطار

صفة الطريق مكة الى عرفات

خرجنا من الدار وهي غربي الحرم بقرب بابه المعروف باب ابراهيم (١) فسرنا في الشارع الكبير ، ما نسينا مينا الى جهة الجنوب الشرقي حيث يكون الحرم الشريف من يارنا ويسمى ذلك الموقع بالسوق الصغير ، ويظهر الشارع جياذوفيه ، وهذا الحكومة

(١) ابراهيم الذي أضيف اليه هذا الباب شرق كل منك ويطن يعني الناس أن للبراد ابراهيم الخليل (ص) ومن اغتر بظاهر التسمية الرحلة ابن جبر فنان ذلك

والمطبعة والتكية المصرية ، و يليه شارع المسعى حيث يكون السعي بين الصفا والمروة ،
فالتشيشية فسوق الليل الذي كان فيه ميلاد النبي الاعظم ، صلى الله عليه وآله وسلم ،
وهناك يتحول السائر في الطريق الى جهة الشمال فيمر بالقرية وفيها قصر الامارة عن
يمينه ، قالقا فالسليمانية عن يساره ، وهذا القسم الشمالي من مكة واقع بين جبل أبي
قيس من جهة الشرق وجبل قعيقمان وجبل الهندي من جهة الغرب ، ودونهما جبل
اطمح الصنبر عند النقا

ومتى جاوز انطارج من مكة عمرائها من هذا القسم يرى عن يساره مقبرتها المعلاة
أو المملع وفيها قبر السيدة خديجة أم المؤمنين ، وجدة آل البيت الطاهرين ، عليها
وهلهم السلام ، وهذه الجهة هي أعلى مكة وتسمى الحجون (بفتح الحاء المبهلة) التي
قال فيها الحارث بن مضاض الجرهمي :

كأن لا يمكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر .
بل نحن ككنا أهلها فأبادنا صروف الليالي والحدود العوائر

ويدخل فيها من ثنية كداء (١) التي دخل منها رسول الله (ص) مكة عام الفتح
وفي حجة الوداع وهي في أعلى الجبل الذي على يسار المار الى المقبرة ، ويقال لثنية كداء
الثنية العليا ، والثنية الاخرى التي دخلنا منها الثنية السفلى وتسمى كدى (بالضم والقصر)
ومنها خرج النبي (ص) من مكة ، وهي بقرب شنب الشاميين من ناحية جبل
قعيقمان . وهناك باب الشبيكة المشهور بمدجول .

ووراء الملى في طريق منى مكان يسمى البياضية مطلق الهواء ، فيه قصور لبعض
الشرقاء . ومن هناك يتحول طريق منى الى الشرق ، وهو واد يختلف عرضه من
مثنى ذراع بذراع الا دمي الى ألف ذراع بالتقريب ، وتختلف أسماؤه باختلاف
المواقع ، وأشهرها وادي المنحنى الذي قال فيه ابن الفارض

ما بين ضال المنحنى وظلاله ضل المتيم واهتدى بضلاله

ويليه وادي السلم بفتح السين واللام ويذكر كثيرا في أشعارهم . والضال هو

(١) الثنية بوزن قضية الطريق في الثقة أو الثقة المسلوكة . وقال الراغب الثنية من الجبل
ما يحتاج في قطعه الى صعود وحدود ، والثنية الطريق الوعر في الجبل . وكداء بفتح الكاف والد .

البري من شجر السدر وهو ذو شوك رتبة شجرة راسم الشجر التي تسمى ورقه القرظ ويدفع به ، وهما من أشجار تلك البلاد .

وأول منى العقبة التي فيها البجرة المنسوبة اليها وسياقي ذكرها . والمسافة بين مكة ومنى فرسخ واحد أي ثلاثة أميال كما قالوا ، ففي معجم البلدان لياقوت : منى بالكسر والتنوين في درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الحجار يسمى بذلك لما بمنى فيه أي براق من الدماء — أي دماء الانعام لذلك — الى أن قال : وهي بليدة على فرسخ من مكة طولها ميلان تعد أيام الموسم وتغلو بية السنة الا من يحفظها ، وقل أن يكون للاسلام بلد منذ كور الا ولاهله بمنى مضرب اه والمراد بالضرب المكان الذي تضرب فيه خيام الحاج . وهذه الطريق يقطعها راكبو الخيل وكذا الحبر في ساعة واحدة وراكبو الابل في ساعتين . وحسد منى من العقبة التي فيها جرة العقبة الى بطن محسر (بكسر السين المشددة) كما سيأتي . والغالب فيها التذ كبر والصرف ، وقد تؤنث على الاصل في أسماء البقاع وتمنع من الصرف

والوادي بين منى والمزدلفة يسمى وادي المنار ، وتسمى المزدلفة جها أيضا ويكثر هذا الاسم في الاخبار والآثار والاشعار ، وهي المشعر الحرام عند الجمهور أو هو جبل قرح فيها ، قال تعالى (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أي في المزدلفة فهي عند الجبل . والمسافة بينها وبين منى من نهاية حدها الشرقي نصف ساعة لركاب الخيل أو الحبر الفارغة وساعة أو ساعة وربع لراكبي الابل . وسميت جما لجمعها الناس في ليلة النحر ، والمزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب اما للتقرب الى الله بذكركه فيها أو للازدلاف اليها منى بعد الاقفاضة من عرفات . وقيل ان آدم وحواء تعارفا في عرفة واجتمعا في المزدلفة وسياقي الكلام على المبيت فيها فلنسك .

والسافة بين المزدلفة وعرفات ساعة ونصف على الدواب ويمكن قطعها بأقل من ذلك ، وثلاث ساعات للابل . وبين المزدلفة وعرفة مضيق الاخشين ووادي نمره وبعين عرنة . وقال العلماء ان المسافة بين مكة وعرفة تسعة أميال قهرى ، نقله الزبيدي شارح القاموس والاحياء ، ولكنه ذكر عند الكلام على نمره أنها على مسافة أحد عشر ميلا

وفاة الشيخ سليم البشري

شيخ الازهر

في الضحوة الكبرى من يوم الجمعة لاربع خلون من شهر ذي الحجة الحرام
توفي الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر عن عمر ناهز المئة
سنة وقيل جاوزها ، وكان قبل يومين من وفاته سليما مفايا ، وقد نته ادارة المعاهد
العلمية في الازهر الى رؤساء الحكومة والجرائد اليومية بما نصه :

« أصيب المسلمون في مصر بفقد شيخ المسلمين وكبير علماء الدين حضرة
صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الازهر ورئيس
المجلس الاعلى للمعاهد العلمية والدينية الاسلامية »

« توفي الى رحمة الله قبل ظهر اليوم (الجمعة ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٧) بعد
مالزم الفراش يومين كان من قبلهما ينهض باعباء المعاهد الدينية ويلقي دروسه العالية
في الازهر بعزم قتي لاتدل منه الشيخوخة ولا يدركه هرم

« وستشيع جنازة الفقيد غدا السبت ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٧ الساعة ١١ صباحا
من محطة كبرى الليمون مرة بشارع كامل فشارع الموسكي الى الجامع الازهر
حيث يجتمع وفود المشيعين من العلماء والطلاب وغيرهم للصلاة عليه . ثم تسير الجنازة
الى مدافن السادات لمساكنية بقرافة الامام مرة بشارع القورية فشارع المغربلين
فشارع محمد علي ويلقي صاحب الهمة حافظ ابراهيم بك على قبر الفقيد مرثاة من نظمه .
« أحسن الله عزاء المسلمين في فقيدهم الجليل وتولاه برضوانه ورحمته »

كانت وفاته في داره بالحلمية من ضواحي مصر وبدى الاحتفال بتشيع
جنازته في الوقت الذي ذكر في النعي وقد وصفت ذلك جريدتنا الاهرام والمقطم
بالتفصيل ، قالت الاهرام :

« فجيء بالجنّة من الحلمية الى كبرى الليمون بقطار خاص يصحبها أنجال الفقيد
وأحفاده وآله وجمهور من الماء والاعيان . وكان في انتظارها في محطة كبرى الليمون
نفسها من الداخل جمهور عظيم من كبار العلماء والموظفين المسلمين والمصريين

والاعيان والتجار والمحامين يتقدمهم حضرة صاحب السعادة حسن عبد الرزاق باشا
وكيل الديوان العالي السلطاني بالنيابة عن صاحب العظمة السلطانية والكونزل رف
هربرت بالنيابة عن القومسبر العالي البريطاني وحضرة صاحب المعالي ابراهيم قنحي
باشا وزير الاوقاف العمومية بالنيابة عن رئيس الوزراء والميجر ه . م جريفس أحد
أركان الحرب في الجيش البريطاني بالنيابة عن القائد العام فالقواء السيد علي باشا
مساعد الادجوانات الجنرال بالنيابة عن وزير الحرية فالقائمقام ادواردس بك بالنيابة
عن مرقد الجيش فحضرة صاحب المعالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي
السلطاني فحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد نجيب مقري الديار المصرية
(ثم ذكرت وكلاء الوزارات باسمائهم وكبار الموظفين والوجهاء بالايجال وخيالة
البوليس فجاءه الطلاب الازهرين وطلبة مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة ماهر باشا)
ثم وصفت الجريدة السير بالجنة الى الازهر والصلاة عليها فيه وتأمين القعيد
كما بلغت ، ومنه ان المؤذنين كانوا يرتلون في المآذن التي مرت فيها الجنة - وكذا
في صحن الازهر - آيات الابرار أي الآيات التي وردت في وصفهم من سورة
الانسان وهي قوله تعالى (ان الابرار يشر بون من كاس كان مزاجها كافورا) الخ
وأقول ان هذا من البدع الخاصة بكبار رجال العلم الديني ومن يتولونه منزلتهم ولذلك
يظن الكثير من غير المسلمين ومن المسلمين الماهطين الذين لا يعرفون السنن والبدع أنه من
شعائر الدين . وللمؤذنين في قراءة هذه الآيات طريقة رديئة فلم تكن قراءتها والاجتماع
لها في المآذن والمساجد بدعا لكات هذه الطريقة في التلاوة كافية في وجوب الانكار
عليهم ووجوب منعهم من ذلك على القادر . ذلك أن يقطعون الآيات قطعا يقرأ بعضهم كل
منها يسكت في غير مواضع الوقف منها فيتم بعض آخر ما بدأ كما يفضل المشلون للقصص في
الملاهي ، فيفصلون بين الصفة والموصوف ، والعامل والمعمول ، يقول بعضهم (ان الابرار
يشر بون من كاس) فيقول آخرون (كان مزاجها كافورا) ثم يقول بعضهم (عينا يشر ب
بها عباد الله) فيقول آخرون (ينجبرونها فتجبرا) وهكذا يفرقون في قوله تعالى (يعرفون
بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) بين يوما وما وصف به ، ولو تدبروا الآية لخافوا
ان يذهبهم الله تعالى في ذلك اليوم على هذا التوزيع في قراءة كتابه . ومن غريب الاتفاق
(المنار: ج ٣) (٢١) (المجلد العشرون)

انا اقترحنا في جز' المثار الماضي على شيخ الازهر أن يسعى لابطال البدع من المساجد ولم يكذ نوزع الجز' الا وقد قضى الشيخ بحبه ، فمسي أن يقوم بذلك خلفه
ثم قالت الازهرام : وكان الناس من وطنين وأجانب وقوفاً بالعشرات والمئات على جانبي الطريق يحيون الفقيد في مشهده و يترحمون عليه . ثم ذكرت وصول الجنازة الى الجامع الازهر في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والصلاة عليها وقراءة الشيخ محمد الحلواني قصيدة من نظمته في رثاء الفقيد . وتلاه الشيخ محمد أبو العيون بتأيين منشور أشير اليه بأن يختصره لاجل التجميل بالدفن المطلوب شرعاً ففعل .

ثم حملت الجنازة من الازهر والمؤذنون يكررون الآيات التي تقدم الكلام عليها الى مقابر المالكية من قراقة الامام الشافعي رضي الله عنه ، وبعد مواراتها التراب أنشد محمد حافظ بك ابراهيم مريثته وتلاه الشيخ محمد فراج المتياوي بتأيين نثري أساساً فيه الاطراء فجعل فيه الفقيد من الحفاة الراشدين بل فضله عليهم في التعبير . ثم عزى جمهور المشيعين أبناء الفقيد وانصرفوا

﴿ مريثة محمد حافظ بك ابراهيم ﴾

أبدري السامون بمن أصيبوا	وقد واروا سلباً في التراب
هوى ركن الحديث فأى خطب	لطلاب الحقيقة والصواب
موطأ مالك عزى البخاري	ودع الله تعزية الكتاب
فا في الناطقين فم يوفي	عزاء الدين في هذا المصاب
قضى الشيخ المحدث وهو بملي	على طلابه فصل الخطاب
ولم تنقص له التسمون عزما	ولا صدته عن درك الطلاب
وما خالت قريحته الليالي	ولا خاتته ذاكرة الشباب
أشيخ المسلمين تأيت عنا	عظيم الاجر موفور الثواب
لقد سبقت لك الحسنى فطوبى	لموقف شيخنا يوم الحساب
إذا ألقى السؤال عليك لمت	نصدي عنك برك للجواب
ونادى العدل والاحسان انا	نزكي ما يقول ولا نحاي
قفوا يا أيها العلماء وابكوا	ورروا لحده قبل الحساب

فهذا يومنا ولنحن أولى ينزل الدمع من ذات الخضاب
عليك تحية الاسلام وقفا وأهابه الى يوم المآب

التمازي

ونشرت جريدتنا الاهرام والمقطم تعزية برفية من نائب الملك لمدير المعاهد الدينية وأخرى للشيخ طه البشري أكبر أبناء الفقيد صرح فيها بأن نعي الفقيد قد شق عليه كثيرا ودعا له بالرحمة والرضوان - وبرقيتان أخريان بمعناها من كبير الوزراء صرح فيها بأنه أسف جدا لعدم إمكان تشييعه الجنازة بشخصه .
وقد تألف وفد من أئجال الفقيد ومراقب الازهر رأسه المدير العام للمعاهد الدينية الشيخ عبد الرحمن قراعة لاداء الشكر لرؤساء الحكومة وكبراء البريطانيين الذين اشتركوا في تشييع الجنازة بالذات أو بإقامة الوكلاء عنهم والمعينين فبدوا بقصر عابدين وسجلوا أسماءهم في (دفتر التشریفات) ثم نائب وزير الحرية وادورودس بك لشكر السردار ثم الجنرال كليتون لشكر القائد العام للقوات البريطانية بمصر على ارساله مندوبا لتشيع الجنازة ثم وكيل الاوقاف لشكره وشكر الوزير وأرسلوا برقيات شكر الى نائب الملك ورئيس الوزراء وقومندان المحرسة ومحافظ العاصمة وحكدة أركانها

﴿ ترجمة الفقيد ﴾

نشرت جريدة الاهرام ترجمة وجيزة للفقيد قيل انها مستمدة من أهل بيته ملخصها :
انه « ولد حوالي سنة ١٢٤٣ أو ١٢٤٤ في محلة بشر بمركز شبراخيت ولما شب حضر الى مصر لتلقي العلم وأقام تحت رعاية شيخه الشيخ بسوي في البشري من شيوخ المسجد الزيني ،
وانه تعب في طلب العلم تعباً شديداً ولقي من الدهرفيه ومقاومات عظيمة ، وأنه كان يتعبد في المسجد الزيني ليلا ويذهب الى الازهر نهارا لتلقي الدروس ، وإن خاله عين أمينا لكساوي الحمل في أول ولاية سعيد باشا فخرج معه الى الحجاز حاجا « وبعد أن أدى فريضة الحج عاد الى مصر وبقي يشغل بالتدريس حتى سنة ١٢٧٣ تقريبا »

= وأن أول عهده بالوظائف أن « عين إماما لمسجد إيتال بمرب ٩٠ فضه في الشهر » وفي سنة ١٢٩١ مات الشيخ علي العدوي فخطبه بالتدريس في المسجد الزيني بدلا منه بمرب مئة قرش في الشهر وعين وكيلًا عن شيخ المسجد الزيني لحدائمه سنة

وهو الشيخ أحمد الصفي الشيخ الخالي وفي كذلك الى آخره ولا سيما جميل .
ثم عين إماما وخطيبا لمسجد زين العابدين ثم شيخا للعالمية بعد وفاة الشيخ
عليش ثم شيخا للآزهر لأول مرة في سنة ١٩٠١ وكانت مدته أربع سنين . وذكر
من حبه للعلم وإثاره له أن تلميذه قدرى باشا عرض عليه وظيفة بثلاثين جنيها فأبى
مفضلا الانقطاع الى تعلم العلم . ولم يذكر تلك الوظيفة فالظاهر انه لم يكن يمكن
الجمع بينها وبين التعليم .

وذكر مسألتي من خلافة أحدهما انه كان اختار الشيخ أحمد المصوري شيخا للرواق
الصعيدة فأبى قاضي مصر إقامته ناظرا الى أوقاف الرواق فأصر صاحب الترجمة على
تعيينه دون غيره « ورأى في المدول إدارا رأيه وبالغ في الثبوت رأيه حتى فضل ترك
المشيخة على التجاوز عن حقه المفروض بحكم القانون » والثانية انه لما جدد المسجد الزينبي
رأى رئيس مهندسي الاوقاف ان ينقل القبر المنسوب الى السيدة زينب بما فيه فعرضه
الشيخ وأعلمه أن ذلك مخالف للشرع من وجوه عديدة وأنهى الخبر الى الحديو محمد
توفيق باشا فأمر بابقاء القبر في مكانه وترضى الشيخ فتم له ما أراد . ولما كانت نشأة
الشيخ الدينية قد كانت في جوار ذلك الضريح وصار قريبا لعدة سنين ظل محافظا على
تصريحه بطول عمره ، ولا ندري أكان يعتقد أن السيدة زينب مدفونة في هذا المكان
كما يظن عامة المصريين أم كان يرى ان نسبة القبر اليها كدسها فيه ؟

وفي هذه الترجمة أغلاط وقصور . وقد علمنا من عالم من أكبر تلاميذ الفقيد
وأعلمهم بترجمته انه سمع منه انه ولد في سنة ١٢٣٧ وأنه جاء مصر في سنة ١٢٤٥
أو ١٢٤٧ وأقام عند خاله الشيخ بسيوني شلتوت المؤذن في مسجد السيدة زينب .
ثم قضت الحال أن أرسله الحال الى الأزهر

وقد رأينا في جريدة وادي النيل التي تصدر في الاسكندرية — وهي أرقى
جريدة للمسلمين في هذا القطر — نميا للفقيد وشيئا من حاله يبلغ زهاء نصف عمود
بداه بقوله : « نعت العاصمة الاستاذ الشيخ سايبا البشري شيخ الجامع الأزهر عن
عمر طويل قضى شطره الأكبر في خدمة العلم وقضى أواخره في ولاية المشيخة الأزهرية
غير مرة . وكان رحمه الله في ولاية المشيخة ذا أنصار يحفون من حوله وخصوم

كثيرين يأخذونه بأمور ليس من المناسب ذكرها » ثم ذكر أن علماء الأزهر متمقون على أنه أعلمهم بالحديث وإن طريقته في قراءته أنه كان يقرأ الحديث أولاً على سبيل التبرك ثم يقرأه أحد الطلبة بصوت جهوري ثم يشرحه الشيخ بما شاء الله من علمه . أقول وهذه المزية له شهورة سمعتها من كثيرين وشايعها بنى حافظ مريته ، وهي أعظم مزية تذكر له في هذا العصر الذي أهمل الأزهر يون فيه العناية بعلم السنة رواية ودراية حتى صار طلبة العلوم الدينية في ديوبند وغيرهما من بلاد الهند يفصلون أكبر شيوخ الأزهر في علوم الحديث . وإنما كان الشيخ سلمه البشري على حفظ من علم الحديث لأنه طلب العلم قبل هذا الجيل بجيلين وكانت كتب السنة لا تزال تدرس في الأزهر . وقد أدركتنا من أقران الشيخ في الطلب شيخ شيوخنا الشيخ محمود نسابه فألفيناه منفردا بعلوم الحديث ، وقد كنت أقرأ عليه صحيح مسلم فيصح لي أسماء الرواة وغريب الحديث ويحيني عن كل ما أسأله عنه من المشكلات على البداهة من غير مراجعة شرح ولا كتاب آخر . فاذا رجعت إلى تلك الكتب رأيت ما قاله هو الصواب . ولكن صاحب الترجمة لم يعمل شيئاً لحياء ما لندرس من علوم الحديث في الأزهر في أيام رياسته ومشيخته

وعندنا أن أعظم ما يذكّر في تاريخ مشيخته للأزهر قبوله للقانون الذي وضعته الحكومة له ولمعاهد التعليم الديني التابعة له وتنفيذه إياه ، وقد دينا رأينا فيه في المجلد الرابع عشر من المنار ، ولا مجال لبيان ذلك ولا لما كان بين المترجم وبين الأستاذ الإمام من الوفاق والخلاف في إدارة الأزهر ، وإنما أقول أن المترجم كان حريصاً على نيل رضا السلطة العليا في كل وقت ، وقد فصلنا ذلك بعض التفصيل في تاريخ الأستاذ الإمام (للترجمة بنية)

﴿ شيخ الأزهر الجديد ﴾

لما توفي الشيخ البشري كثر القيل والقال في الأزهر في ترشيح خلف له وسرى ذلك إلى صائري معاهد العلم الديني التابعة للأزهر وإلى غيرها واشتهر أن الأزهريين رشحوا أربعة أشياخ كل منهم له حزب رشحه ، وسعى له سعيه ، وقد كتب بعضهم مقالات إلى الجرائد يطن فيها بعض ، منها ما نشر ومنها ما لم ينشر ، وأتسع الوقت للغرض في ذلك

بأن البشري توفي قبيل عطلة عيد الاضحى ولم يتعين الحلف له الا بعد انتهائهما فقد صدرت الارادة بتعين الشيخ محمد أبي الفضل الجبزاوي شيخ معهد الاسكندرية شيخا الازهر ورئيسا لمجلس المعاهد الدينية الاعلى في يوم الاثنين لاربع عشرة خلقت من شهر ذي الحجة الحرام ، وهو أكبر علماء المالكية بعد البشري سنا ومن أشهر علماء الازهر في العلم والمحافظة على آداب الشيوخ وشماثلهم ، ويقال انه في العقد الثامن من العمر ، وقد سبق له الاشتغال بإدارة الازهر إذ كان أحد أعضاء مجلس ادارته في مشيخة الشيخ حسونه النواوي ثم عين وكيل الازهر وبعد قليل من الزمن عين شيخا لمعهد الاسكندرية . فنهته بأكرم منصب يرتقي اليه شيخ العلم الديني بعصر ونسأل الله تعالى ان يوفقه ويسدده فيه ويجعل لاهياء علم السنة ومقاومة البدع أفضل حظ من عنايته

عبر التاريخ

ما قيل في فتح الانكلاز لبغداد

قالت جريدة المقطم في فائحة مقالة طويلة نشرت في صدر العدد الذي صدر في ١٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٥ - ١٣ مارس سنة ١٩١٧

« قصي الامر في العراق وسقطت بغداد عاصمة الخلفاء العباسيين ومبارة مجدهم وعنوان فخريهم ، واستولى البريطانيون على منبت أثلة المنصور والمهدي وهرون الرشيد والمأمون وموثل العلماء والشعراء والادباء في عصر الشرق الذهبي الحديث . أي ذكرى تهيج في خاطر العربي اذا ذكر اسم بغداد والزوراء ودار السلام ؟ بل أي مجد يتحلى لعينه عند سماع اسمها من دولة عظيمة الاركان ، متينة البنيان ، قامت على العدل والنظام والعلم والامان ، وشعب ناهض ناشط لطلاب العلم واتقان الصناعة وترويج التجارة ، وتوسيع نطاق الزراعة وبسط السيادة ، واضاءة مصباح العلم لتزريق دياجير الظلام . بغداد دار العلم والمجد وبغداد مقر المظلة والبروق وبغداد عاصمة العرب وقاعدة الشرق »

هذا ارث مجيد ظل بيد الشرقيين اثني عشر قرنا شاهداً ناطقاً بعظمة أسلافهم يناوح خرائب بابل وآثار نينوى حتى صار أمره الى الانحاديين فضاع منهم كما ضاع سواه ، وصارت بغداد في يد من يعرف قيمتها ويقدرها حق قدرها

هذا ميراث العرب الكرام أخذته الاتحاديون كما يأخذ الصبي الكرة وقذفوا به كما يقذف بها فأقلت من يدهم وهم يسبرون الجيوش الى بلدان أوربة فأنجمن وثغور تركيا وكبار مدنها تسقط الواحدة بعد الأخرى . هذه سنة الله في خلقه وقد سخر الاتحاديين لانتفاذ مشيئته وأنزال قضائه »

ثم قال في فائحة العدد الذي صدر في ٢٢ جمادى الأولى بعد كلام علل فيه تسمية الجرائد الانكليزية ببغداد مدينة الشعر والخيال بأنهم أخذوا ذلك من كتاب ألف ليلة وليلة الذي هو أشهر كتاب عند الانكليز بعد التوراة والانجيل :

« أما العرب فينظرون الى بغداد من وجهة أخرى وان لم يغفلوا وجهة الشعر والخيال فالعرب في مقدمة الامم التي نجلت الشعر والشعراء ولكن العرب يرون في بغداد القديعة عنوان مجد جنسهم ، ورمزاً الى أكبر شأواً بلغت حضارتهم ، وقد كرون ان عصرها الاول كان عصرهم الذهبي اذ منها انبج صبح العلم في المصور الحديثة فأضاء الشرق والغرب » ان العرب يرون في بغداد الاولى مقر العلم والحكمة ، وخزانة معارف الشرق ، ومدرسته التي نبغ فيها العلماء والاطباء والفلاسفة والفلكيون والكيميائيون والشعراء والكتاب والقويون والمهندسون برعاية العباسيين وبنائة افضل خلفائهم ولا سيما المأمون الذي كان عضد العلم وسند العلماء

« قال السر هنري رولنسن المؤرخ الشهير في كلامه عن بغداد ما فيه : [وقد نافست بغداد قرطبة في الآداب والعلم والصناعة والفنون فكان لها تين المدينتين سيادة العالم من هذا القبيل . أما في التجارة والثروة فان قرطبة لم تبلغ شأواً ببغداد ، وكانت ببغداد عاصمة الاسلام الدينية والعاصمة السياسية لمعظم بلدانها كما الاسلام ركن حضارة الدنيا] » هذه هي ببغداد كما براها العرب الذين يعرفون تاريخ قومهم ، ويحفظون ذكر عظمة جنسهم ، ويتحسرون على أيام الرشيد والمأمون ، ويتنمون لواتيح العرب ان ينهضوا مثل نهضتهم في ذلك العصر السعيد ، ويتعاونوا على رفع شأنهم باثان العلم وتنشيط الصناعة والتفاني في تأييد المجموع

« كانت ببغداد اسلطنة العرب كلندن اليوم لسلطنة البريطانيين ، فكانت مركز قوتهم ، ومجمع علمهم ، وركن صناعتهم وسوق تجارتهم ، ومجلس حكومتهم ، وكان خلفاؤها

ينظرون في الجهات الأربع ويمسكون أن الرياح كيفاً هبت فاتها تهب عليهم من ولاياتهم
وبما لكهم حتى لقد قال الرشيد مخاطب السحابة «اهزري حيث شئت فان خبرك يأتيني»
«ان بغداد صارت الآن للعرب مدينة الشعر والخيال اذ لا سيل الا بها الى
تمثل عظمتها الماضية، أما في عصر العرب الذهبي فقد كانت بغداد جامعة لاهية
الملك وشرف العلم ومجد الصناعة وعظمة التجارة واتقان الفنون وبراعة النظام، فكان
الخيال والشعر فيها تفككة يطفان من أخلاق أهلها وم في طلب العلم جادون، وإلى
التقدم والارتقاء والنجاح ناشطون» وفي ذلك يقول أحد شعرائهم:

بغداد أيتها الجياد قانها أنجي وأقرب للشؤون وأصح

«ولله در ذلك المستشرق القائل (١)»: [في بلاد سكانها من صميم العرب الذين
عرفوا بالعمرة والافتة والشم ودانت لهم الاقطار، ففتحوا الممالك ودوخوا الامصار في
غابر الاعصار، وأنشأوا لهم في التاريخ مجداً خالداً، وذكرأً باقياً، فذاع فضلهم، وظهرت
شهرتهم، وتناقلت الركبان أخبارهم.... هناك جنة عدن وهناك جنات النعم، كانت
رافلة في حلل الهناء والرخاء أيام كانت انكثرة والمائة فيافي وقفاراً، وكان أهلها غارقين
في بحار الجهل يتخبطون في دياجي الظلام. بلادكم أيها العرب هي البلاد التي أزهرت
فيها الحضارة وأينعت الفنون وأمر الادب وعمرت دور العلم والفلسفة وهي البلاد التي
انبعث منها نور الدين وألبست العالم ثوب الرفاهية والسعادة]

«نرى هل يكون للعرب نصيب من بقطة العالم بعد الحرب ويد في نهضته
القادمة فيحل الجا. محل الخيال، وتطلق العقول والقلوب مما أصابها من القنوة، وتنزل
هذه الامة المنزلة التي تجدر بها في مجالس الشموه؟ أو تنقل تعود يصورها القهقري
الى عصور مضت، وأيام تقضت، تنفذى بالذكري، ونصعد الاقاس الحري» اهـ

(١) أي في مقالة نشرت مترجمة في النظم بتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٩١٦

﴿ حجم المنار ﴾

اضطررنا انقطاع ورود الورق وغلاؤه المضاعف الفاحش الى تصغير حجم مجرءه
الزيادة في أجزائه وهو ضرورة تنفدر بقدرها، وعسى أن لا يطول أجلها.

المسحاة

١٣١٥

أولى غيرة كثيرا وما يذكر الأولو الألباب
يخفي الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة قبله

قوله عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صمدى و«مناراً» كثر الطريق﴾

٢٩ المحرم ١٣٣٦ — ٢٢ العقرب (٢ خ) ١٢٩٦ هـ ش ١٥ نوفمبر ١٩١٧

فَتَنَاتُ الْمُسْلِمِينَ

ففتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لايسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم تارك الصلاة ﴾

(س ٨) من صاحب الامضاء بمصر

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا المحترم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فأرجوكم تعريفا على صفحات المار
الأغر عن حكم تارك الصلاة بغير عذر في نظر الشرع وهل الاحاديث التي وردت
بمخصوص ترك الصلاة تؤخذ على ظاهرها أو فيها مايجتمل التأويل كما يقال ؟ اماما
أعلم من الاحاديث الواردة في تارك الصلاة أو المتخلف عنها فهو الموضح بعدُ فان
كان هناك أخرى أرجو التفصيل بإيضاحها في الاجابة . قال صلى الله عليه وسلم : —
١ « بين العبد والكفر — وفي رواية الشرك — ترك الصلاة فاذا تركها فقد
أشرك . وحوضي كما بين آيلة الى مكة أباريقه كهدد نجوم السماء له ميزابان من الجنة
كلما نضب أمدها ، من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبدا وسيرده أقوام ذابلة
شفاهم فلا يطعمون منه قطرة واحدة من كذب به اليوم لم يصب منه الشراب يومئذ »
٢ « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر » (يريد طبعاً العهد
الذي بيننا وبين الكفار)

٣ « من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله »

٤ « الذي نفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله »

٥ « والذي نفسي بيده لقد همت ان آمر بحطب فيحطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ثم آمر رجلا فيؤم الناس ثم أخالف الى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدكم انه يجب عرقاسمينا أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء » فأرجو بعد النظر في هذه الاحاديث التكرم بتفهيما درجة صحتها وعما اذا كان في ظاهرها شيء . يحتمل التأويل خصوصا في لفظة الكفر أو الشرك

هذا والسبب الذي الجأني الى عرض سؤالي هذا على فضيلتكم هو ذلك التهاون القريب في أمر الصلاة بين من يسمون أنفسهم مسلمين الآن وظنهم ان تاركها لا يخرج عن كونه عاصيا بسيطا مثل باقي العصاة مفتوحة له أبواب التوبة في أي وقت شاء فيه الصلاة وذلك بالرغم مما ورد في أمرها في القرآن الكريم والاحاديث الشريفة من التشديد والوعيد . لذلك أرجو أن تكون الاجابة مفصلة الشرح لعلها تكون فصل الخطاب فيما عليه شباننا المسلمون المتفرنجون من الميرة في حكم تارك الصلاة بغير عذر والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعي

علي مبيب

بتفتيش عموم التفارقات

(ج) يجد السائل في المجلد الثامن عشر من المنار ما يغنيه عن تفصيل القول في هذه المسألة وهو رسالة للشيخ محمد أبي زيد من طلبة دار الدعوة والارشاد اسمها (البرهان على خروج تارك الصلاة ومانع الزكاة من الايمان) نشرت في ص ٥٠٥ و ٥٦٣ و ٥٨٦ وما بعدها أورد فيها كثيرا من الآيات التي استدلت به على كفر من ذكر وبعض الاحاديث المؤيدة لدلائلها على ذلك ، وذكرنا فيما علقناه في حواشينا وما ذيلناها خلاف العلماء في المسألة والجمع بين الاقوال . وإن أدري أيريد السائل الآن أن اتوسع في شرح المسألة واستيفاء ماورد فيها من النصوص لزيادة الايضاح وتكرار تذكير التاركين لهذه الفريضة التي هي عماد الاسلام ؟ أم لم يقرأ تلك الرسالة وما علقناه عليها ؟ وقد يستدل بما أوردته من الاحاديث وسؤاله عن غيرها انه لم يقرأ الرسالة ، على أنه من أشد قراء المنار عناية بهذه المسائل كما نظن ، فنحنه أولا على مراجعتها وقراءتها ونرشدته الى كتابين جليلين في المسألة أحدهما

(كتاب الصلاة) لامام السنة أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، (وكتاب الصلاة وأحكام تاركها) لناصر السنة ابن القيم رحمه تعالى ، والكتابان مطبوعان معا .
فاذا أشكل عليه بعد الاطلاع على ما ذكر أمر فليسال عنه

أما الحديث الاول مما أورده في السؤال فصدره الخاص بالصلاة في صحيح مسلم وأكثر كتب السنن والثاني رواه أحمد وأصحاب السنن وصححه الترمذي والنسائي والثالث والرابع والخامس في الصحيحين وغيرها الا الثالث فقد رواه البخاري دون مسلم ، وبما قيل في السادس انه في تهديد جماعة من المنافقين وأنه في صلاة الجمعة خاصة أو الجماعة مطلقا فلا حديث التي أوردها في الموضوع كلها صحيحة . وقد ورد في معناها أحاديث أخرى

وانني أذكر كلمة وجيزة في المسألة تفيد السائل فضل فائدة في المسألة وان كان يمكنه مراجعة المجلد الثامن عشر من المنار ولاكتفاء بما فيه لانه من قدماء المشتركين الذين يحفظون المنار ، وقد تكون ضرورية للذين اشتركوا في المجلد التاسع عشر والمجلد العشرين ومن يتعذر عليه مراجعة ما أحطنا السائل على مراجعته :

ان الكفر والظلم والفسق وما اشتق منها قد استعملت في لغة الكتاب والسنة استعمالا أعم وأوسع من الاستعمال الاصطلاحي الذي جرى عليه المتكلمون والفقهاء .
فهؤلاء قد جعلوا الكفر مقابلا للإيمان والاسلام فالمسلم الصحيح الإيمان قد يكون عندهم فاسقا وظالما ويطلق عليه هذان اللقبان ولكن لا يطلق عليه لقب كافر . وفي لغة الكتاب والسنة تطلق هذه الالفاظ على ما يقابل الإيمان والاسلام وعلى بعض كبار المعاصي التي اختلف أئمة الفقهاء والمتكلمين في كفر مرتكبها بمعنى خروجه من ملة الاسلام كالصلاة وكذا على ما أجمعوا على انه غير كفر بهذا المعنى كالنباذة على الميت . ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعا « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحة على الميت » وأهل الاثر يتبعون النصوص في ذلك ويقولون بكفر كل من أسند اليه الكفر أو وصف به في الكتاب أو السنة وما كل كفر عندهم خروج من الملة ، بل هنالك كفر دون كفر ، وهم ثلثة من الاولين وقيل من الآخرين . وأهل المذاهب يتبعون مذاهبهم في كل مسألة فيفترقون بين النصوص

يؤولون بعضها ويأخذون ببعض اتباعا لمن قلدهم لا للتصوص
 والتحقيق الجامع بين النصوص ان من كان مؤثما صحيح الايمان مسلما صادق
 الاسلام لا يخرج به عن ملة الاسلام تركه لصلاة كسلا أو ارتكابه لكثرة من النيات
 بجهلة يتوب منها ولكن الايمان الصحيح هو ايمان الاذعان والخضوع الفعلي لأوامر الله
 ونواهيه الذي به يكون المؤمن مسلما . وقد يكون المرء مؤثما غير مذعن كابليس ومن
 قال الله تعالى فيهم من أئمة الكفر (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) ومن
 قال فيهم (فانهم لا يكذبونك) ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون (وغير هؤلاء ،
 وهل يعقل أحد يتصف من نفسه ان يكون من أوثاك المؤمنين المذعنين من يترك
 عماد الدين وأعظم أركان الاسلام بغير مبالاة ويصر على ذلك غير مكترث للآيات
 والاحاديث الكثيرة في الامر بها والترغيب فيها والبيان لغوائدها ومكائنها العليا من
 الدين والترهيب والزجر عن تركها والوعيد الشديد عليه وتسميته كفرا في أحاديث
 صحيحة ظاهرها ان المراد به كفر الاعتقاد لا كفر النعمة أو كفر العمل كما قيل ؟
 ومن قال بكفر تارك الصلاة من أئمة السلف إمام الائمة علي كرم الله وجهه
 وقد أول الجمهور الاحاديث الواردة في ذلك بما أشرنا الى بعضه آنفا وحملها
 بعضهم على الاستحلال ولا خلاف في كفر من استحل حراما مجمعا على تحريمه معلوما
 من الدين بالضرورة كترك الصلاة والزكاة من الفرائض وكفعل الزنا وشرب الخمر
 من المحظورات . واستحلال الشيء هو عده حلالا كما قال ابن منظور في لسان العرب .
 فاذا كان المراد به الاستحلال بالفعل وهو أن يكون المحرم عند مرتكبه كاللحل في
 عدم تخرجه من فعله ولا احترامه لامر الله ونهيه حتى كأنه لم يفعل شيئا فهذا هو الذي
 لا يعقل أن يصدر من مؤمن . وإن كان المراد اعتقاد أن الشرع أحله فهذا محال
 على نشأ بين المسلمين . ولا أعرف لامكان الجمع بين الايمان بما جاء به محمد (ص)
 وبين ترك فريضة منه أو ارتكاب محرم الا صورة واحدة وهي الغرور بالاماني
 كالمغفرة والشفاعة وجعل الفاسق ذلك كالمقطوع به ، وقد كشفنا الشبهة عن وجه
 هذا الغرور مرارا في التفسير وغير التفسير والله أعلم

رحلة الحجاز

٥

عرفات ومحدودها

كل من عرفة وعرفات (بفتح العين والراء فيهما) اسم لتلك البقعة الشريفة من الأرض التي هي من أشهر البقاع عند ألوف الألوف من البشر . وعرفات اسم مفرد ينون كاذرعات وليس جهما لعرفة ، وجوزان يكون أشير يصبغة الجمع الى كؤل كل مكان أو قسم من تلك البقعة يتحقق فيه معنى التعارف أو التعرف الذي عللت به التسمية كما يأتي قريباً . ويحتمل ان يكون بعض قدماء العرب مدّت فتحة الفاء وأشبعها في الشعر ثم كثر فصار اسماً مستقلاً ، ونظيره قول الشاعر في عرنة (بضم العين وفتح الراء والنون) أبكلك دون الشعب من عرفات .
بمدفع آيات الى عرفات
وقول عمر بن أبي السكتات الحكيم المعني

عفت الدار بالهضاب الاواني بين توز فلتقى عرفات

وظاهر عبارة لسان العرب انهما موضعان قال : وعرونة وعرنة موضعان وعرفات موضع دون عرفات الى أنصاب الحرم ، قال لبيد :

والفيل يوم عرفات كهكما اذ أزمع المعجم به ما أزمعا اه

وأقول : ليس دون عرفة موضع يسمى عرفات غير بطن عرنة الذي يذكره جميع العلماء . وأخطأ من قال ان عرفة ولد ليس بعربي صحيح ومن قال انه اسم لليوم التاسع من ذي الحجة ، وانما يقال انه يوم عرفة بمعنى انه يوم الوقوف بها كما يقال يوم التروية وليس حكميوم عاشوراء . وقد ورد اسم عرفة في الاحاديث الصحيحة علماً للبقعة وكذا في كلام الصحابة وسأيتي شيء منها ، وعليه جرى العلماء والفقهاء فكلهم يطلقون اسم عرفة على تلك البقعة الشريفة ، فلا يفترون أحد بمباراة التمام من الموهمة ولا يقول من توهم ذلك من التأخرين وزعم انه مقتضى كلام الراغب ، وانما قال الراغب « ويوم عرفة يوم الوقوف بها » أي بالبقعة المخصوصة التي اسمها عرفة وعرفات . قبل انها سميت بذلك لان آدم وحواء تعارفا بها بعد هبوطهما من الجنة ، وقيل لقول جبريل لابراهيم عليهما السلام لما علمه التناك وأراه المشاهد : أعرفت

أعرفت ؟ قال عرفت عرفت . وقيل لانها مقدسة معظمة كأنها عرفت أي طيبت
 بالعطر . وقيل لان الناس يتعارفون فيها ، وقيل لتعرف العباد فيها الى الله تعالى
 بالعبادة والدعاء . والقولان الاولان يتوقفان على نقل صحيح ، والاخير ان أظهر معنى ،
 ويعمدون تعارف الناس هناك من حكم الحج التي شرع لاجلها ، والواقع ان التعارف
 بين الحجاج لا يتيسر في عرفة كما يتيسر في منى لان وقت عرفة قصير فان المجمع عليه منه يمتد
 من وقت الظهر الى وقت المغرب ولا يجزئ الوقوف قبل الزوال عند أحد من العلماء الا
 ماروي عن الامام أحمد من ان وقت عرفة من فجر يومها . ويجوز الوقوف في ليلة
 العاشر عند غير الشافعية ، فأن ييسر التعارف بين أفراد ذلك الجمع الكبير ، في
 ذلك الوقت القصير ، مع ما يشرع فيه من ذكر الله تعالى ودعائه ، المقصود في هذه
 المعاهد اذاته . وسأني للبحث تنمة

وحدود عرفة معروفة للناس بما يتناقلونه بالتواتر عن المواضع التي يحصل الغرض
 بالوقوف فيها . وذكر العلماء المتقدمون لها حدودا منها قول بعضهم : الحد الاول ينتهي الى جادة
 طريق المشرق ، والثاني ينتهي الى حافات الجبل الذي وراء أرضها ، والثالث ينتهي الى
 الحوايط (أي البساتين) التي تلي قرية عرنة وهذه القرية على يسار مستقبل القبلة في
 عرفة ، والرابع الى وادي عرنة بضم العين وفتح الراء والنون ، وعرنة ونمرة (بفتح فكسر)
 ليستأمن عرفة ولا من أرض الحرم والمالكية يجيزون الوقوف بعرنة ويحتج عليهم الجمهور
 بحديث « عرفة كلها موقف وارفعوا عن بطن عرنة ، ومزدلفة كلها موقف وارفعوا
 عن بطن محسر ، ومنى كلها منحر » رواه مسلم وغيره . ومحسر (بكسر السين المهملة
 مشددة) و بطن محسر وعرنة كل منهما واد فاصل بين ما قبله وما بعده من المشاعر ،
 فوادي عرنة فاصل بين عرفات ومزدلفة ، ووادي محسر فاصل بين المزدلفة ومنى .
 وقالوا : حد الحرم من المأزمين (بكسر الزاي) وهو مضيق بين عرفة ومزدلفة وهناك
 علمان مبنيان في أول حدود عرفة جعلتا علامة على حد الحرم فإكان شرقيهما من
 عرفة وما وراءها فهو من الحل ، وما كان قبلهما من جهة الغرب من بطن عرنة ومزدلفة
 ومنى فهو من الحرم ، ويوجد ميلان آخران في أول حد مزدلفة من جهة الغرب ،
 فما بين العليين والميلين هو وادي عرنة .

وفي الجانب الجنوبي من العلمين مسجد نمرة المعروف بمسجد إبراهيم بقرب الطريق الممتد من منى إلى الطائف ويسمى أيضاً مسجد نمرة ومسجد عرنة . قال الفزالي : ونمرة هي بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة اه وظاهر حديث نزول النبي (ص) بنمرة أنها أدنى عرنة لا كلها . وفي كتب اللغة أن نمرة هي الجبل الذي عليه أنصاب الحرم عن يمينك إذا خرجت من المأزمين تريد الموقف . قال شارح القاموس : كذا في التكملة . وقيل : الحرم من طريق الطائف على طرف عرفة من نمرة على أحد عشر ميلاً اه وقد نقل هذا في معجم البلدان وفيه بعده : وقيل نمرة على أحد عشر ميلاً اه أي من مكة . فالتحقيق الذي عليه الجمهور أن المسجد لم يكن من عرفة ، وقول بعض الناس فيه « مسجد عرفة » بالفاء من باب ما جاور الشيء . أعطى حكمه أو نسب إليه ، ولذلك نسب بعضهم عرفة إلى مكة وبعضهم إلى منى . وقال بعضهم إن بعضه من عرفة وبعضه من عرنة ، وذلك بعد أن زيد فيه كما سيأتي

وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في مناسك الحج بعد ذكر استحباب البيت بمنى إلى عرفة كما فعل النبي (ص) ما نصه : ويسبرون منها إلى نمرة عن طريق ضب من يمين الطريق . ونمرة كانت قرية خارجة عن عرفات (أي فخرت كما صرح غيره) من جهة اليمن فيقيمون بها إلى الزوال كما فعل النبي (ص) ثم يسبرون منها إلى بطن الوادي وهو موضع النبي (ص) الذي صلى فيه الظهر والعصر وخطب ، وهو في حدود عرفة بطن عرنة . وهناك مسجد يقال له مسجد إبراهيم وإنما بني في أول دولة بني العباس اه المراد منه هنا وقال الفزالي : في الأحياء وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره في الوادي وأخرياته من عرفة فمن وقف في صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة . ويتبين مكان عرفة من المسجد بصخور كبار فرشت هناك اه

قال الزبيدي عند شرح أول هذه العبارة من شرح لأحياء : وجدت بخط الامام الفقيه الشيخ شمس الدين بن الحريري ما نصه « قد وقع للفتناء في نسبة هذا المسجد لإبراهيم الخليل عليه السلام كلام وقد نسب إليه جماعة منهم ابن كنج وابن سراقه والبغوي والقاضي حسين والازرق وتبعهم الشيخ النووي وجماعة من المتأخرين ، وادعى الاسنوي انه خطأ وإنما هو شخص اسمه إبراهيم من ردوس الدولة المتقدمة كما قاله

غير الا سنوي فالتبس بالخليل عليه السلام . ورد الاذرعى هذا بأن الازرقى من أعلم الناس بهذا وقد نسبته الى الخليل عليه السلام ، قال وعلى تسليم أن يكون قد بناه من ذكر فلا يمتنع أن يكون منسوباً من أصله الى الخليل عليه السلام ، إما لأنه صلى هناك أو أخذ مصلى للناس فنسب اليه « اهـ وأقول : نعم لا يمتنع ذلك عقلاً وإن كنا لا نثبتة الا بقول صحيح فأين هو ؟ وقال لزيدي عند شرح آخر تلك العبارة : قال النووي في زوائد الروضة : الصواب أن عمرة أبست من عرفات وأمام مسجد إبراهيم (عم) فقد قال الشافعي رحمه الله أنه ليس من عرفة فاعلم زيد بعده في آخره ، و بين هذا المسجد وبين موقف النبي (ص) بالصخرات نحو ميل . قال إمام الحرمين وتطيف بمنعرجات عرفات جبال وجوهها المنبلة من عرفة اهـ وقال صديقنا محمد إيبك البستاني في رحلة الحجارة التي ألفها في سنة ١٣٢٨ هـ وصفه لمضى وانتقله الى وصف الطريق منها الى الدافقة فعرفه ما نصه : ومن ثم يضيق الوادي ويسمى بوادي بحر حتى اذا وصل الى المردقة وهي على مسافة ساعتين من منى (٥) أخذ في الانساع مرة أخرى . وهناك ترى على يمينك المشعر الحرام الذي يجب الوقوف عنده في النزول من عرفة . وفي هذه الجهة مسجد على جبل قرح عمره السلطان قايتباي . ومن هناك بضيق الوادي ثانياً ويسمى بوادي عربة (بضم العين وفتح الراء والنون) حتى اذا قرب من مسجد نمرة (ويسمى مسجد عرفة أو مسجد إبراهيم) انفتحت ارجاؤه الى الشمال والجنوب . وهذا المسجد كبير قد أحاطت به البواكي [يعني الاروقة] في جهاته الأربع من داخله . وعمره قايتباي عمارة تشكر ونصفه الغربي (الذي الى مكة) في الحرم والصف الآخر في الحبل وبوسطه مجرى ماء يسير اليه زمن الحج من مجرى عين زيدة . وفي شمال هذا اسجد بقليل الى الشرق ترى العلمين وهما عمودان من البناء بعيدان عن بعضهما [أي أحدهما بعيد عن الآخر] بارتفاع خمسة أمتار في عرض نحو ثلاثة قد أقيا في فضاء الوادي للدلالة على حدود عرفة من الغرب وهناك نجد الجبل قد حلق على الوادي وقوله امامك من الشرق [أقله أي سده] بشكل قوس كدروهو ما يسمونه جبل عرفة . وعلى طرف القوس من جهة الجنوب الطريق الى الطائف على كرا . وفي طرفه من جهة الشمال اسان يبرز الى الغرب بسمونه جبل الرحمة ، وصفحه الجنوبي هو حد عرفة من الشمال . اهـ

صفة جبل الرحمة بعرفات

قال ابن جبير الاندلسي في رحلته : « وعرفات بسيط من الارض مد البصر لو كان محشر الخلائق لوسعهم ، يمدح بذلك البسيط الافيج جبال كثيرة . وفي آخر ذلك البسيط جبل الرحمة وفيه وحوله موقف الناس ، والعلمان قبله بنحو الميئين فما أمام العلين الى عرفات حل وما دونهما حرم ، وعمرة منهما مما يلي عرفات يعلن عنة الذي أمر النبي (ص) بالارتفاع عنه — ثم قال — « وجبل رحمة المذكور منقطع عن الجبال قائم وسط البسيط وهو كله حجارة مقطعة بعضها عن بعض . وكان صعب المرتقى فأحدث فيه جمال الدين (ه) المذكورة ما أثره في هذا التقيد أدراجا وطية من أربع جهاته بصعد فيها بالدواب الموقورة وأنفق فيها مالا عظيما . وفي أعلى الجبل قبة تنسب الى أم سلمة (رض) ولا يعرف صحة ذلك وفي وسط القبة مسجد يتزاحم الناس للصلاة فيه . وحول ذلك المسجد المكرم سطح محقق به فسبح الساحة جبل المنظر يشرف منه على بسيط عرفات . وفي جهة القبلة منه جدار وقد نصبت فيه محارب يصلي الناس فيها . وفي أسفل هذا الجبل القدس عن يسار المستقبل للقبلة دار عتيقة البناء في أعلاها غرف (وفي نسخة غرفة) لها طيقتان تنسب الى آدم (ص) وعن يسار هذه الدار في استقبال القبلة الصخرة التي كان عندها موقف النبي (ص) وهي في جبل متطامن »

أقول هذا الجبل هو جبل إلال (بوزن هلال) قال ابن دريد في وصف الحاج

- | | |
|--------------------------|-------------------------------|
| ينوي التي فضلها رب العلى | لما دعا تربتها على البنى (١) |
| حتى اذا قابها استعبر لا | بملك دمع الدين من بيت حرى (٢) |
| نمت طاف واثنى مستلما | نمت جاء المروتين فسمى (٣) |
| نمت راح في اللببن الى | حيث تحجى الأزمين ونى (٤) |
| ثم أتى التعريف يقرؤ غبثا | منسازلا بين إلال قالقا (٥) |

(*) هو جمال الدين محمد الجواد الوصفي كان وزير صاحب الموصل وله في الحرمين والمشاعر عمارات عظيمة (١) البنى جمع بنية يشير الى أثر « لا اله الا الله وحوا من تحت السكينة » وهو مروى عن عطاء وليس حديثا كما توهموه . والشيء وراءه كشفه ونجاة قيل وبسطه (٢) استعبر جرت عبرته أي دمعته (٣) المروتان الصفا والمروة تاليف (٤) تحجى قصد وتعمد (٥) التعريف الوقوف برفة أي أتى مكان التعريف ، يقرؤ يستقرئ ويتبع مغزلا بمد منزل ، وغبثا خائضا خائشا وإلال الجبل ، والنفا نلال الرمل

موقف النبي (ص) بعرفة

اتفق الرواة على أنه (ص) صلى الصبح يوم عرفة بنى ورحل منها بعد طلوع الشمس حتى جاء ثمرة فأقام بها إلى وقت الزول ثم جاء بطن الوادي فجمع بين الظهر والعصر ثم خطب الناس ثم راح فوقف على الموقف من عرفة ، وعلى أن المكان الذي وقف فيه وأشار إليه في الحديث هو المكان المعروف عند الصغرات . وقال « وقفت ههنا وعرفة كلها موقف » والمراد أنه لم يقف هناك لمزية لذلك المكان على غيره في أداء النسك بل يصح الوقوف في كل موضع من عرفة . ولكن صار لذلك المكان مزية بوقوفه فيه فصار موقف الأئمة ونوابهم الذين يحجون بالناس . وقد نقل الزبيدي في شرح الأحياء كلاماً منصلاً للمحب الطبري في ذلك المكان وفي جبل الرحمة قال « وقد روى أبو الوليد الأزرقي بإسناده عن ابن عباس أن موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بين الأجيل الثلاثة النبعة والنيعة والثابت ، وموقفه صلى الله عليه وسلم منها على الثابت قال والثابت على النشرة التي خلف موقف الامام . وموقفه صلى الله عليه وسلم على ضرس من الجبل الثابت . مضرس بين أحجار هناك ثابتة من الجبل الذي يقال له إلال ككتاب = (قال المحب الطبري) وعلى هذا يكون موقفه صلى الله عليه وسلم على الصغرات الكبار المفترشة في طرف الجيالات الصغار التي كأم الروابي عند الجبل الذي يعتني الناس بصموده ويسمونه جبل الرحمة واسمه عند العرب إلال بالكسر ، وذكر الجوهري فيه الفتح والمحافظة خلافة ، وهذا برج ضبطه من ضبط قول جابر في حديثه الطويل « وجعل جبل المشاة بين يديه » بالجمع فن الواقع كما وصفناه يكون هذا الجبل أعني الإلا بين يديه وهو جبل المشاة ، وذكر ابن حبيب أن الإلا جبل من الرمل يقف الناس به بعرفات عن عين الامام ، حكاه عنه أبو عمرو عثمان بن علي الأنصاري في تعاليقه على الجوهري ، وذكر ابن أبي الصيف في بعض تعاليقه على الجوهري أن اسم جبل الرحمة الذي يقال له جبل المشاة كبكب = (قال المحب الطبري) والمشهور في كبكب أنه اسم جبل بأعلى نهان بقرب الثنايا عنده قوم يدعون الكباكة نسبة إليه ، والمشهور في جبل الرحمة ما ذكرناه . إذا تقرر هذا فن كان راجلاً يبغي أن يلبس بدابته الصغرات المذكورة كما روي عنه صلى الله عليه وسلم ، ومن كان راجلاً وقف عليها أو عندها بحسب ما يتمكن من غير

أيذاء أحد ، ولا يثبت في الجبل الذي يعتني الناس بصعوده خبر ولا أثر (قال) وذكر شيخنا أبو عمرو ابن الصلاح في منسكه عن صاحب الحاوي أنه يقصد الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام ، وعن محمد بن جرير الطبري أنه يستحب الوقوف على الجبل الذي عن يمين الامام يعني جبل الرحمة ، والذي ذكره صاحب الحاوي لادلالة فيه على إثبات فضل هذا الجبل فانه قال والذي تختار في الموقف أن يقصد نحو الجبل الذي عند الصخرات السود وهو الجبل الذي يقال له جبل الدعاء وهو موقف الانبياء عليهم السلام والموقف الذي وقف فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من الاجبل الثلاثة على التاب . ثم ساق ما أورده سابقا ثم قال وهذا أحب المواقع الى الامام والناس (قال الحب الطبري) وهذا صريح في أنه أراد بجبل الدعاء التاب الذي وقف عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تعرض في كلامه لجبل الرحمة يعني ولا اثبات . وما فهمه رحمه الله انه جبل الرحمة غير مطابق وقوله وهو الجبل أراد سهله وهو من الاضداد يطلق على المكان المرتفع والمنخفض والنبي صلى الله عليه وسلم أقام وقف عليه لكونه موقف الانبياء عليهم السلام ، وكلام ابن جرير ظاهر الدلالة أنه أراد بالجبل الذي عن يمين الامام الجبل الذي وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم وهو التاب كما تقدم بيانه والظاهر منهما أراداه بقوله فيكونان قد أثبتا له شيئا من الفضل ، ولا نعلم من ابن اخذ ذلك اذ لم يثبت في فضله خبر ولو ثبت له فضل فوقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه وهو الذي خصه العالم بالذكر والفضل ثم قال الطبري تقاعن صاحب النهاية : في وسط عرقة جبل يقال له جبل الرحمة : ولا نسك في الرقي عليه وان كان يعتاده الناس . وقال غيره قد اقتضت العامة بهذا الجبل في زماننا واخطوا في اشيائه ، منها (آهم) جعلوا الجبل هو الاصل في الوقوف فهم بذكره لهجون ، وعليه دون غيره معرجون ، حتى ربما اعتقد بعض العامة ان الوقوف لا يصح بدون الرقي (فيه) ومنها احتفالهم بالوقوف عليه قبل وقت الوقوف ، ومنها ايقادهم الزيران عليه ليلة عرفة واهتمامهم لذلك باستصحاب الشموع من بلادهم واختلاط النساء بالرجال هنالك صمودا وهبوطا بالشمع الكثير الموقد ، وانما حدث ذلك بعد اقراض السلف الصالح ، ومن كان متبعا آثار النبوة فلا يحصل بركة قبل دخول وقت الوقوف يأمر بذلك ويعين عليه وينهي عن مخالفته اه ما نقله الزبيدي



هذه الصورة رسمت لرحلة البتانوني

انجمن علی حبیب الرحمن بفرمانت



هذه الصورة رسمت لرحلة البنتوني

الحرب والصلح

كثير الخوض في حديث الصلح في السنة الماضية ، وقد كانت دول التحالف الجرمانى هي التي بدأت بطلب فتح باب المفاوضات في الصلح وكلفت ألمانيا الدكتور ولسن رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية قبل انضمامه الى محاربيها أن يتوسط بين المتقاتلين في الصلح فكتب مذكرة في ذلك ردت عليها انكلمرة أشد الرد ، ورفضتها كل الرفض ، وتبعها حلفاؤها بالطبع . ثم ان البابا أرسل رسالة الى جميع الدول المتقاتلة من الفريقين دعاهم فيها الى المبادرة الى حقن الدماء وعقد الصلح على قاعدة جعل قوة الحق الادبية بدلا من قوة الجيش المادية ، وتهديد التسليح البري والبحري والجوي ، وحرية البحار وحقوق الشعوب وعدم ضم شيء من أملاك بعضها الى بعض وعدم أخذ غرامة حرية وجعل التعويض عن الخراب بالمعاون - وقاعدة التحكيم الاجباري فيما يقع بين الدول من المسائل الخلافية . فلم يستحسن هذه المذكرة من دول التحالف البريطانى الاحكومة روسية المؤقتة التي سبقت الى اقتراح قاعدة « لاضم ولا غرامة » وقد رد الدكتور ولسن على المذكرة ردا طويلا وافقه عليه سائر الحلفاء . أهم ما فيه ان حكومة ألمانيا الحاضرة حكومة ائقراطية لاشق الحلفاء بعهودها فيمقدوا مهابالاحا فلاساس الاول لقواعد الصلح عندهم تحويل هذه الحكومة الى ديمقراطية تنطق باسم الشعب فان لم يبادر الالمان أنفسهم الى قلب حكومتهم وثل عرش آل هوهنزولرن المؤيد بالقوة العسكرية والاستعاضة عنها بحكومة ديمقراطية فان الحلفاء هم الذين يفعلون ذلك بالقوة القاهرة ، وحينئذ يتم الصلح الحقيقي الذي يستريح به البشر من مصائب الحرب . وقد أيدت الحلفاء الرئيس في رده وأثنت جرائدها عليه (١) الا أن بعض الجرائد الانكليزية كالتيتمس أنكرت منها نفرة الرئيس بين الحكومة الالمانية والشعب الالمانى اذ جعل وزير الحرب على الحكومة وحدها قالت « ولكن الشعب الالمانى قابل الحرب بحماسة عظيمة وان لم يكن هو الذي أعطها وقد وافق

(١) نشر رد الرئيس ولسن في مقطم ٣ ذي الحجة الماضي (٢٩ ستمبر) ونشرت نبذ من الجرائد الامريكية والانكليزية والفرنسية واليطالية في تأييده في ٤ ذي الحجة

نوابه على جميع الاعتمادات الحرية وقابلت صحافته العظامم الجرمانية بهتاف شديد
وتقول ان الظاهر لنا أن الرئيس والسون يرمي بتبرئة الشعب الالمانى من تبعه
الحرب واطهاره الاكتفاء باسقاط حكومته الامبراطورية الى اغرائه بثورة داخلية على
حكومته المتنازعة بكونها جهة الوحدة اقونها وقوة اخلافها فان تم هذا تنتهي الحرب في
اقرب زمن بأقل خسارة

أما دول التحالف الجرمانى فقد قابلت مذكرة البابا بالابتهاج فأما ألمانية فقد
أرسل وزير امبراطوريتها راجيلالى وزير خارجية الفاتينكان بأمر مولا الامبراطور
بداء بقوله « ان جلالتة ينظر بعين الاحترام والشكر والسروور الى المساعي التي يبذلها
قداسة البابا لتقصير أجز الحرب وتخفيف وطأتها » الخ وتبجح بأن مولا مازال نصير
السلم منذ تروأ العرش وبأنه يوافق على ان الشرط الذي فاه قداسته من الامور التي
يجب أن تظهر في المفاوضات المقبلة وبأنه « ليس في العالم شعب يتمنى الصلح على اساس
اصلاح ذات البين بين الامم وإسلال الاخاء والمساواة يحمل البفض أكثر من الشعب
الالمانى . (قال) فإذا أدركت الامم المشربة بهذه المبادي ان الاتفاق خير من الشقاق
فاتها تستطيع أن تسوي جميع المشاكل الحاضرة وتمنع وقوع الحروب في المستقبل
بالالة جميع الشعوب ما يلزم لحياتها وسعادتها ، فعلى هذا الاساس وحده يحتمل أن
يرم الصلح الدائم الذي يقرب بين الامم وينهض بالبشرية نهضة كبيرة من الوجهتين
المعنوية والاقتصادية . وهذه الثقة هي تحملنا على الاعتقاد بأن أعداءنا يجدون في
المبادي التي أرب عنها قداسة البابا أساساً تهديدا للصلح المقبل بشروط تلائم
روح المدل وموقف أوروبا الحالي » اه بنص ترجمة المقطم (في ٩ ذي الحجة الماضي)
ورد امبراطور النمسة الجديد (كرلوس) بنفسه ردا مشربا بمتهى التعظيم
والاحترام والقبول لانه هو الامبراطور الكاثوليكي الوحيد ولكنه لم يفه بكلمة ما
تدل على اعترافه بحقوق الامم والشعوب

وكذلك كان رد لدولة النمانية على المذكرة باضاء السلطان محمد رشادرد
مشربا بالتعظيم والاحترام وصرح فيه بالموافقة على القواعد الاساسية التي اقترح ان
يبنى عليها الصلح والاستعداد لدرس الطرق الى تؤدي الى تسوية المشاكل الدولية

في إبان مفاوضات الصلح (قال) « وانا نصرح بذلك وامام نظارتنا الضمان الكافي على استقلال الامم وحريتها وارتماها لانا رأينا في اقتراح قداستكم أساسا متينا للصلح العمومي الدائم وطريقة حسنة لحقن الدماء »

وقال قبل ذلك « لقد أكرهنا على خوض غمار الحرب دفاعا عن حريتنا وارتماها بلادنا . وهذه الغاية الشريفة هي الغاية لوحدة التي نحارب الآن من أجلها والتي تكفل لنا المحافظة على حقوقنا واستقلالنا التام المطلق في لادنا وعلى حدودنا القومية » اه من ترجمة المقطم التي نشرت في عدد ٨ المحرم - ١٢٥ أكتوبر الماضي

وقد جزم سياسة الحلفاء بأن الباب لم يسع هذا السعي الى الصلح الى بتوسل ألمانية والنسبة اليه وان سبب ذلك الشعور بالضعف والعجز عن الاستمرار على القتال ، وان الغرض منه إغراء الميالين الى الصلح في بلاد أعدائهم من الاشتراكيين وغيرهم بحمل حكوماتهم على عقد الصلح ، ف من أمة محاربة الاوفيا كثيرين محبي السلم ودعائه. أما رأي هؤلاء الاخلاف في مسألة الامم والشعوب فقد بيناه في الجز الاول ، وأما مسألة الغرامة فقد صرحت جرائدهم ناقلة عن أقطاب ساستهم ان من أهم شروط الصلح عندهم أن يؤخذ من الجرمان عوض عن البلاد التي خربوها في بلجيكة وفرنسة والبلقان ، بعد جلائهم عن هذه البلاد كلها ، ومنها رد الازناس واللوردين الى فرنسة وقد جاءت برقيات روتر في ٥ المحرم (١٢٢ أكتوبر) بنص خطبة طويلة بليغة من خطب لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية أنها على ملا عظم في لندن كان فرضه الاول منها الحث على لاقتصاد في جميع النفقات واستطرد فيها الى الكلام في مسألة الصلح فقال بعد التصريح بأنه لا يرى في جو السياسة شروطا تؤدي الى صلح وطيد الاركان « واسكن الشروط الوحيدة المحتملة الآن تؤدي الى هدنة مسلحة تقضي الى حرب أشد هولاً من هذه . ان هذه الحرب مخيفة ولكن ما كشفته من الرزايا التي يحتمل وقوعها في البر والبحر والجو أشد هولاً وأعظم زعجا ، فلماذا أطلب من الذين يلحون في عقد صلح مبسر - اذا صح ان هنالك من يلاح فيه - ان ينعموا النظر فيما يحتمل وقوعه اذا وقع صلح غير مرض » ثم قال :

« يجب علينا في أثناء البحث في شروط الصلح ان نضع نصب عيوننا الغرض

العظيم من هذه الحرب فإن المسألة ليست مسألة تعديل حدود أملاك الا حيث تقتضي حقوق القوميات هذا التسليم، ولا هي مسألة غرامات الا حيث تكون الغرامات للتعويض من ضرره. وفي الدرجة الاولى مسألة القضاء على مبدأ فاسد باطل استعبد أوربة وأوقع الخوف في قلوب أهلها أو كاد أو أتبع له الفوز (هتاف) « ان العدو الحقيقي هو روح الحرب الذي نشأ وترعرع في بروسياء، هذا الروح الذي يرمي الى جعل العالم مكاناً تسلط فيه القوة البهيمية تسلطاً لا ينازع فيه أحد، بدلا من عالم تسكنه ديمقراطيات حرة مرتبطة معاً بعرى السلم الشريفة، وقد أقيم لهذا الروح هيكل يعبد فيه في بسدان^(١) فلا سلم في العالم ولا حرية الا اذا دك هذا الهيكل وشتت شمل كهنته وأيسوا ثوب العار الى الابد (هتاف)

«وعلفت الرجاء باننا نتمكن في السنة الحالية من القضاء على هذه القوة الهائلة وكنا جميعاً ننتظر حركة حرية عظيمة من جميع الجهات تنجى الى العدو وتبلىنا هذه الامنية. ولكن تضعف قوة روسيا الحربية الموقت — لا أقول انه خيب الآمال ولكنه أجل تحقق الرجاء على أن الزمان في جانبنا » اه المراد منه

[المنار] ان الحرب السياسية من قولية وعملية أعظم من الحرب الآلية من برية وبحرية، وقد ظهر من براعة البشر في الحرب القلبية، ما هو أدل على الخدق والذكاء من براعتهم في اختراع الآلات والاساليب الحربية، ومن براعة الانكليز الممهودة في السياسة أن قذفوا الالمان بالدول والامم، بازا قذف غواصات الالمان لبواخرهم بالحلم، حتى صار أعظم دول أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية حربا لهم، بل آذنتهم دول الصين بالحرب أيضا، فصار عدد نفوس الامم المحاربة لهم بالذات وبالتبع زهاء ألف وخمسمائة مليون، وهم لا يزيدون مع أحلافهم على مئة وخمسين مليونا، وقد صرحت الجرائد بأن الجيش البريطاني المقاتل في الميدان الغربي وحده لا يقل عن ثلاثة ملايين، وان الجيش الألماني المقاتل بالفعل لا يكاد يتجاوز أربعة ملايين. وصرحت مرارا بأن الانكليز وأحلافهم متفوقون على الجرمان في السلاح والذخائر وجميع مواد الحرب أضعافا كثيرة، بل جاء في برقية لمكاتب

المقطم يباريس في ٣٠ مايو الماضي ان الجنرال ز. . لندن قال في مقالة له « يظهر ان النمسة وبلغارية وتركيا استنفدت جميع قواتها وصارت على آخر رمق ، وان هذه الدول الثلاث ماكانت اثبتت لولا همة ألمانية ونشاطها ، ولكنها ستلاشي بفساد قوتها وتطارد الوهن اليها » وقال عن الجيش الالماني « ان عدد فرقه كان في شهر ابريل الماضي ميتين وتسع فرق من المشاة وهذا العدد يساوي عدد المشاة من البريطانيين في ميدان فرنسا فللفرنسيين والانكليزي التفوق على ألمانية » اه

نعم انهم خسروا قوة روسية ولكن يقابلها انضمام الولايات المتحدة اليهم ، وهذه الدولة أغنى دول الارض الآن ، وهي تقرض الحلفاء المال بمئات الملايين في كل شهر ، وتقدم لهم من الذخائر والاغذية والمواد الضرورية للحرب ماخف به الحمل الثقيل عن عاتق الانكليز . ففي مقطم ٢١ المحرم (٧ نوفمبر) مقالة افتتاحية قال فيها : ان الحكومة البريطانية أقضت حلفاءها ألفا ومشتي مليون من الجنيئات ، وهي نجود عليهم بالبوادر والفحم والصوف والقطن والزيت والفولاذ وغير ذلك من المواد الخام التي تكثر في بلادها وفي مستعمراتها . ثم ذكر ان لها في الميدان الغربي نجوا من ثلاثة ملايين مقاتل هذا وان الاخلاق ركن من أعظم أركان الحرب لأن جميع أعمال البشر من آثار أخلاقهم ، فالصبر والثبات في الحرب واجتماع الكلمة خبر من كثرة الجيوش ، فتأمل تليل النصر في النص الكريم (٢ : ٢٤٤) كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين) وقوله تعالى (٨ : ١٧) إذا لقيتم فئة فاثبتوا - الى قوله - ولا تآزوها ففشلوا وتذهب ربكم واصبروا ان الله مع الصابرين) ومعنى كونه تعالى مع الصابرين ان سنته في خلقه قد جرت بحمل الصبر من أعظم أسباب الغلب والنصر ، ولا سيما اذا صحبه الايمان بالله عز وجل والثقة به والتوكل عليه ، وبمعجود ذلك فاز المسلمون من قبل فظفروا الامم الكثرة بالفئات القليلة

والصبر والثبات والتعاون من الاخلاق التي امتازت بها الامة الانكليزية على كثير من الامم منذ اجيال ، لذلك كانت أخلاقهم ، أنفع لاهلهم من أموالهم ومتاعهم ، فلولا لم يثبت على حرب الالمان أحد ، وهؤلاء الالمان أقران لهم وأقاتل في ذلك ، فحرب الاخلاق بينهما هي الجهاد الاكبر ، وعليه الموعول الاخير في النصر والظفر ،

مختارات من الجرائد

﴿ الطعن في رئيس وزراء الإنكلازة ﴾

الطعن في العظماء والمصلحين في الأمم سنة من سنن الاجتماع حوادثها كثيرة في التاريخ ، وقد اتهمت جريدتان من الجرائد الإنكليزية مستر لويد جورج رئيس وزراءهم الذي أظهرت الحرب كفاوته وتفوقه على الأقران فزعمت أنه فر من لندن إلى فرنسا عند علمه بأحدى غارات الطائرات الألمانية إلى العاصمة وقد كذبت الحكومة الجريدتين فلم تعتذرا عن كذبهما فرفع الوزير عليهما دعوى لسوء تأثير طعنهما في العامة . وقد عجبنا مما أظهرته الدعوى من كثرة ما سبق من الطعن في الوزير ، وهو موضع العبارة التي أردنا ضمها إلى أمثالها من حوادث التاريخ . فقد جاء في مقطع ٢٤ المحرم ١٠ نوفمبر — من مقالة في شرح هذه القضية ما نصه :

« ولما عرضت القضية على المحكمة قال المحامي عن المستر لويد جورج ان موكله يقول انه لو كان ما عزته الجريدتان والشركة اليه طعنا شخصيا في شخصه فقط لرأى ان كرامته ومقامه كرئيس وزراء بريطانيا العظمى يقضيان عليه بأن يتقاضى عنه ويكتفى بتكذيبه في الصحف التي نشرته فان المستر لويد جورج استهدف في حياته السياسية لما لم يستهدف له سياسي آخر من الحلات والمطاعن الشخصية والسياسية فقابلها كما يجب على الساسة ان يقابلوها أي انه عدها من الأمور التي لا مناص للسياسي من الاستهداف لها في حياته السياسية . قال المحامي والمستر لويد جورج يعذرنني ذا قلت ان خصومه ما كانوا يخرجون من مناضلاته فائزين . على ان الذي بهم رئيس لوزارة في قضيتنا هذه هو سوء الوقع الذي يقع في نفوس الجمهور من اتهامه كذبا بالجنس ، فقد بلغه ان الناس ولا سيما في القسم الشرقي من لندن ساءهم خبر مغادرة كبير وزراءهم لندن للتخلص مما تعرضوا له ، ولما كانت هذه التهمة كاذبة لجأ الرئيس إلى المحاكم لينفي فيها على رؤس الاشهاد هذه التهمة الباطلة ويطلم مواطنيه على الحقيقة » ثم ذكر المقطع ان الوزير لما حضر المحكمة وحلف البين ألقى عليه المحامي أسئلة أجاب عنها ، منها السؤال الآتي مع جوابه :

س : ألم أفهم منك أنه لو كان الطعن شخصياً موجهاً إلى شخصك فقط، رفعت هذه القضية؟
ج : كنت أكنفي بنفي الخبر الذي روته الجريدتان لأنني لو سرت على قاعدة رفع القضايا على كل من يطن في لما أتيح لي أن أفعل شيئاً آخر »

✽ الاسرائيليون وفلسطين ✽

ترجمة برقية خصوصية للمفطم من مكاتبه بلندن أيدتها برقيات روتر

لندن الجمعة في ٩ نوفمبر الساعة ٣ بعد الظهر

ذكرت جريدة « جويش كرونكل » أن المستر بلفور وزير الخارجية البريطانية

كتب إلى اللورد رتشلد يقول ما نصه : —

« يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك أنها تنتظر بعين الرضى والارتياح إلى المشروع الذي يراد به أن ينشأ في فلسطين وطن قومي لشعب اليهود وتفرغ خبر مساعيها لتسهيل ادراك هذا الغرض . ولكن لا يمكن معلوماً أنه لا يسمح بأجراء شيء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين الآن أو بالحقوق التي يتمتع بها اليهود في البلدان الأخرى وبمركزهم السياسي فيها » مكاتبكم بلندن

✽ مظاهرة الصهيونيين لتحقيق أمانهم في فلسطين ✽

جاء في مقطم ١٦ المحرم — ١٣ نوفمبر ما نصه :

« قال وكيلنا الاسكندري أمس : أقام الاسرائيليون ولا سيما الصهيونيين منهم احتفالاً كبيراً أمس في حديقة رشيد بالاسكندرية على إثر البيان الذي أبلغه المستر بلفور إلى اللورد رتشلد في شأن تحقيق أمانهم الاسرائيليين بمجمل فلسطين وطناً قومياً لهم . وقد ألقى بعض خطبائهم في هذا الاحتفال خطباً تناسب المقام فشكروا للحلفاء عامة ولبريطانيا خاصة هذا الوعد الشريف آمالين بتحقيقه في القريب العاجل ثم طاف المحتفلون وهم في أحسن نظام في شوارع المدينة الكبرى بتقديمهم الموسيقى وفرقة الكشافة الاسرائيلية وهم فرحون جذلون بتلك البشرية السارة هاتفون للحلفاء ولبريطانية العظمى بدوام النصر والظفر » اهـ

﴿ معركة غزة ونتائجها ﴾

نشر المقطم تحت هذا العنوان البوقية الآتية : باريس في ٨ نوفمبر
ان سقوط غزة من الحوادث التي يمكن أن تنشأ عنها نتائج عظيمة جداً والتي
تعد مقدمة لا قول نجم تركيا في الاماكن المقدسة وتحرير البلاد التي هي مهد
الديانة المسيحية . وقد قطعت المواصلات التركية تماماً مع القوات التي تحارب في
بلاد العرب وصار مصير « المدينة » معروفاً من الآن . وقد احتلت انكلترا حليقة
ملك الحجاز كل العراق تقريباً وجنوبي بلاد فلسطين (هافاس)

عبر التاريخ

٢

ما قبل في سقوط بغداد

نشر المقطم في عدد ٢٨ جاد الاولى سنة ١٣٣٥ - ٢٢ مارس ١٩١٧ ترجمة
منشور الجنرال مود الذي خاطب به أهل بغداد عقب دخولها فأنجا باسم ملكه
واسم الشعوب التي يحكمها وقد بدأه ببيان أن غرضهم من الحرب كسر العدو
واخراجه من البلاد فجاء جيوشهم العراق لذلك لا « كما يأتي الغازي الفاتح والعدو
الطامع » ثم تلى بذكر تخريب الجانب للبلاد من عده ولا كواستبدادهم فيها ثم قال :
« ان جلالة ملكي وشعوبه والامم العظيمة المحالفة له يرومون لكم السعادة
والرخاء واحياء العصر القديم لما كان الخصب منتشراً في دياركم تضيء العالم بنبراس
الآداب والعلم والفنون ولما كانت بغداد احدى عجائب الدنيا
« ان بين شعبكم واملاك ملكي علاقات مصلحية وثيقة فقد تعامل تجار بغداد وتجار
بريطانيا العظمى منذ مئتي سنة بنجاح المودة والصداقة وجنى الفريقان الربح أما الالمان والترك
الذين نهبوكم فقد اتخذوا ببغداد منذ ٢٠ سنة مقراً لها جهة قوة بريطانيا العظمى وحلفائها
في ايران وجزيرة العرب ، فلم يرع الحكومتان البريطانية الا أن تكثر لما يقع في بلادكم
الآن وفي مستقبل الايام ، فان الواجب والمصلحة للشعب البريطاني وحلفائه يقضيان على
الحكومة أن لا تسمح بان يتكرر في بغداد ما فعله الترك والالمان في اثنان الحرب »

ثم خاطب أهل بغداد خاصة فذكر لهم أن حكومتهم بها بسرهم التجاري وسلامتهم من الظلم والجور، ومناياهم من أرهاقها لهم بأحكام أجنبية عنهم قال: « بل هي نرجو أن نحقق آمال فلاسفتكم وحكماؤكم وكتابكم فترضوا ببغداد وتزهر وينشط أهلها ويستمتعون بثروتهم ومقتنياتهم في ظل النظام الذي يطابق شرائعكم المقدسة وأمانكم القومية » وذكرهم ثانية بظلم الأجانب واستقلال الحجاز . وختم المنشور بدعوتهم الى الاشتراك في إدارة شؤونهم الملكية مع مندوبي بريطانيا العظمى الذين يصبحون الجيش البريطاني (قال) فتحدوا مع بني جنسكم في الشمال الشرقي والجنوب والغرب على تحقيق آمال العرب

ثم نشر المقطع مقالة في عدد ٢٩ جادى اقتحه بمباراة طويلة من مقالة لمستشرق بريطاني دعا العرب فيها الى اليقظة وطلب الحرية والاستقلال (هي المقالة التي نشرها المقطع في شهر سبتمبر من العام الماضي وأشار اليها في المقالة التي قلنا عنه معظمها في آخر الجزء الماضي) هذا نصها :

« هل انحط العرب اليوم أو فسدت احساسهم وضعفت هممتهم ؟ - كلا لا هذا ولا ذلك فهمتهم لا تزال كبيرة، واحساسهم لا تزال صحيحة . وهم حافظون لانسابهم وقداصواتها مازانهم به الله من قوة وبأس وهمة ونشاط ومضاء عقل واصالة رأي وشجاعة واقدام وأخلاق كريمة وساحة وجود واحسان ، ولكني رأيتهم غارقين في بحور الفاقة ، وقد تولاهم الفرق واشتد بهم الانقسام فدانوا السواهم وخضعوا . وبعدما كانوا سادة صاروا مسودين ، فهل يبقون بعد أن تضع الحرب أوزارها، كما كانوا لما أضرم أوارها

« تشتت شمل العرب ودالت دولتهم منذ عصفت في بلادهم عاصفة هولاء الكومالوي واجتاحها الساجوقيون رعاة طوران فضاع استقلال العرب وابتوا رعية لسواهم، فذلوا بعد العز واقفروا بعد الفخ وبخس الجبل على بلادهم بعد ما كانت مطلق شمس العلم والعرفان حتى طلع صبح اليوم الذي تغلث فيه قيود الامم المقهورة، فهل يعتبر العرب بما يشع الآن في أنحاء الدنيا ويجمعون كلهم ويتبنون الوحدة القومية لهم ولا بناتهم بمدم

« لقد كان العرب أعداء أنفسهم، فأوسعوا مجال الانقسام بينهم ولولا ذلك لما نسلط عليهم شعب أدنى منهم وأخطأ فالعرب لا تنورهم الشجاعة ولا تنقصهم الاخلاق

الكريمة، وقد امتد ملكهم من بحر الروم الى سور الصين فضربت الامثال بنجدتهم،
وتحدثت الامم بأسهم وشدتهم، ولا يزالون كما كانوا من أشد الناس نخوة وأعظمهم
حمية، وهم كرمل البحر في الكثرة، فكيف يرضون بالذل ولا يطمعون بالاستقلال
ومساواة الشعوب العظيمة والتمتع بأطياب الحياة ورغد العيش والهناء.

«لست أدعو العرب لأن يكونوا سفاحين كاللمان ولا ظالمين كالترك، ولكنني أتمنى لهم
ان يكونوا أحراراً في بلادهم، وان يطيبوا انفساً وعيشاً ويعودوا الى سابق عهدهم، فينبهروا
العالم بأنوار حكمتهم وعلمهم، وفلسفتهم وصناعتهم، كما فعل أسلافهم الكرام من قبلهم
« اني أسمع صوتاً ينادي من السماء، ويقول : امضوا يا أبناء عدنان، وياسلالة
قحطان، وافيقوا من سدة النوم فقد غابت عليكم الف عام »

ثم قفى المقطع على هذه البذرة بالتقوية بنشور الجنرل مود والثناء عليه، ولكنه
هنا هفوة كبيرة في المقابلة بينه وبين ما خاطب به الحجاج أهل العراق، اذ وصفهم
بالتفاق والشتاق، والفرق بين الحاليين عظيم

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

أرجأنا بقية هذه الترجمة الى جزء آخر

﴿ المطبوعات الجديدة ﴾

لدينا كثير من مطبوعات السنتين الماضيتين — على قلة المطبوعات في هذا الزمن — لم
تفرغ للنظر في شيء منها للنيل من رتبته، أما في خلال الأمد فسندكرها بالاختصار، وأقل
حقوق أصحابها الاعلان، ونبدأ بذكر حقيقتين مصريتين :

﴿ المجلة السلفية ﴾ « علمية أدبية أخلاقية تاريخية اجتماعية تصدر مرة في كل شهر،
صاحبها ومديرها عبد الفتاح (افندي) قنلان، سنتها عشرة أشهر وقيمة الاشتراك فيها ٢٠
قرشاً في القطر المصري و٨ فرنكات في الخارج تدفع مقدماً. وقد تمت سنتها الاولى فكانت
٢١٦ صفحة وأكثر ما نشر فيها مختارات من "السكتب العربية" للشيخ طاهر الجزائري.
وهذا وجه تسميتها بالمجلة السلفية

﴿ المحال ﴾ جريدة اخبارية اقتصادية تضائية تاريخية تصدر ثلاث مرات في
الاسبوع. صاحبها ومديرها خليل بك صادق وقيمة الاشتراك فيها مئة قرش في السنة. وفاته
ان يذكر في صفحتها انها فكاهية فروح فكاهية صاحبها، نحلي في كل ما ينشر فيها.



أولئك الذين هم أئمة أولئك هم أولئك الذين هم أئمة

الحجاء
١٣١٥

أولئك الذين هم أئمة أولئك هم أولئك الذين هم أئمة

أولئك الذين هم أئمة أولئك هم أولئك الذين هم أئمة

٣٠ ربيع الأول ١٣٣٦ — ٢٢ الجدي (١ ش) ١٢٩٦ هـ ش ١٣ يناير ١٩١٨

فَكَانَ الْمُبْتَلَىٰ

ففتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لايسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر عماشاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم يذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(حکم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها) *

(س ۹) من صاحب الامضاء الرمزي في سنفافوره

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

ما قول الأستاذ المرشد مولانا السيد محمد رشيد رضا أرشده الله ورضي عنه في حكم عمل الصور من الجص والاحجار والمعادن مجسمة - وفي حكم عملها بالحفر

أو القلم أو بآلة حبس الظل (الفوتوغراف) غير مجسمة، هل هو جائز مطلقاً أو في بعض الصور وما الدليل على ذلك ؟

وهل تقولون بحرمة ما صنع للعبادة والتعظيم فقط أم تذهبون الى كون التحريم خاصاً بالزمن المتقدم خوفاً من ان يكون ذريعة الى عبادة الصور اما الآن فلا يحرم لانعدام الذريعة ؟ وهل يدل على ذلك ترك الصحابة ما وجدوه في ايوان كسرى من الصور مع صلاحهم فيه لانها لمحض الزينة ام لا ؟ وما حكم لاقتناءها ولو لحاجة والنظر ولو لضرورة عسر الاحتراز او لكونها عند من لا يحرمها ؟

افتونا على صفحات مناركم مأجورين ، ولا زلت قبلة الافادة وللصواب موقفين ، وبامداد الله معانين . — حرره في سنة ثور — د هـ

(ج) سبق لنا قول وجيز في هذه المسألة وقضت الحال الآن بسط المسألة بالتفصيل وهو يتوقف على ايراد الاحاديث الصحيحة الواردة فيها ولمخص ما فهمه العلماء المشهورون منها . وقد استوفى الامام البخاري جل ذلك في كتاب اللباس من صحيحه فنعتمد في النقل على ما ورد فيه فنذكره بغير عزو اليه غالباً ونعزو ما نقله عن غيره لزيادة الفائدة فيه ونعتمد في تلخيص أقوال العلماء على ما أورده الحافظ ابن حجر في الفتح فانه أجمع الكتب التي نعرفها لذلك ولا مثاله ، وان قلنا شيئاً عن كتاب آخر نعزوه اليه

❦ الاحاديث الصحيحة في التصوير والمصورين ❦

١ — عن مسلم (هو ابن صبيح أبو الضحى واشتهر بكنيته) قل كنا مع مسروق في دار يسار بن غبر (هو مولى عمر بن الخطاب وروى عنه) فرأى في صفته (*) تماثيل فقال سمعت عبدالله (هو ابن مسعود) قال سمعت النبي (ص) يقول « ان أشد الناس عذاباً عند الله المصورون » وفي رواية مسلم : كنت مع مسروق في بيت فيه تماثيل فقال مسروق هذه تماثيل كسرى فقالت لا هذا تماثيل مريم . ثم ذكر الحديث

(*) السنة بضم الصاد وتشديد الفاء كالطالة وزنا ومعنى وتطلق على المكان المظلل بفناء الدار أو المسجد وعن الليث انها مكان كالبحر مظل مستطيل

٢ - عن ابن عمر (رض) ان رسول الله (ص) قال « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم احيوا ما خلقتم »

٣ - عن ابن عباس انه جاءه رجل فقال لي في اصور هذه الصور فأفنتي فيها فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « كل مصور في النار . يجعل له بكل صورة نفسا فتعذبه في جهنم » وقال فان كنت لا بد فاعلم فاصنع الشجر والانس له . ورواه مسلم وأحمد وفي بعض الروايات ان السائل رجل من أهل العراق أراد نجارا . وفي بعضها انه قال له انما معيشتي من صنعة يدي . وانه عندما ذكر له الحديث اندخ غيظا فرخص له بما ذكر . ونص المرفوع في رواية أخرى « من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة ان ينفخ فيها الروح وليس بنافخ » قال الحافظ بن سعد وفي رواية أبي سعيد ابن أبي الحسن « فان الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا » واستعمال حتى هنا نظير استعمالها في قوله تعالى (حتى يبلج الجبل في سم الحياط) وكذا قولهم لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب . ثم ذكر ان هذا أمر تعجز لا من تكليف . ولا باطل . وله استشكل في حق المسلم لانه يدل على الخلود وانه يتعين تأويله بزيادة لزجر الشديد وأن ظاهره غير مراد . هـ ما ذكره الحافظ لمختصا . وأقول لاولى ان يحمل على المشركين الذين يصنعون ما يبعد اعدائهم كما يعلم مما يأتي

٤ - عن عمران بن حطان بن عائشة (رض) أخبرته ان النبي (ص) لم يكن ينرك في بيته شيئا فيه تصاليب لا تقصص

التصاليب جمع تصليب وهو مصدر سمي هـ . كان فيه صورة الصليب من ثوب أو غيره ، ونقصه أزاله ، والازالة تكون بنحو الطمس والحك والاطح والقطع . وقد ذكر البخاري هذا الحديث في (باب نقض الصور) وذكر الحافظ في وجه مطابقة الحديث لترجمة انه استنبط من نقض الصليب نقض الصورة التي اشترك مع الصليب في المعنى الذي هو سبب التحريم وهو عبادتهما من دون الله

هـ - عن أبي زرعة قال دخلت مع أبي هريرة دارا بالمدينة فرأى في أعلاها مصورا بصور فقال سمعت رسول الله (ص) يقول « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا حبة وليخلقوا ذرة »

في هذه الرواية حذف علم من رواية أخرى وهو « قال الله عز وجل : ومن أظلم ممن ذهب بخلق » الخ رواها مسلم . وفيها ان الدار دار مروان وفي رواية له : تبنى لسميد أولمروان . قال ابن بطال فهم أبو هريرة ان التصوير يتناول ماله ظل وما ليس له ظل فلهذا أنكروا ما ينقش في الحيطان . يعني ابن بطال ان هذا الفهم غير صحيح من حيث ان التشبيه في الحديث القدسي لا ينطبق عليه فان الله تعالى خلق ذوات مائكة لا تقوша في الحيطان ونحوها . ويمكن ان يقال أيضا ان صنم التماثيل ذات الظل التي شددوا فيها لا تعد من هذا الظلم الا اذا قصد صانعها أن يخلق كخلق الله ، وقد فسروا « ذهب بخلق » بقصد وهو رواية حديث ابن فضيل . ويؤيده حديث عائشة الآتي (وهو التاسع) اذ قال : يضاھون بخلق الله . وفي رواية مسلم : يشبهون بخلق الله . وأما يكون هذا بالقصد .

٦ - عن ابن عباس عن أبي طلحة (رض) قل قال رسول الله (ص) « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تصاور »

٧ - عن عبد الله بن عمر قل : وعد جبريل النبي (ص) فرائ (أي أبعال) عليه حتى اشتد على النبي (ص) فخرج فلقبه فشكا اليه ما وجد فقال « إنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب » هكذا أخرجه البخاري مختصرا . وهو عند مسلم من حديثي عائشة وميمونة أوضح وفي الاول ثم التفت فاذا جرو كلب تحت سريره فقال « يا عائشة متى دخل هذا الكلب هنا » فقالت والله ما دريت به . فأمر به فأخرج فجاء جبريل الخ وفي الثاني : ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج ثم أخذ بيده . فوضح مكانه فلما أمسى لقيه جبريل الخ وظاهر الحديثين ان امتناع جبريل كان بسبب وجود الكلب اذ ليس فيهما ذكر للصورة . وفي الاول انه رأى الكلب عرضا ولم يكن عالما بوجوده وفي الثاني انه كان عالما به وتذكره بعده إبطاء جبريل . وفيها اختلاف بين السرير والفسطاط والاول معروف والثاني بيت من شعر دون السرداق وقال النووي أصله عمود الاخية والمراد به في الحديث بعض حبال البيت فيطابق حديث عائشة اه باللفظ . وفي القصة حديث أبي هريرة عند أحمد وأبي داود والنسائي والترمذي وصححه كابن حبان والحاكم وهو :

« أناني جبريل فقال أنتك البارحة فلم يعني أن أكون دخلت الا أنه كان على الباب تماثيل وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل ، وكان في البيت كلب . فر برأس التمثل الذي على باب البيت يقطع فبصير كثيرة الشجرة ، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتان منبوذتان توطآن ، ومر بالكلب فليخرج » ففعل رسول الله (ص) وإذا الكلب جرو كان للحسن والحسين تحت نضد لهم . وفي رواية النسائي « إما ان تقطع رءوسها وما ان تجعل بسطا توطأ » والنضد بفتحين ما ينضد من متاع البيت يجعل بعضه فوق بعض وما ينضد عليه ذلك المتاع من سرير وغيره فهو بطابق حديث عائشة من هذا الوجه

ظاهر هذا الحديث ان الواقعة كانت في بيت علي وفاطمة وظاهر حديث كل من عائشة وحفصة انها كانت في بيتها .

ومن الاضطراب في هذه الروايات ان حديث ابن عمر صريح في ان النبي (ص) خرج تلقى جبريل خارج البيت وظاهر حديث عائشة ان جبريل دخل البيت بعد اخراج الكلب ، وصرح عائشة وحفصة بأنه (ص) أمر باخراج الكلب قبل لقاء جبريل بعد رؤيته أو تذكره وصرح أبو هريرة بأن جبريل هو الذي أخبره به واقترح عليه اخراجه وعادة العلماء ان يجمعوا بين أمثال هذه الروايات المتعارضة بتعدد الوقائع وعليه يرجح أن يكون ما رواه أبو هريرة وقع أولاً فعلم منه النبي (ص) ان جبريل لا يدخل مكانا فيه كلب ولذلك أمر باخراج الكلب بعد ذلك لما رآه أو تذكره له مما سبق انه هو سبب تأخر جبريل ولكن في حديثي عائشة وحفصة عند مسلم ان النبي (ص) لم يكن يعلم سبب تأخر جبريل عليه السلام لانه سأله عنه فقال في حديث عائشة « معني الكلب الذي كان في بيتك إنا لا ندخل الخ

وذكر النووي في سبب الامتناع أربع علل (١) كثرة أكل الكلاب للنجاسات (٢) قبح رائحتها أي رائحة بعضها (٣) ان بعضها يسمى شيطانا وهو الاسود القبيح المنظر (٤) الهي عن اتخاذها ، ولهذا الاخير قل الخطابي ان الامتناع خاص بما نهي عنه دون المأذون فيه ككلب الماشية والزرع والصيد وخافه النووي فقال بالتعميم في الكلاب ولكنه خص الملائكة بملائكة الرحمة

٨ - عن أنس (رض) قال كان قرام لعائشة سترت به جانب يفتها فقال لها النبي (ص) «أميطي عني فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي» أميطي أي نحى وازيلي وفيه حذف المفعول ورواية مسلم «أزيله»

٩ - عن عائشة (رض) قالت : قدم رسول الله (ص) من سفر وقد سترت بقرام لي على سهوة لي فيه تماثيل فلما رآه رسول الله (ص) هككه وقال « أشد الناس عذابا يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » قالت فجعلناه وسادة أوسادتين

وفي رواية للبخاري في المظالم قات فانخذت منه مرقتين فكانتا في البيت بمجلس عليهما . وفي رواية لمسلم فجعلته مرققتين فكان يرتفق بهما في البيت . وفي لفظ أحد : فقطعته مرققتين فلقد رأيته متكئا على إحداها وفيها صورة . والفرقة المرفوعة الوسادة كما سيأتي

١٠ - وعنها أنها اشترت مرققة فيها تصاوير فقام النبي (ص) بالباب فلم يدخل

(قالت) فقلت أتوب الى الله مما أذنبت . قال « ما هذه المرققة ؟ قلت لتجلس عليها وتوسدها » قال « ان أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، وان الملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور » وفي رواية لمسلم « اشتريتها لك تقعد عليها وتوسدها . والفرقة المرفوعة منه » ان البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة

١١ - وعنها قالت : قدم النبي (ص) من سفر وعلفت درنوكا فيه تماثيل فأمرني

أن أنزعها فزعمته ، هذا لفظ البخاري . ولفظ مسلم : وقد سترت على بابي درنوكا فيه الخيل ذات الاجنحة . وفي لفظ آخر عنده : دخل النبي (ص) علي وقد سترت غطا فيه تصاوير فتحاه فانخذت منه وسادتين . وستور الدرنوك والخط جنس واحد كما سيأتي

١٢ - عن بشر بن سعيد عن زيد بن خالد (الجني الصحابي) عن أبي طلحة

(زيد بن سهل الانصاري) صاحب رسول الله (ص) قال ان رسول الله (ص) قال « ان للملائكة لا تدخل بيتا فيه الصورة » (وفي نسخة الصور وفي أخرى صور) قال بشر ثم اشتكى زيد (أي ابن خالد) فمدناه فاذا على بابه سترة فيه صورة (وفي نسخة صور) فقلت لعبيد الله الخولاني ربيب ميمونة زوج النبي (ص) (وكان مع بشر) : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الاول ؟ (وفي نسخة يوم أول) فقال عبيد الله : أتم سمعته حين قال « الارمها في ثوب » قال الحافظ : في رواية عمرو بن الحارث :

فقال انه قال « الارقا في ثوب » الاسمته ؟ قلت لاه قال بلى قد ذكره . وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي

١٣ - وروى مسلم وأبو داود عن زيد بن خالد عن أبي طلحة الانصاري قال سمعت رسول الله (ص) يقول « لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا تماثيل » قال فأتيت عائشة فقالت ان هذا يخبرني ان النبي (ص) قال لا تدخل الملائكة ... « الخ » فهل سمعت رسول الله (ص) ذكر ذلك ؟ فقالت لا ولكن سأحدثكم ما رأيته فعل - رأيته خرج في غزاة فأخذت نمطا فسترته على الباب ، فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهية في وجهه ، فغذبه حتى هتكه أوقفه وقال « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين » قالت فقطعتنا منه وسادتين وحشوثهما ليعا فلم يعب ذلك علي

قالوا ان هذا النمط هو الذي فيه الخيل ذات الاجنحة كما تقدم آتفا من رواية أخرى عند مسلم وذكر النووي ان العلماء استدلوا به على منع ستر الحيوان وتنجيد البيوت بالثياب وهو منع كراهة تنزيه لا تحريم ، هذا هو الصحيح . ثم رد على من حرمه وأقول : الظاهر أن هذا الحديث معارض لتلك الاحاديث اذ ليس فيه أنه أنكر الصور التي في النمط ويمكن ان يقال ان هذا وقع قبل امتناع جبريل من دخول البيت لوجود التماثيل والكلب فيه ، الا ان عائشة حدثت بهذا وبغيره بعد رسول الله (ص) فلمسألة مشكلة من هذا الوجه . ومثله حديث أنس عند البخاري (وهو اثامن مما أوردنا) ففيه أنه (ص) أمرها بإمالة القرام لان تصاويره تعرض له في صلاته ، فعلة الامر باز لأنه بشغل نظر المصلي اليه ، وجهير الفقهاء متفقون على كراهة الصلاة الى ما يشغل المصلي ، ولا دليل فيه على انكار الصور أو تحريم اتخاذها . ومثله حديثها في البرنوك (وهو الحادي عشر) ولكن ليس فيه تصريح باللعنة . ومثله حديثها عند مسلم في الثوب الممدود الى السهوة . وأما حديثها في القرام (وهو التاسع) وحديثها في النمرقة (وهو العاشر) فهما صريحان في إنكار اتخاذ الصور بتلك الهيئة . وقد استشكل ذلك العلماء وأجاب بعضهم عنه بتعدد الوقائع وبأن الصور في بعضها من غير ذوات الارواح وهي التي لم ينكرها وفي بعضها من ذوات الارواح كالطير والخيل وهي التي أنكرها . ويقال هنا أيضا ما قلناه في حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة ، وهو

أن عائشة كانت تحدث بذلك بعد رسول الله (ص) فلماذا كانت تذكر كل واقعة وحدها ولم تبين لكل سائل أو محدث كل ما علمته في المسألة؟ وهل يعقل أن ينكر النبي (ص) على عائشة عملا علمته في بيته فنزله بأمره ثم تعود الى فعله؟ كلا ان الروايات في هذه المسألة مضطربة ولم نر لاحد من العلماء قولاً شافياً فيها .
والذي نراه أقرب الى الوقوع ان عائشة كانت علفت على الجدار سترها فيه تصاوير للزينة فأنكر النبي (ص) ذلك من باب الارشاد الى ما يستحسن في تدبير المنزل وهو عدم إضاعة الثوب بوضعه على الجدار وضعا لا فائدة فيه لان الثياب لستر الابدان وزينتها لا لستر الحجر والطين . ويحتمل ان يكون هذا هو الذي وقع أمامه في صلاته وأنه علل أمره بإزالته بكونه يشغل النظر في وقت الصلاة وبكونه اسرافا وإضاعة للثوب وان عائشة ذكرت كل تعليل مرة في سياق كلام اقتضاه ، أو ذكرتهما معا وذكر الرواة كلا منهما في سياق اقتضاه ، ويحتمل ان يكون الحديثان في واقعيتين علل الانكار في الاولى منهما بشغل النظر في الصلاة وان الستر كان في الثانية بحيث لا يراه في الصلاة ، وكل حديث في هذا الباب لم تنكر أو لم تذكر فيه التصاوير فهو محمول على تلك الواقعة أو الوقعتين . وأما الروايات التي فيها التصريح بانكار اتخاذ التصاوير بتلك الصفة فالأقرب انها في واقعة واحدة كانت بعدما تقدم ، وانها علفت الثمرة في غيبته اذ كان مسافرا فلما عاد ورأها أنكر عليها وامتنع من دخول البيت حتى تنزعها فلما تابت دخل وهتكها بيده أي أزالها الا ان الإخبار بها كان في أوقات مختلفة فاختلف التعبير باللفظ والمعنى . ومن الاول القرام والنمط والدرونك والثرقة والوسادة والرقعة * ويدل على هذا الجمع قولها : أتوب الى الله

(*) القرام بالكسر ستر فيه نقوش وتصاوير . وقيل ثوب من صوف ملون يفرش في المودج أو ينطى به . والنمط قال النودي في شرح معالم المراد به هنا بساط ليف له خل . والدرونك بالقلم كصفحة ثوب غليظ له خل اذا فرش فهو بساط . واذا علق فهو ستر . والثرقة بضم النون والراء — وكبر هذا لانه كلب — الوسادة يجلس عليها وتوضع على الرجل تحت الراكب لايئها وتوسد أيضا فتسمى وسادة والوسادة بفتح الهمزة التي تتوسد في النوم أي بوضع عليها الرأس وتسمى بمخدة بكسر الميم لانها بوضع عليها الرأس عند النوم . وتسمى مرفقة ومرفقا بكسر الميم وفتح الفاء لانها بوضع عليها المرفق عند الانكسار ، فاختلاف الاسماء لا اختلاف الاستعمال =

مما أذنبت . فلو لا النهي السابق لم يكن تمليقها الترفقة ذنبا تتوب منه . ولكن في بعض روايات الصحيح أنها قالت : فما أذنبت . ولعل هذا غلط من بعض الرواة

١٤ — عن عائشة (رض) قالت : كنت ألعب بالبنات عند النبي (ص) وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله (ص) اذا دخل يتقمن منه (أى يسترن) فيسترهن (أى يرسلهن) اليّ فيلعبن معي . أخرجه البخاري في كتاب الادب من الصحيح

وقد حرف بعض المشددين في مسألة الصور هذا الحديث فزعم ان معنى قولها كنت ألعب بالبنات — كنت ألعب مع البنات . قال الحافظ في شرح الحديث : حكاه ابن التين عن الداودي ورده (قلت) ويرده ما أخرجه ابن هبيرة في الجامع من رواية سعيد بن عبد الرحمن الخزومي عنه عن هشام بن عروة في هذا الحديث : وكن جوارى يأتين فيلعبن معي . وفي رواية جرير بن هشام : كنت ألعب بالبنات وهن اللعيب . أخرجه أبو عوانة وغيره . وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة قالت : قدم رسول الله (ص) من غزوة تبوك أو خيبر — فذكر الحديث في هتكه السر الذي نصبت على بابها قالت : فكشف ناحية السر عن بنات لعائشة لعب فقال « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت بناتي ، ورأى فيها فرسا مربوطا له جناحان فقال « ما هذا ؟ قلت فرس ، قال « فرس له جناحان » قالت ألم نسمع انه كان لسلطان خيل لها أجنحة ؟ فضحك . فهذا صريح في ان المراد باللعب غير الألعاب

١٥ — عن عائشة (رض) قالت لما اشتكى النبي (ص) — أي مرض مرض الموت — ذكر بعض نسائه كنيسة يقال لها مارية وكانت أم سلمة وأم حبيبة أنبا أرض الطيبة فذكرنا من حسنهما وتساوير فيها فرفع رأسه فقال « أولئك اذا مات فيهم الرجل الصالح خيروا على قبره مسجدا ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار المخلوق عند الله » أخرجه البخاري في أبواب المساجد وفي الجنائز وأخرجه مسلم في المساجد

== وقد كان يختلف المسمى بالكبر والصغر كما يختلف الآن وهو جنس واحد بتحديد معناه أنه شبه كين من تبيح يوضع فيه نحو قطن أو صوف أوليف ويخاط عليه . ومنه ما يصنع أولا وبالذات للزوم وثمة ما يصنع للاكراه أو الجلوس . ثم يستعمل لعب ذلك عند الحاجة

﴿ أقوال العلماء في فقه هذه الاحاديث ﴾

(١) قال الحافظ عقب ذكر حديث أبي هريرة المتقدم عن أحمد وأصحاب السنن مانصه : وفي هذا الحديث ترجيح قول من ذهب الى ان الصورة التي تمتع الملائكة من دخول المسكان التي تكون فيه هي ما تكون على هيئتها مرتفعة غير ممتنة . فأما لو كانت ممتنة أو غير ممتنة لكننا غيرت عن هيئتها إما بقطعها من نصفها أو بقطع رأسها فلا امتناع

(٢) ثم قال الحافظ في إثر ما تقدم : وقال القرطبي ظاهر حديث زيد بن خالد عن أبي طلحة المضي قبل (وهو التاسع مما تتلناه عن البخاري) أن الملائكة لا تمتنع من دخول البيت الذي فيه صورة ان كانت رقفا في الثوب ، وظاهر حديث عائشة المنع . وبجمع بينهما بأن يحمل حديث : أئنة على الكراهة وحديث أبي طلحة على مطلق الجواز وهو لا يتنافي الكراهة . (قال الحافظ) قات وهو جمع حسن لكن الجهم الذي دل عليه حديث أبي هريرة رلى منه والله أعلم

(٣) قال الحافظ عند الكلام على حديث التمرة : قال الرافعي وفي دخول البيت الذي فيه الصورة وجهان قال الاكثر يكره وقال أبو محمد بحرم . فلو كانت الصورة في ممر الدار لا داخل الدار كما في ظاهر الحمام أو دهابزها لا يمتنع الدخول . قال وكان السبب فيه ان الصورة في الممر ممتنة وفي المجلس مكروه . (قلت) وقضية بإطلاق نص المختصر وكلام الماوردي وابن الصباغ وغيرهما لافرق اهـ

(٤) اختلفوا في الملائكة التي لا تدخل بيتا فيه صورة ولا كاب قليل هو على العموم وقيل هو خاص بملائكة الرحمة وتقدم عن النووي وصرح هؤلاء بأنه يستثني منه الحفظة ، وقيل من نزل بالوحي خاصة كجبريل (قال الحافظ) وهذا نقل عن ابن وضاح والداودي وغيرهما وهو يستلزم اختصاص النهي بعهد النبي (ص) لان الوحي انقطع بعده وبانقطاعه انقطع نزولهم . وقيل التخصيص في الصفة أي لا تدخله الملائكة دخولهم بيت من لا كاب فيه

(٥) قال الحافظ : فأغرب ابن حبان فادعى ان هذا الحكم خاص بالنبي (ص)

قال وهو نظير الحديث الآخر « لا تصحب الملائكة رقة فيها جرس » — قال —
فانه محمول على رقة فيها رسول الله (ص) اذ محال ان يخرج الحاج والمعتمر لقصد
بيت الله عز وجل على دواحل لا تصحبها الملائكة وهم وفد الله انتهى وقد استبعد
الحافظ هذا التأويل وقال انه لم يره لغيره

(٦) قال : وقد استشكل كون الملائكة لا تدخل المكان الذي فيه التماثيل مع
قوله سبحانه وتعالى عند ذكر سليمان عليه السلام (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل)
وقد قال مجاهد كانت صوراً من نحاس أخرجه الطبري . وقال قتادة كانت من
خشب ومن زجاج . أخرجه عبد الرزاق . والجواب ان ذلك كان جائزاً في تلك
الشريعة وكانوا يعملون أشكال الانبياء والصالحين منهم على هيئةهم في العبادة ليعبدوا
كعبادتهم ، وقد قال أبو العالية لم يكن ذلك في شريعته حراماً ثم جاء شرعنا بالنهي
عنه . ويحتمل ان يقال ان التماثيل كانت على صورة النقوش لغير ذات الارواح ،
واذا كان اللفظ محتملاً لم يتعين الحل على المعنى المتشكل ، وقد ثبت في الصحيحين
حديث عائشة في قصة الكنيسة التي كانت بأرض الحبشة وما فيها من التماثيل
وايه (ص) قال « كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا
فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » فان ذلك بشعر بأنه لو كان جائزاً في
ذلك الشرع ما أطلق عليه (ص) ان الذي فعله شر الخلق ، فدل على ان فعل صور
الحيوان فعل محدث أحدثه عباد الصور والله أعلم اهـ

أقول : لم يأت الحافظ رحمه الله بشيء يشفي في هذه المسألة والذي يظهر في حل
الاشكال أن وجود التماثيل في مكان ليس مانعاً ذاتياً لدخول الملائكة فيه ، اذ
لو كان كذلك لم يختلف فيه حكم شرائع الانبياء عليهم السلام وأصل دين الله فيهم
واحد وأما اختلفت شرائعهم بما يختلف ضرره ونفعه وفساده وصلاحه باختلاف الزمان
والمكان . وما ذكره الله تعالى من منته على نبيه سليمان عليه السلام في هذه المسألة
دليل على ان عمل التماثيل له واتخاذها إياها في مبانيه لم يكن فيه مظنة عبادة ولا تشبه
بالمشركين مذكر بعبادتهم مؤنس للمؤمن بها .

ومن العجيب أن يذكر الحافظ في تعليل ما كان يعمل لسليمان انه كان يعمل

له صور الانبياء والصالحين الخ وهذا هو أصل البلاء في عبادة الصور والتماثيل فقد روى البخاري وقبره ان أصنام قوم نوح وأوثانهم المذكورة في سورة نوح صارت الى العرب وان أسماءها كانت أسماء رجال صالحين فلما ماتوا أوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم التي كانوا يجلسون اليها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم يمد حتى اذا هلك أولئك ونسخ العلم عدت . ويؤيد هذا حديث عائشة في قصة الكنيسة وقد تقدم ، فالنصارى قد اتبعوا سنن سلفهم من الروم واليونان في اتخاذ الصور والتماثيل فكانوا يجعلون صور الانبياء والصالحين في المعابد وغيرها وهي التي ذمهم الرسول (ص) بها ولم يذمهم على اتخاذ صور الملوك والقواد والوالدين والاولاد وغيرهم مما لا شبهة فيه على العبادة ولا دخل له في الدين . فمن العجيب ان يفنل المستنبط عن علة الشيء الصريحة ويتخذ له علة أخرى يفسر بها النصوص ليجمع بينها فيحمل الشيء على ضد المراد . على ان الحافظ ذكر حديث الكنيسة المصرح بالعلة الصحيحة ولكنه لم يرد به ما ذكره قبله

وقد وقع مثل هذا لبعض المؤلفين المقلدين في تشريف القبور بالبناء ووضع الستور عليها لحمل النهي عن ذلك في الاحاديث على ما لم يقصد به تعظيم الميت الصالح أي لانه اضاءة للمال وأباح ما اتبع به الخلف الصالح سنن من قبلهم من بناء القبور الصالحين ووضع الستور عليها اذا كان المراد به تعظيمها قياما على أستار الكعبة ۱۱ وهو قياس مصادم للنص مبطل له نقض اعلمته ذاهب بحكمته ، فان الخطر على أصل الدين وهو التوحيد انما هو في تعظيم قبور الصالحين لانه أدى عبادتها بالتعظيم والطواف والمسح ودعاء الموتى ، و « الدعاء هو العبادة » كما ثبت في الحديث عند أحمد وأصحاب السنن وغيرهم . وقد بسطنا الكلام في هذه المسألة مرارا

(٧) نقل الحافظ في شرح حديث عبد الله بن مسعود — وهو الاول بما أوردنا — عن الخطابي أقدم شراح البخاري انه قال فيه : إنما عظمت عمرة المصور لان الصور كانت تعبد من دون الله ، ولان النظر اليها يقنن وبعض الغوس اليها تميل ، قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح اه

أقول : التماثيل الاول هو الصحيح الذي يؤخذ من مجموع النصوص واقتصر عليه

الحقوقيون، وأما دعوى الافتتان بجمالها وهذا لا يقع الا نادرا فلا يبنى عليه مثل هذا الوعيد الشديد، وإنما يظهر وجهه اذا أريد به الافتتان الديني الذي كان عليه الكفار وهو يرجع الى التعليل الاول. ومن المجيب أن يجعل الميل والاستحسان لبعض خلق الله والسرور به مذموما شرعا ومقتضيا التحريم الاستمتاع به وان لم يترتب عليه ترك فريضة ولا ارتكاب معصية. فليحرموا اذا النظر والتأمل في زينة الكواكب النيرات، والجنات معروشات وغير معروشات، وجمال رياض الازهار، ومحاسن حدائق الاشجار، وسماح خريير المياه ونفحات الاطيار، وغير ذلك من صنع الله الذي أتقن كل شيء. هـ الذي أحسن كل شيء خلقه (وماذا يفعلون بقول الرسول عليه الصلاة والسلام، لمن سأله عن حب الزينة في اللباس (ان الله جميل يحب الجمال) ؟ رواه مسلم والترمذي من حديث ابن مسعود وغيرهما عن غيره أيضا

(٨) ثم قال بعد ثقل ما تقدم عن الخطابي: وقيل يفرق بين العذاب والمقاب فالعذاب يطلق على ما يؤلم من قول أو فعل كالعتب والانكار والمقاب يختص بالفعل. فلا يلزم من كون المصور أشد الناس عذابا أن يكون أشد الناس نقوبة. هكذا ذكر الشريف المرتضى في تفسيره ونسب بالآية المشار اليها وعليها انبنى الاشكال ولم يكن هو عرج عليها فلماذا ارتضى التورقة والله أعلم

(قال) واستدل به أبو علي الفارسي في التذكرة على تكفير المشبهة فحمل الحديث عليهم وأنهم المراد بقوله « المصورون » أي الذين يعتقدون ان لله صورة. وتعقب بالحديث الذي بعده في الباب بلفظ « ان الذين يصنعون هذه الصور يعذبون » وبحديث عائشة الآتي بعد بابين بلفظ « ان أصحاب هذه الصور يعذبون » وغير ذلك، ولو سلم له استدلاله لم يرد عليه الاشكال المقدم ذكره — أي معارضة الآية للحديث — اهـ وحديث الباب الذي أشار اليه هو الثاني مما أوردنا

وأقول: كان يمكن لابي علي أن يجيب عن هذا لو أورد عليه بحمل حديث « ان أشد الناس عذابا عند الله المصورون » في الذين يحملون لله تعالى صورة مماثلة لصورة بعض المخلوقات، ويجيب عن معارضة الآية بتقدير « من أشد » وينص بذلك من جعل التصوير ككفر آله فرعون مشاركا له في مثل عقابه، ومعلوم من أصول الشريعة

المحجم عليها أن ماورد النص تسميته أكبر الكبائر هو دون أشد الكفر بالشرك بالله ومعاندة رساله كفر آل فرعون ، اذ كل كبيرة من هذه الكبائر التي هي أعظم حرما من التصوير المحرم يجوز أن تغفر ولا يعذب صاحبها أصلا ، فكيف يحرم بأن لمصورين أشد الناس أو من أشدهم عذابا كآل فرعون . وأما كونهم يعذبون فلا مر فيه دون ذلك ، ولا سببا على قول من فرق بين العذاب والعقاب فلم يجعل كل عذاب عقابا

(٩) من أشد العقاب تشديدا في التصوير واتخاذ الصور أبو بكر بن العربي من المالكية والنووي من الشافعية . وقد جزما بتحريم التصوير مطلقا لخص الاول الاقوال في اتخاذ الصور فقال : حاصل ما في اتخاذ الصور انها ان كانت ذات أجسام حرم بالاجماع وان كانت رقفا فاربعة أقوال الاول يجوز مطلقا على ظاهر قوله في الحديث « لا رقفا في ثوب » الثاني المنع مطلقا حتى الرقم الثالث ان كانت الصورة ماقية الهيئة قائمة الشكل حرم وان قطعت الرأس أو فترقت الاجزاء جاز — قال وهذا هو الاصح — الرابع ان كان مما يمتن جاز وان كان معلقا لم يجوز اه ونوزع في دعوى الاجماع فيما له ظل واستثنى الجمهور لعب البنات كما تقدم وفيه بحث سيأتي قريبا (١٠) قال الحافظ في شرح حديث الدرنوك : وستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ الصور اذا كانت ممالا ظل له وهي مع ذلك مما يوطأ ويداس أو يمتن بالاستعمال كالخاد ولوسائد قال النووي : وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين . وهو قول الثوري وهو لك وأبي حنيفة والشافعي ، ولا فرق في ذلك بين ما له ظل وما لا لخل له ، فان كان مطلقا على حائط أو ملبوسا أو عمامة أو نحو ذلك مما لا يد تمتنها فهو حرام . ثم ذكر الحافظ مؤاخذات فيما نقله النووي (منها) حكاية ابن العربي بتحريم ماله ظل بالاجماع ، وقال ان محله في غير لعب البنات ، وان القرطبي حكى فيها لا يتخذ للابقاء كالتمغار قوانين أظهرها النعم ، وجعل الخلق ما يصنع من الحلوى والتمغار ولعب البنات محل تأمل (ومنها) ان مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا الا ان يكون على جدار فيمنع . أي عملا بحديث « ان الله لم يأمرنا ان نكسو الحجارة والطين »

(١١) قال النووي : وذهب بعض السلف الى ان المنوع ما كان له ظل وأما لا ظل له فلا بأس باتخاذ مطلقا ، وهو مذهب باطل فان الستر الذي أنكره النبي (ص) كانت الصورة فيه بلا ظل بغير شك ومع ذلك فأمر بنزعه (قال الحافظ متعبا للنووي) قلت المذهب المذكور نقله ابن أبي شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه عن ابن عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة في بيته فرأيت في بيته حجلة فيها تصاوير القندس والعنقاء ، ففي اطلاق كونه مذهبا باطلا نظر اذ يحتمل انه تمسك في ذلك بعموم قوله « الا رقنا في ثوب » فإنه أعم من أن يكون معلقا أو مفروشا ، وكأنه جعل انكار النبي (ص) على عائشة تعليق الستر المذكور مركا من كونه مصورا ومن كونه ساترا للجدار . ويؤيده ماورد في بعض طرقه عند مسلم — وذكر تعليق الحديث المتقدم في ذلك وقال — فهذا يدل على انه كره ستر الجدار بالثوب المصور فلا يساويه الثوب الممتن ولو كانت فيه صورة وكذلك الثوب الذي لا يستر به الجدار ، والقاسم بن محمد أحذقهم المدينة وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذي روى حديث الترمذة فولوا أنه فهم الرخصة في مثل الحجلة ما استجاز استعمالها . ثم رجح الحافظ ان الرخصة فيما يمتن لافيا كان منصوبا ونقل عن جماعة ممن علماء السلف القول بذلك ، منها ما روى عن عكرمة : كانوا يكرهون ما نصب من التماثيل نصبا ولا يرون بأسا بسماء وطنته الاقدام ، وما روى من طريق عروة انه كان يسكن على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال اه

[المنار] القاسم بن محمد هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق (رض) أحد أئمة التابعين تربى في حجر عمته عائشة وتفقه بها وروى عن غيرها من الصحابة أيضا ومن أخذ عنه الزهري وريعة شيخ الامام مالك وكثيرون . قال يحيى بن سعيد الانصاري : ما أدركنا بالمدينة أحدا يفضل على القاسم ، وعن أبي الزناد قال : ما رأيت فقيها أعلم من القاسم ، وما رأيت أحدا أعلم بالسنة منه ، وقال سفيان بن عيينة : كان القاسم أعلم أهل زمانه ، وقال ابن سعيد : كان اماما فقيها ثقة رفيعا ورعا كثير الحديث ، قال أيوب السخيتاني : ما رأيت أحدا أفضل من القاسم . انتهى ملخصا من تذكرة الحفاظ .

(١٢) قال الخطابي في شرح حديث اللعاب : ان اللعاب بالبنات ليس كاللهي بسائر الصور التي جاء فيها الوعيد وإنما أرخص لماثثة فيها لأنها إذ ذاك كانت غير بالغ . قال الحافظ عقب نقله : وفي الحزم به نظر لكنه محتمل لأن عائشة كانت في غزوة خيبر بنت أربع عشرة سنة إما أكلتها أو جاوزتها أو قاربها وأما غزوة تبوك فكانت قد بلغت قطعاً فيرجح رواية من قال في خيبر وبجمع بما قال الخطابي لأن ذلك أولى من التعارض . اهـ

وأقول : ان هذا ليس بجمع اذ لو كانت لعب البنات محرمة لما أقر النبي (ص) عائشة وصاحبها على اللعب بها وإن كنَّ غير بالغات ولما تركا في بيته . والصواب أن هذه اللعب لا تدخل في عموم ما أنكره من الصور المعلقة بل هي أشبه بما أقره من الصور في الوسائد والمرافق في أن كلا منهما لا يشبه ما كان يعبد من الصور والتمثيل (١٣) بعد كتابة ما تقدم كله راجعت ما كتبه الحافظ في شرح حديث كنيسة مارية في الحبشة المقارن في البخاري لحديث امن أهل الكتاب لا تخادهم قبور أنبيائهم مساجد فإذا هو يقول في شرح الاول في باب هل تنفث قبور المشركين : وإنما فعل ذلك أوائلهم ليتأنسوا برؤية تلك الصور ويتذكروا أحوالهم الصالحة فيجتهدون كاجتهادهم ثم خلف من بعدهم خلوف جهلوا مرادهم ووسوس لهم الشيطان ان أسلافكم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها فاعبدوها . فحذر النبي (ص) عن مثل ذلك سدا للذريعة المؤدية الى ذلك ، وفي الحديث دليل على تحريم التصوير وحمل بعضهم الوعيد على من كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاوثان وأما الآن فلا . وقد أطنب ابن دقيق العيد في رد ذلك كما سيأتي في كتاب اللباس اهـ

ثم قال في شرح الحديث الثاني في باب بناء المسجد على القبر : وقد تقدم ان المنع من ذلك إنما هو في حال خشية ان يصنع بالقبر ما صنع أولئك الذين لعنوا وأما اذا أمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقاً من برى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اهـ ويعني بما تقدم قوله في الكلام على ترجمة الباب السابق : ان الوعيد على ذلك يتناول من اتخذ قبورهم مساجد تعظيماً ومبالاة كما صنع أهل الجاهلية وجبرهم ذلك الى عبادتهم اهـ (للفتوى بقية)

رحلة الحجاز

٦

صفة الوقوف بعرفات

بلغنا عرفات في وقت السحر فالفينا الحيام قد ضربت لنا وفرشت ففرزنا فيها ولما طلع النهار وجدنا أنفسنا بالقرب من مسجد الصخرات حيث كان موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ورأينا أكثر الحجاج في هذا الجانب من بسيط عرفات وسائر الجوانب والاعواز خالية وفي بعضها قليل من الحجاج ، ولبعض حجاج الاقطار مواضع خاصة يقفون فيها كل عام كما يرى القارئ في صورة الموقف من الفصل السابق . ويقف كثير من عرب الجزيرة في جبل الرحمة وبصممه كثير من حجاج الاقطار الاخرى كما علم مما تقدم . وكانت خيام الشريف في موضعها المعتاد من وسط ذلك البسيط وكان السبب في بعدها عن مسجد الصخرات وموقف الامام أن يسهل على أي فريق من الحجاج الوصول اليه للزيارة أو الشكوى في زمن قصير

واني بعد كتابة ما تقدم من وصف عرفات اطلعت على كتاب دليل الحج لمحمد باشا صادق المصري المهندس أحد ضباط أركان الحرب الذي طبع سنة ١٣١٣ فاذا فيه أن مساحة سطح البقعة المستوية من عرفات « كيلو متر مربع » أي نحو ألفي ذراع بذراع الآدمي - وهو من رؤس الاصابع الى المرفق - والذي يتراءى للنظر انه أوسع من ذلك وهذا المكان لا يسع مئات الالوف من الحجاج ولكن كثيرا منهم يقفون في جبل الرحمة وفي غيره مما الى ذلك البسيط من الجبال، وجبل الرحمة يرى في السماء مكتظا بالحجاج من سفحه الى قمته . وارتفاعه نحو من ستين ذراعاً (٣٠ متر) وطوله قريب من ستمائة ذراع (٣٠٠ متر) كما قال محمد صادق باشا . قال : وأعلى هذا الجبل سطح مستو مباط بالحجر مربع في نحو عشرين متراً وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في (عرض) سبعة وارتفاعها متر ونصف ، وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض مترين يرى من أسفل الجبل

كنار للطريق اه وأقول ان هذا منار لا كلنار ولا يشترط في مسمى المنار لغة أن يوضع في أعلاه أو أثنائه نور وإنما هو العلم الذي يهتدى به ، وهذا المنار يراه حجاج الآفاق من الجهات المختلفة

قد فاتنا لقلة الحجاج رؤية منظر من أعظم المناظر المؤثرة في النفس ، الحركة لشعور الخشوع والعبودية في القلب ، وهو رؤية تلك البقعة الشريفة خاصة بالشعوب الوفدة من جميع أقطار الارض ، وليس داعي ، يا كين خاشعين ، يجأرون الى الله عز وجل على اختلاف لهجاتهم ، الناشئة عن اختلاف لغاتهم ، يرددون الاذكار المأثورة بالعربية ، ويدعون الله ماشوا بلغاتهم المختلفة .

قال صديقنا محمد لبيب ك في رحلته بعد وصف عرفات والكلام على الوقوف : عند وصول الحجاج الى هذا الوادي ينزل ركب الحمادين (أي المصري والشامي) بجنبهم قريبا من جبل الرحمة ، يليها مضارب الحجاج على اختلاف أجناسهم . وعلى سفح عرفة من عاليه الى جبل الرحمة ترى حجاج الاعراب محدشين الى جوف الجبل بعضهم فوق بعض كالبدن المرصوص . أما بقي الحجاج فانه ينصب الخيام في بطن الوادي الذي يزدهم اليه الناس حتى لا تكاد ترى فيه مكانا خاليا من واقف وقاعد وجه لهم وجرهم مربوطة بجوزهم ، وترى الكل في صعيد واحد حتى يتعذر على الانسان السير الى أي جهة أراد ولو لضرورة في نفسه ، ولو كان مولانا الشريف يأمر بتقسيم وادي عرفة الى أحذية أفقية [أي أمكنة متحاذية كالصفوف] يقسمها شارع رأسي ويخصص كل حذاء لسكنى جماعة من الحجاج وجاهلهم من ورائهم . وتوضع لذلك علامات من البناء لا يتجاوزها الحجاج في وضع مضاربهم ، ولا الجلالة في ربط جاهلهم ، ويعين لهذا النظام من يحفظه مع الدقة ، — لكن له شكر الله والملائكة والنامس أجمعين . وفي سعة الوادي ما يضمن لدولته إقامة الكل على الراحة التامة ، لان هذا التراحم إنما سببه التقرب من مجرى الماء ومن السوق الذي تراه مجوار مسجد الصخرات (وياع فيه بعض الاغذية الضرورية) وربما كان لتراحمهم سبب آخر وهو خوفهم من الاعراب الذين يكون لهم من ذلك الرحاب عون على النهب والسلب ، وبسبب هذا التراحم يضل الناس عن أمكنتهم

اذا تركوها لأمراً ، ولذلك تراهم ينادون بعضهم [أي أنفسهم] إما بأسمائهم أو بألقاب اصطلاح عليها أهل كل جهة حتى اذا سمعوا واحد منهم أجابه بصوت عال وقصد مصدر الصوت . وهذه الحركة لا تكاد تنقطع مدة الإقامة بعرفة . اهـ وأقول ، اننا لم نشاهد شيئاً من ذلك لقلة الحجاج ، وهذا يؤيد ما قلنا من قبل ان التعارف بين الشعوب في عرفة لا يتيسر

وذكر ابن جبير الاندلسي في رحلته ان الجمع الذي كان في عرفات في سنة حجة - وهي سنة ٥٧٩ - لاشدده الا الحشر ، وان المحققين من الاشياخ المجاورين زعموا « انهم لم يمانوا قط في عرفات جماً أحفل منه ، وانه ماروي من عهد الرشيد الذي هو آخر من حج من الخلفاء جمع في الاسلام مثله . ثم قال : « فلما جمع بين الظاهر والعصر يوم الجمعة المذكور وقف الناس خاشعين باكين ، والى الله عز وجل في الرحمة متضرعين ، والتكبير قد علا ، وضجيج الناس بالدعاء قد ارتفع ، فما رُئي يوم أكثر مداً ، ولا قلوباً خواشع ، ولا أعناقاً لهيبة الله خواشع ، من ذلك اليوم . فما زال الناس على تلك الحالة والشمس تفتح وجوههم الى أن سقط قرصها ويمكن وقت المغرب وقد وصل أمير الحاج مع جملة من جنده الدارعين ووقفوا بقربة من الصخرات عند المسجد الصغير المذكور وأخذ السمر والبنبون واقفهم بمنازلهم المألومة لهم في جبال عرفات المتوارثة عن جدّ فجاء من عهد النبي صلى الله عليه وسلم لا تعدى قبيلة على منزل أخرى ، وكان المجتمع منهم في هذا العام عدداً لم يجتمع قط مثله ، وكذلك وصل الأمير العراقي في جمع لم يصل قط مثله ، ووصل معه من أمراء الاعاجم الخراسانيين ، ومن النساء العقائل المعروفات بالحواتين (واحدتهن خاتون) ومن السيدات بنات الامراء كثير ومن سائر المعجم عدد لا يحصى ، فوقف الجميع وقد جعلوا قدوتهم في النفر الامام المالكي لان مذهب مالك رضي الله عنه يقتضي أن لا ينفر حتى يتمكن سقوط القرصة ويحين وقت المغرب ، ومن السرويين من نفر قبل ذلك . فلما أن حان الوقت أشار الامام المالكي بيديه ونزل عن موقفه فدفع الناس بالنفر دفعا رنجبت له الارض ورجفت الجبال ، فباله موقفاً مأهولاً مرآه ، وأرعى في النفوس عقباه ، جعلنا الله ممن خصه فيه برضاه ونعمده بنمائه انه منعم كريم حنان منان » اهـ المراد منه

وقفتنا بعرفة وتأويل رؤيا صادقة

زوت في أثناء النهار الامير الشريف مع بعض الاخوان فجشت سرادق مرাকা فرسا
 بعده عن موقفنا . ورأيت سوق عرفة وهي تقرب مجرى عين زبيدة كما يعلم من الصورة
 التي نشرناها . ولما رأيت مجرى عين زبيدة هناك ووجدتها تتحد بقة في مجاريها
 الواسعة المبنية تذكرت رؤيا كنت رأيتها بمصر قبل ثورة الحجاز وكتبتها وذكرتها
 لكثير من الناس : رأيت في جمادى الاولى سنة ١٣٣٤ اني في مكة المكرمة ومعني رفيق
 لي فدخلنا المسجد الحرام ثم أردنا أن نخرج لحاجة لنا فسمعنا أذان العصر فقلت
 لرفيقي لا ينبغي لنا أن نخرج وقد أدركتنا الصلاة الا بعد أدائها في المسجد ، وينا
 أنا جالس في المصلى بالقرب من الكعبة المظلمة رأيت الشريف حينما أمير مكة جالسا
 أمامي من جهة يميني قريبا مني واعتقدت انه جاء ليصلي بالناس اماما ، فالتفت الي من
 جهة يساره وقال لي أبطلت علينا إنا منذ زمن نتظر قدومك الينا . وبعد أن خرجنا
 — ولم أراه صلى ولا انا صلينا معه — رأيت معي بعض رجاله وانا ذاهبون بأمره الى
 أحد دوره — أي غبردار الامارة — لا تكون فيها ضيفا عليه ، وينا نحن نسير غربا
 جنوبا رأيت في شارع واسع ممتد من الجنوب الى الشمال ماء غزيرا صافيا مندفا
 بقوة في مجرى واسع مبني بالحجارة وله فرع الى الغرب وفرع الى الشرق ، فوقفت
 متعجبا من قوة جريان ذلك الماء وقلت في نفسي : اهذا ماء عين زبيدة ؟ ما سمعنا
 أحدا من الحجاج ذكره بهذا الوصف ، وهذه القوة في الجريان لا تكون الا بقوة
 دافعة كالكهربية أو البخارية . ورأيت في الطريق دارا جديدة متارة بين دور مكة
 بيضاء من الخارج علمت انها خاصة بنساء الشريف . وخطر في بالي ان دار الضيافة
 التي خصصت لي سأكون فيها مع الشريف عبد الله أحد أنجال الامير

هذا ما رأيته في نومي قبل ثورة الحجاز بدة أشهر ولما حدثت الثورة وأعلن
 الاستقلال خطر في بالي أنه ربما كان تأويل رؤياي إصلاح جديد نجيا به مكة ويمتد
 الى سائر الجهات كامتداد ذلك الماء الذي رأيته فان الله تعالى يقول (وجعلنا من
 الماء كل شيء حي) ولما جئت مكة حاجا ظهر لي من تأويل الرؤيا أنه كان معي
 رفيق ، وأنني كنت ضيفا للامير ، وانه رحب بي أحسن ترحيب وكان ينتظر مجيئي ؟

وان دار الضيافة كانت في الجهة الغربية من الحرم الشريف ، وان الشريف عبد الله زارني في هذه الدار ، واني رأيت دارا بيضاء قبل لي انها دار حرم الامير الناصر ، وان الناس يتحدثوا بأنه سيباح بالخلافة - والامامة الخاصة ، قد تؤول بالامامة العامة ، وكل منهما كان متوقفا ولم يقع . وأما صدق الرؤيا في مسألة الماء فلم أشاهده في البقعة على نحو ما رأيت في النوم الا في عرفات ، فالتجري المبني وطوله ومتداده يشبه الذي رأيت الا ان مرقعة اندفاع الماء وقوته كانتا دون ما رأيت في النوم ، والفرق يسير . فهذه الرؤيا من أوضح الرؤى وأجلاها تأويلا ، وهي حجة على الذين ينكرون الرؤى الصادقة

الحالة الروحية في الوقوف والنفر

ان الحالة الروحية لا تبلغ الكمال في عرفات ظاهرا وباطنا لا في أصيل ذلك اليوم العظيم ، ففي أول النهار يعرض لأكثر الناس شغل تشغل حواسهم وجوارحهم وأفكارهم . منها ذوات لكل والشرب ، ومنها ذواته المضطربة من تلك البقعة نجاسة لشهوات كثيرة مما يحيط بهم من الجبال . فبذلك تشغل كثير من الناس بصورتها وتشتت في أول العبد بزيارتها ، عن معانيها وحكمة كون السير إليها ولوقوف فيها عبادة لله تعالى ، وفي أثناء النهار أكل الناس طعامهم ويستريح أكثرهم في خيامهم ومضاربهم أو في ظلال الجبال ولا سيما إذا كان الحار شديدا ، فإذا جاء وقت الصلاة جمعا عليهم يشدون رحالهم وفرغوا قلوبهم لذكر والدعاء واذبحوا عند موقف تطالب من قبل الرحمة . حرصا على سماع الخطبة ، أو لاشتراك في الخلوف من اخوتهم في التكبير والتلبية ، وقد ياتي الناس من السرعة لم يعمل معرفة ذكرا ولا دعاء ، فخاص بل ترك ذلك الأفراد ، ولم يرد ان النبي (ص) كان يلبي بعرفة في الخطبة ولا في غير الخطبة ولكن صح أنه كان يلبي بين المشاعر ذهابا وإيابا وهي منى ومزدلفة بعرفة . ودعا إلى زفته بعرفة رفع يديه ولم يرد في الصحاح نص ذكره ولا دعاء واستسبح الله ، ذكره ورد في النص كقول : لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد بيده الخبر ويحكم على كل شيء قدير » روي عن عدة من الصحابة مرفوعا وأنه خير ما يقال

قضيئنا جبل نهار عرفة بذكر الله والدعاء وتيسر لي والحمد لله الاغتسال فيه .
وصلينا الظهر والعصر جميعا في مسجد الصخرات ، ورأينا هناك خطيب عرفة وهو
نائب الشرح بمكة وقد صعد بناقته فاستوى على تلك الصخرة من جبل الرحمة ذات
التاريخ الاسلامي العظيم وقد أحاط به الناس وأزدحموا من حوله يسمعون منه أحكام
المناسك ، ومن دونه ومن فوقه في الجبل ألوف من الناس يشاهد بعضهم بعضا ويراهم من
في السفح ومن في بسيط عرفات كلها لأن الجبل مدرج يشبه ما يتخذ في بعض المدارس
الكبرى من المقاعد ذات الدرج الموقوسة التي تسميها الفرنجة (نفيئاترو) وكلا لبي
وكبر الخطيب لبي من حوله وكبروا وأشاروا بأطراف أردبتهم البيضاء أو مناديلهم
ويثممهم في التلبية والاشارة كل من هناك من قمة لجبل الى سفحه ، فليبي سائر الناس
ويكبرون ، فيتزوج بأصواتهم الهواء ، وترنج الحوائ ، حتى تصل الى عنان السماء ، بل
تخترقها حاملة ذلك الذكروا : شاء ، والضرعة ولدعاء ، الى من استوى الى عرشه المجيدة
وهو أقرب الى عبده من جبل الوريد . فياله من موقف ما أعظمه ، وما أصدق من شبهه
بيوم القيامة ، وقد يكون التشبيه على أكله في ذلك المساء ، فانه وقت يكون فيه لكل
مؤمن من الشئل بنفسه والتوجه الى ربه ، ما لا يهبط مثله في وقت من أوقات حياته ،
يشعر بالناس محيطون به من كل جانب — بأنه في خلوة لا يشغله فيها عن ربه شاغل ،
ولا يشوب خشوعه له وبكائه من خشيته وسروره بمناجاته ربه ولا سمعة ، بل لا يكاد
يخطر بباله أن أحدا هناك يرى أدا . فما أعجب شأن هذا لاجتماع العظيم الذي
يجتمع كل من شهد به إيمان وعرفان ، بين مزايا عبادة نطلوة وعبادة شعائر الاجتماع ،
بل أقول ان له مزية على سائر الشعائر لا يعرفها لا من ذاقها

وقبل الغروب أقبل الشريف أمير مكة بموكبه الحافل حتى صعد أدنى جبل
الرحمة فكان قريبا من موقف الخطيب وتلاه ركب المحمل المصري . وحينئذ أطلقت
المدافع ، وعزفت المعازف ، (الموسيقى) واستعد الناس للدفع من عرفة ، لاجل ميتة
تلك الليلة بمزدلفة ، وبدأ الدفع بعد الغروب . فركبت السيدتان هودجهما ، وسار
الرفيقان الكرآن والخادم مهمما ، وفضل السيد لزواوي بارسال نجله السيد عبد الرحمن
مهمم وهدانا ليه أن يذهب بهم الى منى ليلا بعد أداء أدنى ما يجب من المقام بمزدلفة

ويبر عنه بالمبيت ، وراقتي هو قدفنا مما على دابتين فقطعنا ذلك الطريق ، في ذلك الوقت المتدل الطيف . ونحن نجار الى الله تعالى بالتلبية والتكبير ، ولقد صفنا تأثير التلبية في الطريق بين جدة مكة ، وأين تأثير طريق مكة من تأثير عرفة ؟ وما أبعد الفرق بين حال المبتدئ بهذه العبادة - عبادة المناسك - الذي لم يذوق منها الا طعم الاحرام والتلبية ، وبين من شاهد بيت الله عز وجل وطاف به كثيرا وسعى بين الصفا والمروة متذكرا تلك الآيات البينات ، ثم أقام ركن الحج الاكبر وهو الوقوف بعرفة قائملا قلبه إيمانا وعرفانا ، واتنى بين الالوف من الموحدين يكبر الله على هدايته تكبيرا ، ويكرر التلبية له تكريرا ؟

﴿ المبيت بمزدلفة وقصر الصلاة وجمعها ﴾

الامام بمزدلفة ليلة النحر وذكر الله عند المشعر الحرام (أي فيها) واجب وجعله بعض علماء الاثر ركنا ، وقد ثبت في السنة التعجل بالضعفة كالساء والصبيان بالافاضة من مزدلفة الى منى بعد غياب القمر . وأدنى الواجب الوقوف فيه ليلالذكر الله تعالى وأما المبيت الى الصباح فهو سنة كما بينا في المناسك نزلت مع السيد الزواوي بقاء مسجد المزدلفة فصلت هنالك المغرب والعشاء قصرا وجمعا . والسيد لا يقصر في عرفة ومزدلفة ولا يجمع لانه مكى شافعي ، والشافعية لا يجيزون القصر والجمع الا في السفر الطويل ، والحنفية يوجبون الجمع في المزدلفة لاجل التمسك والتجقيق عند أهل الحديث ان القصر عزيمة والجمع رخصة في كل سفر طويل أو قصير ، وان الجمع في المشاعر أفضل للاتباع ، وناهيك باتباعه صلى الله عليه وآله وسلم في أعمال حجة الوداع ، التي علم فيها الالوف المناسك وغير المناسك ، وأمر أن يبلغ الشاهد منهم الغائب .

قال الحافظ ابن المنذر : أجمع أهل العلم على ان الامام يجمع بين الظهر والعصر بعرفة وكذلك من صلى مع الامام ، وذكر أصحاب الشافعي انه لا يجوز الجمع الا لمن بينه وبين وطنه ستة عشر فرسخا إجمالا له بالقصر (قل) وليس بصحيح فان النبي (ص) جمع فجمع معه من حضره من المكين وغيرهم ، ولم يأمرهم بترك الجمع

كما أمرهم بترك القصر فقال « أموا فانا سفر » ^(١) ولو حرم الجمع لينه لهم اذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة . قال ولم يبلغنا عن أحد من المتقدمين خلاف في الجمع بعرفة والمزدلفة بل وافق عليه من لا يرى الجمع في غيره اهـ

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في مناسك الحج بعد ان ذكر صلاة النبي (ص) الظهر والعصر جمع تقديم بطن عرنة في حدود عرفة وخطبته هناك مانعه : وبصلي بعرفة والمزدلفة ومنى قصرا ، وبقصر أهل مكة وغير أهل مكة وكذلك يجمعون الصلاة بعرفة ومزدلفة ومنى كما كان أهل مكة يفعلون خلف النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) ولم يأمر النبي (ص) ولا خلفاؤه أحدا من أهل مكة أن يتموا الصلاة ولا قالوا لهم بعرفة ومزدلفة ومنى « أموا صلاتكم فانا قوم سفر » ومن حكى ذلك عنهم فقد أخطأ . ولكن المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في غزوة الفتح لما صلى بهم بمكة . وأما في حجه فانه لم ينزل بمكة ولكن كان نازلا خارج مكة وهناك كان يصلي بأصحابه ثم لما خرج الى منى وعرفة خرج معه أهل مكة وغيرهم ، ولما رجع من عرفة رجعوا معه ولما صلى بمنى أيام منى صلوا معه ولم يقل لهم أموا صلاتكم فانا قوم سفر ^(١) ولم يحدد النبي صلى الله عليه وسلم السفر لا بمسافة ولا بزمان ، ولم يكن بمنى أحدا سكتا في زمنه ولهذا قال « منى مناخ من سبق » ولكن قيل انها سكنت في خلافة عثمان وانه بسبب ذلك أتم عثمان الصلاة لانه كان يرى ان المسافرين يحمل الزاد والمزاد اهـ

وذكر المحقق ابن القيم في الهادي النبوي مثل ما تقدم عن المناسك مختصرا وزاد انه ليس على المسافر جمعة لان النبي (ص) لم يصلها يوم عرفة ولا في سفر آخر . وأقول ان عدم أمر النبي (ص) لأهل مكة بالانتماء في منى وما بعدها ينطبق على حديث أنس « كان رسول الله (ص) اذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو ثلاثة فراسخ صلى ركعتين » رواه أحمد ومسلم وأبو داود وصرحوا ان الشاك في الاميال والفراسخ شعبة لأنس . وقال الحافظ في الفتح ان هذا أصح حديث وأصرحه في المسألة مكث السيد الزواوي معي قليلا في المزدلفة ثم ذهب الى منى وأوصى الخادم

(١) السفر بفتح السين وسكون الهمزة جماعة السافرين كالشرب جماعة الشاربين

باحضار دابتي في الصباح فتمت ساعات واستيقظت في وقت السحر. وقد سخر الله تعالى لي زقاقا من خير الناس بتبحورهم وقد عرف الزواوي منهم رجلا مكيًا اسمه الشيخ علي مؤمنة، فلما استيقظت وجدتهم أيقاظا فطلبت منهم ماء فنو ضأت وصليت الوتر إحدى عشرة ركعة فلما أتممت صلاتي وجدتهم قد أحضروا الشاي وخصني كبيرهم بإبريق نظيف من نوع جيد منه وقدم لي معه معنا فيه لوز مقشور ومخافيه هشة من الكمك المعروف بالقرقيش فأصبت من ذلك كله شاكرًا لهم. وطلع كبيرهم بألتي أسئلة في السنة والاتباع والابتداع واختلاف العلماء والبصوفية ويتلقى أجوبتي عنها بالقبول مسرورا بما جلبتها به من الشرح والتفصيل. وهذا الرجل البخاري الأصل يعرف العربية وكانت توهمت أنه داغستاني وقد سألته في كثير من البلاد، وقد فهمت أنه جاور في مكة المكرمة وأنه يخرج كل سنة منها إلى عرفة ببعض أصحابه في الموسم مشاة ويعودون مشاة. وقد اختلف العلماء في أي الأمرين أفضل في التمسك المشي أم الركوب فقلت المشي لأنه أقرب إلى التواضع وأعون على الدعاء، وقيل بل الركوب تأسيًا بالنبي (ص) فإنه لم يفعل إلا الأفضل والا كمل، ويمكن أن يقال إن الأفضل لأهل الأفاق وللضعفاء من أهل مكة الركوب وأن الأقوياء من المقيمين بمكة قد يكون المشي أفضل لهم من عدة وجوه منها مشاركة أهل الأفاق ببعض مشقة السفر وإن ذلك لا ينافي بالاتباع

وقد سألت السيد الزواوي عن هذا الشيخ وعن رفيقه الخاص الشيخ علي مؤمنة وكلفته بعد عودتي أن يسأل عنها فكتب إلي إن الثاني نشأ من صغره محبا للعرلة والبعد عن كبراء الدنيا وهو على الدوام يخدم العلماء وأهل الطريق من الغرباء ومنهم الشيخ حسام الدين البخاري صاحبكم في المزدلفة: ويقول تأمليه الشيخ علي مؤمنة أنه أقام في مصر مدة طويلة وخرج منها في العام الماضي مأمورا عليه (كذا) بالوصول إلى مكة والإقامة بها هذا العام وهو الآن موجود في أحد أربطة البخارية بمحارة جباد لا يتخالط أحدا، لا يعرف ولا يعرف، مواظبا على الجمعة والجماعة كتلميذه الشيخ علي ولما طلع الفجر صلينا مع الجماعة ثم ذهبنا حول المسجد نجتمع الحصا لرمي الجمار قلما جمعناها ركبنا دابتي وسرت وسار أصحابي مشاة قاصدين مي

هو الأفاضة الى منى ورمي جرة العقبة ﴿

أفضنا من مزدلفة ملين مكبرين قبل طلوع الشمس عملا بالسنة، ومخالفة لما كان عليه عمل الجاهلية من تأخير الأفاضة منها الى طلوعها . ومن السنة المبينة على سبب تاريخي هنالك الاسراع المعتدل في السير في بطن محسر لا فرق في ذلك من الماشي والراكب . وتقدم ان بطن محسر بتشديد الباء المكسورة هو الوادي الفاصل بين منى ومزدلفة . قال بعض العلماء ان حكمة الايضاع فيه ان أهل الجاهلية كانوا يقفون فيه ويدكرون مفاخر آبائهم ، ففني الاسراع فيه إظهار البراءة من ذلك . وقال بعضهم ان هذا المكان هو الذي أهلك الله تعالى فيه أصحاب الفيل الذين جاؤا من طريق اليمن لهدم بيته المحرم فاستحب الاسراع في الخروج منه لانه كان موضع سخط الله تعالى وهذابه لاولئك الظالمين المعتدين ، ويستحب مثل ذلك في كل مكان مثله كديار نمود

ولما وصلنا الى منى قصدنا الجرة الكبرى جرة العقبة وكانت الشمس قد ارتفعت فرميناها بسبع حصيات تكبر مع كل حصاة . وفي مثل هذا الوقت رماها النبي صلى الله عليه وآله وسلم راكبا ، وقد صح انه (ص) جعل البيت عن يمينه ومنى عن يساره ورمى . وانه كان يكبر مع كل حصاة ، وانه قل: « اللهم اجعله حجا مبرورا وذبا مغفورا » وبعد الرمي جشت الدار للمدة لنزولنا فيها فاذا هي من أعظم دور منى حسنا وسعة وهي لصديقنا الشيخ محمد نصيف ، فرأيت السيدتين في قسم النساء منها ، والرفيقين في قسم الرجال ، والجميع كما أحب ، وأعطيت لوكيل الخروج دراهم ووكلتها بشراء النساك والذبح غني . وقد قصصت قليلا من شعر رأسي بيدي ، ولم ينيسر لي الاثنيان بمحلاق الى الدار لاني أريد الأفاضة الى مكة لاجل طواف الركن . وفي حديث أنس عند مسلم انه (ص) أتى منى فأتى الجرة فرماها ثم أتى منزله بنى ونحر ثم قل للمحلاق « خذ » وأشار الى جانبه الايمن ثم الابسر ثم جعل يعطيه الناس ومنى شرع الحاج في رمي جرة العقبة مكبرا تقطع التلبية التي هي شعار الحج . ويستبدل بها التكبير الذي هو ذكر الله في العيد ، ومنى رماها وحلق شعر رأسه أو قصره حل له . كل ما كان محرما في النساك الا ملامسة النساء فانها لا تحل الا بالتحلل الاخير بطواف الأفاضة .

الحرب والصلح

عقدت الهدنة بين الروس وأعدائهم وألف الفريقان لجنة من مندوبي كل دولة منها للبحث في شروط عقد الصلح، وفي عدد جريدة الاهرام الذي صدر في ١١ ربيع الاول ان وزير خارجية الالمان الذي رأس الجلسة الاولى جعل الغرض من الاجتماع اعادة الصلات الاقتصادية والادبية الى ما كانت عليه قبل الحرب . وان الوزير الروسي (كامنف) تلا برنامج حكومة الروس المعروف الذي تقترح جعله أساسا للصلح العام : وسلاصته ان يكون الصلح لا ضم ولا غرامة . وان يعطى كل شعب تحكمه أمة أخرى الحرية والاستقلال اما بالاعتماد على رأيه بعد سحب القوة الغاصبة من بلاده . ولما بالاعتماد على الرأي الذي أظهرته صحافته ذلك الشعب وجمياته . وتعد حكومة روسية واصله القتل لتقتسم الشعوب الغنية الشعوب الصغيرة الفقيرة جريمة لا تقترف » ثم قلت الاهرام : « وقد جاءنا اليوم بيان أتم عن مطالب الروس (١) المدول عن كل ضم وفتح بالقوة (٢) اعادة استقلال البلاد التي اجتاحت (٣) منح كل نصر الحق بان يختار الحكم الذي يريده (٤) تنفادي عن ضرب الغرامة للحرية وتقرير التعويض على الافراد (٥) انشاء صندوق دولي من أموال الجميع لدفع التعويضات » ثم ذكرت أمرا ثالثا أعلن في الجلسة وهو « رغبة الالمان بان يشترك جميع المتحاربين بمفاوضات الصلح حتى تقررت دعوة مندوبي فرنسا وانكلترا وإيطاليا والولايات المتحدة الى المفاوضات »

ومن الناس من يرتاب في اخلاص الدولة الالمانية في اظهار ارتياحها الى دخول جميع الحلفاء في مؤتمر الصلح ولا يرتابون في اخلاص النمسة ، ويرى هؤلاء ان اعجاز الاولى الى حكومة [البوشنيك] الروسية التي لم يعترف بها الحلفاء بأن تدعوم الى الاشتراك معها في مفاوضات هذا الصلح في بلادها يراد به اضطرار الحلفاء الى الإبقاء والرفض ويريد ذلك ما قوله السنيور [أورلندو] رئيس وزارة ايطالية في خطابه بمجلس الشيوخ وهو : « انه قد حان الوقت لكشف الغطاء عن ألأعيب دولي الوسط اللتين تبدلان كل وسيلة لشد عزائم شعوبهما ولتسو يدصفحة خصومهما

بإدعائهما أنهما تريدان الصالح وان الحلفاء يرفضونه . فالحلفاء هم الذين يريدون الصلح وهم وحدهم يريدونه ولكنهم يريدونه على شكله الممكن ان يجعله صلحا عادلا شريفا دائما باتفاقات جلية صادقة . أما امبرطوريتنا الوسط فأنهما تتبعان خطة غريبة تطلبان بها من الحلفاء أن يعودوا الى مواصليهما على يد حكومة لم يعترف بها الحلفاء لأنها حكومة وقتية الى أن نبتع الجمعية الدستورية ولأن شطرا كبيرا من روسيا لم يعترف بها .

« هذا من حيث الشكل وأما من وجهة الجوهر في مقترح الصلح فان مندوب البولشفيك يظن أن باستطاعته أن يقول ان الشرطين الاولين من مقترحات الصلح مقبولان وهما أولا - إعادة الممالك التي فقدت استقلالها من جراء الحرب وثانيا - الجلاء عن الاراضي التي احتلت مع الدول عن الضم وانكم ترون ان في هذا القول ضلالا ففي الحقيقة ان الشرط الثالث المتعلق بالشعوب الخاضعة لأمم ليست منها لم يقبله الالمان والنسويون . (وضرب لذلك مثل أمانيهم القومية والازراس والاورين)

« ثم يغيب الخطيب في بيان ضرر العودة الى الحالة القديمة لانه ليس في هذا القول ضمانا اذا ما قبل الشرطان اللذان قل بهما البولشفيك أولا لان امبرطوريتنا الوسط أعلنتا أنهما لاتتويان نزلة الاستقلال السياسي من البلاد التي تحتلها فلفظة « الاستقلال السياسي » لاتفي الاعتداء على الاستقلال الآخر كالاتقلال الاقتصادي مثلا . ولأنها لاتتضمن أيضا عودة المملكة المستقلة الى جميع أراضيها كاملة . أضف الى ما تقدم ان لفظة « استقلال الشعوب » هي لفظة مبهمه لأنزبل الشكوك وما تضمنه دولتنا الوسط من المطامع فأنهما تقولان انهما لاتريدان ضما بقية ومعنى ذلك أنهما تتويان ضما بغير القوة . فحتى اذا يمكن أن يوصف الضم بالقوة ؟ فالجواب على ذلك ان الامر معلق على وجود القوة وعلى شكل الخيار الذي يعرض على الشعوب الموجودة تحت نير العازي أضف الى هذا هل يعتبر الضم ضما عند ما لا يمكن ذكر الضم بالقوة في المعاهدات الدولية . فالبصيرة التي تعرضها دولتنا الوسط صيغة مبهمه نسجل الرب والشكوك وتدلنا على اننا لانزال بعيدين جدا عن المبدأ الاول الذي يتكفل ضم » اه المراد منه قولا عن عدد ٤ يناير من الاهرار

وقد اتت لبرقيات المنشورة بهذا التاريخ ان مقاضات الصلح أوقفت لان

ألمانية نزه أن شعوب الولايات أو لمالك الأربع التي انضمتها من الروسية - وهي البولندية والكورلندية والتوانية والاستونية - قد جهرت برغبتها في الانضمام الى ألمانية فيجب أن تكون ألمانية ، وان الروس ينكرون عليها ذلك وان وزير خارجيتهم تروتسكي خطاب في اللجنة المركزية لحزب العمال والحديد فأذكر ذلك أشد الانكار لان مظهر الشعب الرغبة في مسألة الحكم لا يكون صحيحاً مع وجود الاحتلال الاجنبي والقوة العسكرية . وفي برقية لروتر من لندن وردت في ٢ يناير ان اللجنة أقرت الوزير الخطيب على خطابه ووضعت قرارا بفحواه قالت في آخره

« فنحن ندافع عما لبولندا ولتوانيا وكورلندا من الحق في بت مصبرها والحكم في مستقبلها بنام الحرية ونقول اشعوب النمسا والمانيا وبلغاريا وتركيا اذ كروا ان التمجيل في عقد صلح ديمقراطي يتوقف عليكم فقد سالت دماؤكم وأصابعكم الأعياء والجهنم في حرب عديمة المثل فلا تسمحوا لدعة السلطة والفتح من التوسيعين والامان أن يحاربوا روسية الثورية لا إخضاع بولندا ولتوانيا وكورلندا وأرمينية »

(الشار) قد سبق فيينا في الجزء الاول من هذا المجلد مثل ماقرنه الروسية ورئيس الوزارة الايطالية اليوم في مسألة حرية الشعوب واختيارها اسكل الحكومة الذي ترضاه نفسها . وبيننا في الجزء الرابع - الذي قبل هذا - أهم ما بشرط الحلفاء للصالح . وبعد كتابة ما تقدم واعداده للطبع جاءنا البرق بخطبة رئيس الوزراء البريطانية ثم بخطبة رئيس الولايات المتحدة وهما أصرح ما قلناه الحلفاء في أسباب الحرب وشروط الصالح وبعدنا ناسخا لكل ما يخالفه سيدا قول ما يقول الرئيس ه وسبع منهنما حقيقة غرض الحكومة الألمانية وهل هي تريد الصالح حقيقة فيما تتخذ من الوسائل الصورية له كما يقال ، أم تريد به ايقاع الشقاق بين أعدائها كما قال رئيس الحكومة الإيطالية ، أو بقلة الحجة عليهم بأنهم هم طلاب الحرب والفتح كما يظن كثير من الناس . ولعل هذه الصراحة من الحلفاء تضطرها الى التصريح بشروط الصالح التي ترضاه قائما لما نصرح بشي . لا طلب حرية البحار . ونسأل الله تعالى ان ينصر الحق والعدل وحرية الشعوب المستضعفة على الباطل والظلم قوة الاستبداد والاستبداد يكشف عنها حجب المدافع والرياء . ان ربي سميع الدعاء .

(تنبيه) اضطررنا الى تأخير تمة ترجمة الشيخ - ام البشري

وفي شبرا كبريا وما يذكر الا اولو الاباء
وفي الحكمة من بناء ومن يؤمن الحكمة فقد

المعجم
١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

﴿ قول عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صمى و «منارا» كنار الطريق ﴾

٢٩ ربيع الآخر ١٣٣٦ - ٢٢ الدلو (ش ٢) ١٢٩٦ هـ ١١ فبراير ١٩١٨

فَتَحَاتِي الْمَلْبَسَاتِ

فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بتشاء من الألقاب ان شاء . وانما نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه . وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكره مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

﴿ حكم التصوير وصنع الصور والتماثيل واتخاذها ﴾

تابع لما في الجزء الخامس

﴿ ملخص ما تقدم من الاحاديث والآثار وأقول العناء في شرحها وفقها ﴾

أما الاحاديث فتلخص في سبع مسائل

- (١) ان المصورين يعذبون يوم القيامة ويكافون إحياء ما صنعوا تمجيزاً ووصفهم بالظلم الشديد اتصدهم مضاهاة خلق الله
- (٢) لعن المصور كما لعن الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وقال فيهم انهم كانوا اصويرون الصالحين منهم وبصمونهم في معادهم ووصفهم بأنهم شر الخلق
- (٣) انكار نصب الستور التي في الصور والتماثيل وهتكها أي زلاتها
- (٤) تمثيل الانكار تارة بأننا لم نؤمر بكسوة الحجر والطين وتارة بكونها في المصلى تعرض للمصلي في صلاته وتارة بعدم دخول الملائكة بيتاً فيه صورة أو كلب
- (٥) اتخاذ الثياب التي فيها الصور وسائل رفاق واستعمال البي (ص) لها مع بقاء الصورة فيها كما صرح به في رواية لامة أحمد
- (٦) ان تغيير الصورة الحيوانية بما نصير به اسمه بالشجر كقطع رأسها يبيح اتخذها . وفي معناه فتوى ابن عباس للمصور العراقي
- (٧) نقض التصاليب وإزالتها

وأما الآثار عن الصحابة والتابعين في المسألة (فنها) استعمال زيد بن خالد الصحابي للسمر الذي فيه الصور وهو أحد رواة حديث « أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة إلا رقا في ثوب » فهو لم يشترط أن يكون الثوب الذي فيه الصورة مهابا (ومنها) اتخاذ أحد أعظم أئمة التابعين القاسم بن محمد بن أبي بكر (رض) المجلة التي فيها تصاوير القديس والمنقاة ، وهو ربيب عمته عائشة الصديقة وأعلم الناس بمحدثها وفقهها وقد روى عنها حديث التفرقة

(ومنها) استعمال يسار بن عمار مولى عمر بن الخطاب (رض) وخازنه الصور في داره . وقد روى عن عمر وغيره وهو من الثقات كما قال ابن سعد وابن حبان (ومنها) صنع الصور في دار مروان بن الحكم أو سعيد ابن العاص وكل منهما ولي إمارة المدينة وكانا من التابعين روى الشيخان عن الأول ومسلم عن الثاني وهو خير من الأول . وقد انتقد على البخاري روايته عن مروان وأجابوا عنه بأنه ثقة في الحديث وإنما ذنبه عملية سببها السياسة أعاذنا الله من شرها وشر أهلها . وعمل مروان لا قيمة له في الاحتجاج إلا أنه يدل على أن التصوير كان مستعملا في عصر الصحابة ولكن أبا هريرة أنكر ما رآه في داره وكان من أعلم الصحابة بأحداث بني أمية وآخرين بمضاه قبل وقوعها . وكذلك أنكر ابن عباس على المصور العراقي تصويره للحيوان وافتاه بتصوير النبات

وأما أقوال العلماء في شرحها وفقهها فمنهم من شدد فيه ومن خفف ، واشهر المشددين من محققى الفقهاء في القرون الوسطى أبو بكر ابن العربي والنووي فقد جزما بتحريم التصوير مطلقا وإن كان الاصل أن ماحل اتخاذه واستعماله حل صنعه وقال الأول : إن ما له ظل كالتماثيل ذات الاجسام يحرم اتخاذه بالاجماع وبين الحافظ ابن حجر أن حكاية الاجماع غير صحيحة تصریح الجمهور بحل لعب النبات اصحة الحديث بذلك ، ونقل عن القرطبي حكاية قولين فيما لا يتخذ للبقاء كتماثيل الفخار وجمل الخاق ما يصنع من الخلوى بالفخار وبالعشب النبات محل تأمل . وأقول ان تماثيل الخلوى التي تصنع بمصر في أيام الموالد أقل بقاء مما يصنع من الفخار لانها لا تلبث أن تؤكل وهي تؤخذ للاطفال كلعب النبات فالقول بحلها أظهر من

القول بجعل ما يتخذ من الفخار ، وأما ما لا ظل له من الصور فخيا في اتخاذ أربعة أقوال : ١ الجواز مطلقا ٢ المنع مطلقا ٣ تحريم ما كانت الصورة فيه تامة وجواز ما قطع رأسها أو تفرقت أجزاؤها ٤ جواز ما يمتن دون كان معظما كالملق . وقد رجحنا الثالث ورجح الحافظ ابن حجر الرابع .

وقد علم من هذا التفصيل كلام المخففين بالأجمال . ومن التفصيل فيه قول الحافظ : مذهب الحنابلة جواز الصورة في الثوب ولو كان معلقا إلا أن يكون على جداره وينعيب القام بن محمد بن أبي بكر (رض) أن ما لا ظل له لا بأس باتخاذ مطلقا فقد صح أنه كان في بيته بمكة حجلة فيها تصاوير كما تقدم ، ومنه حمل أبي علي القارمي الوعيد بمذاب المصورين على المشبهة الذين يعتقدون أن الله تعالى صوره كصور خلقه تعالى عن ذلك ، وجعل الحافظ ابن حبان حديث امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة خاصا بالنبي (ص) وجعل بعضهم إياه خاصا بملائكة الوحي ومقتضاها أنه انقطع ، وجعله الكثيرون خاصا بملائكة الرحمة ، وخصه بعضهم بالصفة كما تقدم في ص ٢٣٩ ومتى التخصيف قول بعضهم أن الوعيد على تحريم التصوير خاص بمن كان في ذلك الزمان لقرب العهد بعبادة الاثنان وأما الآن فلا . ورده ابن دقيق العيد كما قال الحافظ في الفتح

والتحقيق أن الأصل في الوعيد على التصوير قسمان أحدهما لا يتحقق إلا بالنقص وهو مضاهاة خلق الله كما تقدم في الكلام على الحديث . وثانيهما لا يشترط فيه قصد علة الحضرة وهو كما يؤخذ من حديث كنيسة الحبشة وما صرح به المحققون من المتقدمين والمتأخرين في شرحه وشرح غيره هو سد ذريعة عبادة صور الانبياء والصالحين وغيرهم ومثله الوعيد على بناء المساجد على القبور لافرق بينهما البتة . فبأي فيه مقاله الحافظ في شرح الحديث من (باب بناء المسجد على القبر) من صحيح البخاري وهو كما في آخر ص ٢٣٥ من جزء المنازل الماضي : وقد تقدم أن المنع من ذلك إنما هو في حال خشية أن يضع بالقبر ما صنع أو تلك الذين لعنوا . وأما إذا آمن ذلك فلا امتناع . وقد يقول بالمنع مطلقا من يرى سد الذريعة وهو هنا متجه قوي اهـ

ويمكن أن يقال أن سد الذرائع يختلف باختلاف الآزمة وباختلاف أنواع الصور

ولما كانت التماثيل والصور المعظمة في الجاهلية تعظيم العبادة هي صور ذات الانفس
 اخذ ابن عباس (رض) للمصور الذي استغناه بتصوير الشجر وما لا نفس له . ولما
 صارت صور ذات الانفس مجرد الزينة وزات مظنة العبادة اتخذ بعض أئمة السلف بعض
 الصور في بيوتهم كترك الصحابة الصور في ايوان كسرى . ولا نقول ان ذرية تعظيم الصور
 تعظيم ديانة وعبادة قد زال في هذا الزمن وان علقة التحريم انتفت كما قال من جعل
 التحريم كالمنسوخ لعله خاصا بالمصر الاول ، اذ لا شك في أن تصوير الانبياء والاولياء
 وكل من يملو في تعظيمه العوام أو اتخاذ تماثيل لهم قد يفضي الى العبادة . كما رأينا
 نظير ذلك في تعظيم قبور الصالحين الذي جاء مصداقا لحديث الصحيحين « لتبمن
 سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع » الخ ولكن الناس شددوا في سد ذرية عبادة
 الصالحين بتعظيم صورهم وتساهلوا في سد ذرية عبادتهم بتعظيم قبورهم ببناء المساجد
 عليها والطواف بها والتماس جلب النفع ودفع الضرر بالتمسح بها ودعاء من دفن فيها .
 ومن تأمل الاحاديث وآثار السلف في مسألة تشييد القبور ونجسها وحظر
 اتخاذها مساجد ووضع السرج والستور عليها ، ومسألة التصوير واتخاذ الصور بمجملها في
 البيوت والستور ونحوها - يتجلى له ان علة النهي عن الامر من واحدة ، ألا انها في القبور
 أشد وأعم ؛ وقد جمع الامر بأزالتها في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وأبو داود
 والترمذي والنسائي عن أبي الهياج الاسدي قال قال لي علي : ألا أبئلك على ما بعثني عليه
 رسول الله (ص) « أن لا تدع تمثالا الا طمسته ولا قبرا مشفا الا سويته » وفي
 رواية : أن لا أدع قبرا مشرفا الا سويته ولا تمثالا الا طمسته » باسناد الافعال
 الى ضمير المتكلم أي بعثني على أن لا أدع الخ . وطمس التمثال نحو صورته التي يشبه بها
 الحي ، ويحصل بتشويهه أو قطع رأسه دون ازالة عينه لان ذلك كاف في اخراجه عن
 صفة المعظم عبادة . وأما تسوية القبر فإزالة امينه لان المراد بها تسويته بالارض أي
 جعله مساويا لها . ولكن أجاز الفقهاء رفع القبور قدر شبر كما رفع الصحابة قبر النبي (ص)
 وصاحبيه (رض) . وقدر بعض من رأى القبر الشريف من السلف ارتفاعه بأربعة
 أصابع ، قلله المحافظ في الفتح والظاهر انه اعتد به - وقال الشافعي في الام :
 بدأيت الاثمة بمكة يأرون بهدم ما بيني . قل النووي هند قلله في شرح مسلم ويؤيد

المعلم قوله « ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » اهـ

وأما الخلف من العوام والحكام فخالفوا جميع الاحاديث والاكتاف في المسألة الاولى واكتنهم ظلوا يشددون المسألة الثانية الى أن عمت البلوى بها في هذا العصر فصاروا ينسأهلون في أمر اتخاذ التصاوير لازينة وللاونس بصور الاقربين والحبيين وصار العلماء يسمحون للمصورين بتصويرهم حتى أكار شيوخ الازهر وقضاة الشرع والمفتين، ولكنهم لا يزالون يشددون في صناعة التصوير نفسها على كثرة منافعها وشدة الحاجة اليها في غير ما تساهل الجمهور في اتخاذها من أعمالها

سأني بعض العلماء البصرياء في طرابلس الشام مرة عن التصوير اذ قلت انه بعد الآن من أركان الممران والحضارة هل له فائدة يعتد بها شرعاً فان ما قن به الناس من زينة التصاوير ليس بالامر الراجع الذي رخص في هذه الصناعة لاجله ولو في غير ما تحشى عيادته أو تعظيمه تعظيماً دينياً ؟ فقلت له لي البداهة ولم يكن قد سبق لي تفكر في صغر فوائد التصوير : إن له أنواعاً من الفوائد في حفظ اللغة وإيضاح كثير من العلوم والفنون وفي الاعمال العسكرية والادارية والسياسية وذكرته من الامثلة على ذلك ما يأتي (١) انا نرى في كتب اللغة أسماء كثير من الاشياء كالنبات والحيوان وغيرها

غير مفسرة بما يعرف به المسمى من لم يكن يعرفه باسمه ذلك بل يقولون حيوان معروف أو طائر معروف وصاحب القاموس المحيط يكتب في بحرف م الخزل من كلمة معروف وهذا تقصير كبير في حفظ اللغة، ولو وضعت صورة الشيء عند اسمه كما كان يفعل قدماء المصريين وكما تفعل ثم الحضارة الآن لكان ذلك أحسن حفظ للغة ولا يفني عنه الوصف بالكلام لأن بعض الاجناس تشابه فلا يسهل التمييز بينها قول بل يتصور أو يتمذرو وصف أي جنس من اجناس الخواصات وسعياً يمكن أن يعرفه به كل من سمعه (٢) يترتب على الجهل بالاجناس بعض الحيوان جهل ما يتعلق بها من الاحكام

الشرعية كاحكام ما يجهل أكلها وما لا يجهل وأحكام جوار الصيد على الحرم وغير ذلك (٣) إن للتصوير فوائد عظيمة في علوم التاريخ الطبيعي والطب والشرح التأسيسي والحيواني ففروع هذه العلوم قد عرفت كثيراً في هذا العصر، ويتوقف إيضاح الحقائق فيها تأليفاً وتعظيماً على الصور التي تظهر بها جميع الاعضاء الظاهرة والباطنة

صحيحة ومربضة فائقان هذه العلوم يتوقف عليها

(٤) لتصوير فوائد عظيمة في الاعمال المادية، فلا يمكن لمن يتركه أو يقصر فيه أن يقاتل أعداءه بمثل ما يقاتلونه به ولا أن يعد لهم ما استطاع من قوة — فنها تصوير المواقع والطرق والبلاد والجيوش وما لديها من السلاح والقنطرة، ومنها تصوير من يشبه في أمرهم أن يكونوا عيوننا وجواسيس وقتضي الحكمة أن يجهلوا نحت المراقبة. ومنها تصوير من يحتاج إلى تحقيق شخصيتهم لئلا يشبهوا بغيرهم... (٥) لتصوير فوائد عند حكومات هذا العصر في الاعمال السياسية والإدارية كأعمال الجواسيس وحفظ الأمن وغير ذلك وتفصيل ذلك يطول.

لا يقال أن المسلمين يمكن أن يستغنوا عن صناعة التصوير في التعليم والتأليف والاعمال الحربية وغيرها كما استغنى سلفهم فإن هذا بمثابة القول باستغنائهم عن سلاح هذا العصر ومراكبه البحرية والهوائية كما استغنى عنها سلفهم، وإنما كان يصح هذا التشبيه لو كان ماذكر من المستحدثات موجودا في عصر السلف يستعمله خصوصهم وهم يتركونه ولا يضرهم تركه. وهذا باطل لا يقول به أحد.

ولا يترتب على نوع ما من أنواع هذه التصوير تدفع إلى عبادة غير مشروعة ولا إلى تعظيم ديني ولا يقصد بشيء منها مضاهاة خلق الله — فإما أن يؤخذ فيها بقول من يحمل الوعيد على التصوير خاصة بما ذكر من أول الأمر كتصوير الصالحين ومن يخشى أن يفتن الناس بصورهم وتأثيلهم وبما يقصد به مفسدة أخرى كالتهريض على المعاصي وهتك المورثات، وأما أن يخص عمومها بأحكام الضرورة في بعضها وأحكام الحاجة التي تعد من المصلحة الراجعة في بعض آخر، فإن القاعدة في المحرم لذاته أن يباح للضرورة كأكل الميتة ولحم الخنزير، وفي المحرم لسد القرية أن يباح للمصلحة الراجعة كزوجة الطبيب للمورث وأبدن النساء الاجنيات عملا بقاعدة ارتكاب أخف الضررين.

فمن عرض مسألة التصوير واتخاذ الصور على هذه القواعد الشرعية فلم منها أن دين الفطرة، الذي قرن كتابه ووصف بالحكمة، ورفع منه الحرج والمسر عن الأمة، لم يكن ليحرم صناعة نافعة في كثير من العلوم والاعمال، ويحتاج إليها في حفظ الأمن

وفنون القتال ، وأما يحرم ما فيه مفسدة أو ما كان ذريعة الى مفسدة ، ولا يبعد ان يقال ان أعمال المصورين في هذا العصر تمنعها الاحكام الخمسة - فاذا سألتنا رؤساء الحكام وكبار القواد وأركان الحرب والاطباء وغيرهم من علماء الفنون التي هي من فروض الكفايات عن صناعة التصوير الشمسي واليدوي فقالوا ان منها ما هو ضروري يترتب على تركه ضرر عظيم ، ومنها ما فيه مصلحة واجبة ، ومنفعة مجربة - فقتضى الاصول والقواعد تكون واجبة في بعض تلك الضرورات والمصالح . ومستحبة أو مندوبة فيما دونها من المنافع ومباحة فيما لا ضرر فيه ولا نفع ، ومكرهة فيما كان مظنة الضرر ، وقد يتناقريان ما تكون فيه محرمة وهو ما حل عليه النص ، فهذا ما علمه وأقره من نصوص الشرع وقواعده في هذه المسألة وهو يؤيد ما نقلته عن بعض علماء السلف والخلف في التساهل فيها قولاً وعملاً ، والله أعلم

رحلة الحجاز

٧

طواف الافاضة

بعد ذلك ركبت دابتي وقصدت مكة المكرمة فطلعت طواف الافاضة وهو طواف الركن الذي لا يتم الحج بدونه ، وفي أثناء طوافنا شرع أهل مكة في صلاة العيد ورأيت الامير يصلي معهم مأموماً . وكان الرجال يصلون في الجهة الغربية من الكعبة المعظمة والنساء في الجهة الجنوبية وهن كثيرات جداً ، ثم سعينا بين الصفا والمروة وهو من أركان الحج وقد سعيت في هذه المرة ماشياً . وقد اختلفت الروايات : هل طاف النبي (ص) وأصحابه بين الصفا والمروة في حجة الوداع مرة أو مرتين ؟ ففي حديث جابر عند مسلم أنهم طافوا بينهما مرة واحدة قبل عرفة ، وفي حديث عائشة أنهم طافوا مرتين أي عند القدوم وبعد طواف الافاضة ، ورجح المحققون من علماء الحديث رواية جابر ورواه لو ان ما ذكر في حديث عائشة مدرج من كلام الزهري لا من كلامه . فذهب المحدثين ان السعي لا يتكرر ، ويقول كثير من الفقهاء ان لكل نسك سعي لا يسقطه السعي بعد طواف القدوم ، وأن السعي للعمرة لا يغني عن

السمي بمد طواف الافاضة للحج . ولا يصل النبي (ص) العيد يوم النحر بمكة ولا بمنى كما انه لم يصل الجمعة برفقة لانه مسافر ولم يكن يصلها في السفر . وقال بعض العلماء ان رمي جرة العقبة للحاج كصلاة العيد لانه مفصلة العيد لا تطلب منه وان كان مكيا . ونسأل الله تعالى ان يوفقنا لإقامة السنة على الوجه الاكمل في حجة أخرى أو حجبات كثيرة هذا وانني بمد الطواف والسعي جئت منزلا بمكة واستحضرت حلافا فأخذ شمر وأسي كله بالآلة المدروقة بالمكنة أخذنا أقرب الى الحاق منه الى التقصير ثم عدت الى منى وقد تحللت من الحج تحللا كاملا ؛ والله الحمد أولا وآخرا ؛ وإياه نسأل أن يجعله حجنا مقبولا وسعيا مشكورا . وقد بقي من أعمال الحج التي لا يشترط فيها الاحرام رمي بقية الجمار وذبائح النسك

الجمار بالكسر والجرات بالتحريك جمع جرة وهي في أصل اللغة واحدة الجر من النار ، والحصاة ، والقبيلة التي نصبر لقراع القبائل ، وكل قوم يصبرون لقتال من قاتلهم لا يمحافون أحدا ولا ينضمون الى أحد . قيل سميت جمرات المناسك بمنى بهذا الاسم لانها ترمى بالجار أي الحصى وقيل لانها تجمع الحصى التي ترمى شبت باجتماع القبيلة على من تاواها . وقال أبو العباس أصلها من جمرته ودهرته اذا نحيته ، والتجبر رمي الجمار والمجمر (كالمعظم) موضع رمي الجمار . فأما جرة العقبة فهي في عقبة منى التي ينحدر منها السائر الى مكة على جانب الطريق ، وأما الجرة الوسطى والصغرى فهما في وسط الطريق الذي يشق منى نصفين وتعرف مواقعهما من صورة منى (خريطتها) وفي موضع من الوسطى والصغرى بناء يقرب من شكل المئذنة أو المسلة قليل الارتفاع حوله حاضرة مستديرة ، وكانت دارا عند الجرة الوسطى من جهة الشمال وهي أفسح دار هناك . وقد بينا كيفية رمي الجمار وحكته في مناسك الحج كما بينا حكمة ذبائح النسك . وكنا نذبح كل يوم من أيام منى فأخذ حاجتنا لبونا وتصفق بالباقي . وقد كانت الذبائح في السنين الخالية تزيد على حاجة أهل البلاد ومن حولهم من الأعراب لكثرتها وأما في هذا العام فهي لا تكاد تكفي قراء الحرم

الحالة السياسية في الحجاز

في أواخر سنة ١٣٣٤

آتمنا بفضل الله مناسكتنا ، فحمد الله تعالى ونسأله ان يتقبل منا ، واذ فرغنا من حديث الماسك . فبحسن ان نثم فوات هذه الرحلة بما يمكن بيانها . لان من أخبار الحجاز الاجتماعية والسياسية ، التي تعد من أعظم الاحداث التاريخية ، ثم ببعض الطوفان الادبية ، من المختارات الشعرية ، ونبدأ بذكر انشاء الحكومة الجديدة في مكة المكرمة فنقول : لما شعر بالاستعداد لتأليف هذه الحكومة أصحابنا الالاجئون اليها ، الذين يعدون من أصحاب الشأن أو العمل فيها ، اختلفت آراؤهم فيما ينظر ان تكون عليه ، وما ينبغي ان يكون مسلكهم في هذه الحال على كل تقدير يتصوره الذهن ، وقد استحسنوا ان يجتمعوا ليلا ويكاشفوني بأرائهم ويتعرفوا رأني « والمسنار مؤتمن » ففعلوا . وما بعد من الغريب عند كثير من الناس ان ما كان يجوز في أذهان أهل البلاد المختلفة بمكة في هذه المسألة هو عين ما كان يجوز في أذهان أهل مصر من الآراء والظنون . ثم ماذا كان ؟

فلما يوم الخميس سابع ذي الحجة انه قد تألفت فيها حكومة جديدة . على الوجه الذي نشر بعد الحج في العدد السابع عشر من جريدة القبلة بتاريخ ١٥ ذي الحجة سنة ١٣٣٤ وهذا نصه :

الحكومة العربية الجديدة

« ما أؤفت الساعة السادسة من نهار الخميس الماضي سابع ذي الحجة حتى اكتظمت دار الحكومة بأكابر العرب وعليتهم تنظاراً لتشريف رجال الحكومة العربية الجديدة ولما كانت الساعة السابعة وصل صاحب السمو الامير عبد الله ومعه سائر الوكلاء فصدحت الموسيقى بالسلام الشريف وأخذت الجنود النظامية المرصوفة على جانبي الطريق السلام العسكري . ولما استقر بحضراتهم المكان في ندوة الحكومة قرئ المرسوم الشريف الصادر من جلالة سيدنا الملك المعظم الى حضرة العلامة الفضال الشيخ عبد الله سراج بتعيينه قاضياً لقضاة ووكيلاً لرئاسة الوكلاء . وتعيين زملائه حضرات الوكلاء العظام . وهذه صورة المرسوم الشريف :

﴿ المرسوم الشريف بتأليف هيئة الوكلاء ﴾

حضرة العالم الكامل الشيخ عبد الله سراج

انه لما كانت مصالح لرعايا وانتظام شؤون المجتمع وتوفر أسباب العمران لا بد لها من درأوين يتوزع عليها النظر في الحكومة وما هو في معنى ذلك من المصالح العامة والخاصة، ويتم بها أساس الوظائف الذي تبنى عليه المسؤولية وتكون حكومة لبلادنا المحروسة. وبالنظر الى ما نحققه فيكم من الكفاية والاستقامة، عزما بعد الاستماعة بالله عز وجل على توجيه منصب قاضي القضاة لعهديكم وتعيينكم وكلاء عن رئيس الوكلاء العظام، وقد اخترنا لبقية الوكالات حضرات الدوات الآتية أمماؤهم، وهم ولدنا عبد الله بن الحسين لوكالة الخارجية ويكون وكلاء عن وكيل الداخلية، وعبد العزيز بن علي رئيس أركان حرب ووكلاء عن وكيل رئاسة الجند مع ترفيع درجته عن رتبته الحاضرة، والشيخ علي مالكي وكلاء للمعارف والشيخ يوسف ابن سالم رئيس البلدية سابقاً وكلاء للمنافع العمومية، والشيخ محمد أمين مدير الحرم الشريف سابقاً وكلاء للاوقاف مع بقائه في نظارة أمور الحرم وكلاء بتعلق بوظيفته الشريفة، والشيخ أحمد بن عبد الرحمن باناجه وكلاء للمالية. وذلك لما توسعنا من درايتهم واستعدادهم للسهر على مصالح البلاد وأهلها على ما يرضي الله، واننا ننظر منكم المبادرة الى تأسيس الدوائر والدواوين الرسمية وتعيين العمال والموظفين لها وأرجو الله سبحانه أن يجعلنا مظهر توفيقه وهدايه، في كل ما يمجبه برضاه

في ٧ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٣٤ هـ شريف مكة وأمرها

حسين

ثم تلي مرسوم شريف آخر بتأليف مجلس الشيوخ الاعلى وهذا نصه:

﴿ المرسوم الشريف بتأسيس مجلس الشيوخ الاعلى ﴾

وكيل رئيس الوكلاء وقاضي القضاة مولانا وفقه الله

بما أننا قد استسبنا تعيين هيئة أطلقنا عليها اسم (مجلس الشيوخ) وجعلنا وظيفة هذا المجلس النظر في كل ما يتعلق بمنافع البلاد والمراقبة على أعمال لدواوين

والسوار الرسمية وإبداء رأي فيما تعرضه السوار على مقام وكيل رئيس الوكلاء
 وصيقر فيها بعد صلاحية هذا المجلس العالي ، فقد جعلنا رئيساً له جناب افاضل
 الاجل فائق بيت الله الحرام الشيخ محمد صالح الشبي . وأعضاه حضرات الافاضل
 الاجلاء مفتي الشافعية السيد عبد الله بن محمد صالح لزواوي ومفتي المالكية الشيخ
 هابد بن حسين والشيخ عبد القادر بن علي الشبي ونائب الحرم السيد ابراهيم بن
 علي ووكيل شيخ السادة السيد محمد بن علوي السقايف والشيخ عبد الله علي رضا
 والشيخ علي بن عبد الله الشرباصي والشيخ أبو بكر بن محمد خوقر وذوي السيادة
 والشرف حمزة بن عبد الله الفخر وقتن بن محسن وصلبان بن أحمد بن سعيد وناصر
 ابن شكر وتبليغهم ماذكر اقتضى تحريره ٧ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

شريف مكة وأمرها

اه ماقل عن جريدة القبة

حسين

ولما علم الناس بتأليف الحكومة الجديدة كان حديثها شغلا للشاغل وكانوا ينتظرون
 أن يسموا يوم الجمعة ثامن الشهر شيئا جديدا في تعيين شكلها ، واستحسن بعض الاخوان
 الذين رأوا مارأوا من اكرام الامير مشواي أن أطلب الشرف بمقالة خاصة أتوسل بها
 الى عرض ماعرفوا وحددوا من رأيي في شكل هذه الحكومة ففعلت ، نلت الحظوة في أول
 الليل على سطح في أحد جوانب قصر الامارة ، وتوصلت بذكر ماتم من تأليف مجلس
 الوكلاء الى السؤال عن شكل الحكومة كيف يكون ؟ ففضل الامير بتواضعه المهور
 قائلا : هذا مانحب ان تأخذ رأيكم فيه . فذكرت رأيي فصلا تفصيلا ، ولكنني لم أسمع
 كلمة ولا رأيت اشارة تدل على استحسان ولا على انكار ، ثم استأذنت وانصرفت ،
 قلت ان جمهور الناس من المكين والحجاج كانوا ينتظرون أن يسموا يوم الجمعة
 شيئا جديدا فلم يسموا ، وكان من صلى الجمعة في المسجد الحرام من المصريين على
 مقربة من المنبر يقولون السمع الى الخطيب عند الدعاء ، فسموه بأذانهم يدعوا للسلطان
 محمد رشاد ، وخرج الناس من المسجد الحرام ، ولم يقع ما كانوا يتوقعون من الميابة
 بالخلافة بين الركن والمقام ، فزال بذلك مازال من الظنون والاهام .

ثم عاد الناس الى الحديث في هذه المسألة في مساء يوم العيد بمنى وأشيع ان

المباينة بمقتضى أن تكون ضحوة غد في أثناء الاحتفال المعتاد في سراوق الامير ، ذلك بأن العادة قد مضت بأن تكون ضحوة اليوم الاول من أيام منى موعد تهنة الامير الشريف بالعيد وأعيام الناسك فكان يحضر لديه والى الحجاز وقائد الجند فيه وأمير الحج الشامي والمصري وكبار الشرفاء والعلماء وكبار رجال الحكومة ووجهاء مكة المكرمة والحجاج ويتلى فرمان السلطاني الذي يهد فيه الى الشريف بالنظر في شؤون إمامة الحج وحفظه في الحجاز... ويختم الوالي على الامير الخطة السلطانية . ولما أشيع ما أشيع جاءني أولئك لاصحاب ليلا للذاكرة في الامر وبعد طول التشاور فيه اقترحوا عليّ أن أذهب الى نجيم الامارة لاكتشاف الحقيقة إذ قيل ان جمهور رجال الحكومة الجديدة وشرفاء مكة ووجهاء هاربون وجوب المباينة بالخلافة وان سيدنا الامير مخالف لهم في ذلك وبرى ترك ذلك الى جماعة المسلمين في سائر الأقطار وقد بين هذا المعنى بعد ذلك في بعض المنشورات الهاشمية. ولما كان منزلنا بعيدا عن نجيم الامارة وكان الاخوان يلبون ان الامير لا يسهر كثيرا جازني بمواد كريم فركتبه وأسرت الى السراوق الخاص فقيل لي إن سيدنا قد نام، وسألت عن نبأه الامير عبد الله فقيل انه قد نام أيضا فهدت أدراجي الى اخواني فأخبرتهم بذلك وانصرفنا الى مضاجعنا . بت لي اني أفكر في هذه المسألة ولم يبق لي من أعمال النسك ما يشغل قلبي عنه وكان رأيي في مسألة الخلافة هو ما قيل لي في هذه القليلة عن رأي الامير دون من حوله وقد أكبرته لذلك ، وكان أعجبي من منشوره الاولين جعل عداوته لفئة الاتحاديين المتغلبة للشعب التركي ولا لدولة العثمانية أيضا - وكذلك كانت الثورة في أول عهدنا - وكنت أرى ان مبارزته العداوة لفئة المتغلبة قد يقف بيني زعمائها على العرب عند حد ما اجترح جمال باشا من المواقف التي هي شر لدولته وكذا لجمعية لا خير لها كما توهم ، وان قمع الحركة الحجازية ، محصور في هذه الفائدة المرجوة ، وفي إغاثة جيران بيت الله من المجاعة والهلكة الحقيقية وفي الاحتياط لما يجب اذا سقطت الدولة ، وأرى انه يجب السعي لتحقيق ذلك بدون ارتكاب إثم يري شره على خبره ، وكنت أشترى الى رأيي هذا والى حسن ظني في الامير الشريف في مقال المحاوره الذي نشر في الماتر قبل الحج وقبل العزم عليه ذلك ما بت أفكر فيه ، ولما أصبحنا أسرع الناس الى مكان الاحتفال مشرقين

وتأخرت الى الضحوة الكبرى فألقيت سراقق الامارة غاصا بالناس وكذا الفجوة التي أمامه ولولم يزي بعض من يعرفني هنالك لما تيسر لي اختراق ذلك الجمع الكثيف، والنفوذ الى المجلس الهاشمي الشريف ، ولكن رأي من فرج لي فرجة بين الناس دخلت منها الى أن بلغت الحلقة الكبيرة وجلست على كرسي أسخلي لي فيها، وكان الناس من مصريين ومكيين قد شرعوا في إلقاء الخطب والقصائد في التباهي والادعية، فرأيت أن أتهي خطبة في بيان الحقيقة التي عرفتها بالبحث والاختبار ، والآراء التي أنتجتها تلك الأفكار، أشير فيها الى آراء الناس من الحجازيين والآفة قيين وكنت قد بلوت أخبارهم ، واكتنفت معرفتهم وانكارهم ، وأذكر مآلدي من الرأي في المسألة الحجازية وما يشترط في ذلك بقدر ما يسهل المقام، فلما فرغ من كان يتكلم قبل يميني استأذنت فأذن لي فقلت ما ملخصه كما نشر في جريدة القبلة

وكل ما يوضع فيها بين الالهة هكذا () فهو من قبل جريدة القبلة كما هو ظاهر الا الآيتين الكريمتين : في أولها فهما من أصل الخطبة

خطبتنا السياسية في مضي

أيها المسلمون الكرام ، من سكان حرم الله وحجاج بيته الحرام ، أنكم تعلمون أن الاسلام دين سيادة وسلطة ، وأن شريعته أنزلت ليقم أحكامها أهله ، لقوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) على التأويل المشهور للآية وتعلمون أن الله تعالى قد جعل هذا الدين عربيا اذ أنزل القرآن الذي هو أصله وأساسه باللغة العربية على لسان النبي الامي العربي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . وقد بين الله تعالى ذلك بقوله (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) فهذه الآية أخص من الآيات الناطقة بانزال القرآن عربيا ، لانها مصرحة بأن حكم هذا الدين عربي ، مع العلم بأن كتاية التمدد به عربي . وهذه البلاد العربية هي مهد هذا الدين ومبسط وحيه وشرق نوره ، وكان آلهامهم السابقين الى تلقيه والاعتناء به ، ثم تبعهم فيه غيرهم من عرب الحجاز فآثر هذه الجزيرة العربية . ثم حمله العرب الى سائر الاقطار ونشروه فيها ، فامتد في الجبل الاول منهم حتى عم نوره الشرق والغرب ، وأروا

اللام بأقامة أحكامه من العدل والرحمة ما لم يعرفوا ولم يسمحوا له نظيرا كما اعترف بذلك المنصفون من الأفرنج وغيرهم

ثم طرأ الضعف على السلطة الإسلامية بتفرق الوحدة العربية الكافّة لهاء وتغلغل الأعاجم في الدول الإسلامية التي تعددت بسبب ضعف سلطة الخلافة . فبعد أن كانت الفتوحات الإسلامية في مد لاجزر معه صارت دول الطوائف الإسلامية بين مد وجزر ، وقوة وضعف ، حتى وصلت الدولة العثمانية منها إلى درجة عالية ، ومكانة سامية ، من القوة الحربية وسعة الفتح والتغلب ، فسر بها المسلمون ورضي بعض حكماءهم المستقلين بسيادتها طوعا واختيارا ، كما دخل بعضهم تحتها اضطرارا ، وقد كان أمراء مكة العظام أهل بيت سيدنا هذا (وأشار الخطيب إلى جلالة ولانا الأمير) في مقدمة من أيد هذه الدولة واعترفوا بسلطانها وسيادتها ، لاجل جمع كلمة المسلمين بها وإعلاء شأن الشريعة الإسلامية بنفوذها (هنا قال جلالة سيدنا الخطيب صدقت) ثم إن هذه الدولة قد سرى إليها الضعف ودب إليها الوهن من زهاء ثلاثة قرون . وانني أذكر لكم بعض الشواهد على ذلك من تاريخها الرسمي منذ مئة سنة ونصف إن محمد علي باشا الذي كان واليا للدولة على مصر قد زحف على سورية ففتحها ثم على الأناضول فتوغل فيها ، ولولا أن الدولة الانكليزية أكرهته على الرجوع إلى مصر لاستولى على بلاد الدولة كلها . وكان ذلك على عهد السلطان محمود الذي كان يمد مصالحها في الدولة ومجددا لها بقضائه على عسكر الانكليزية المتخمل وأدخله نظام الجنديّة الأوروبية في الدولة

تولى السلطان محمود السلطنة في سنة ١٢٢٣ وتوفي سنة ١٢٥٥ خلفه السلطان عبد الحميد الذي صرح في خطابه عند إعلان « التنظيمات الخيرية » في كلخانة بأن الضعف والخلل قد طرأ على الدولة منذ ١٥٠ سنة وأنه لا بد من تلافي خطر ذلك بالنظام الذي أعلنه بتدبير أساطين الدولة في عهده . ولكن ذلك النظام لم يمد إلى الدولة قوتها ، ولا أنقذها من الخطر الذي كان يخشى عليها . ودليل ذلك أن أركان الدولة قد خلعوا أخاه السلطان عبد العزيز الذي خلفه سنة ١٢٧٧ وقتلوه أو ألجأوه إلى منج نفسه بيده سنة ١٢٩٣ بحجة أن استبداده كان حائلا دون إصلاح الدولة وتجديد شبابها . وولوا بعده السلطان مراد ولم يلبثوا أن خلعوه في تلك السنة وولوا

بعده السلطان عبد الحميد الذي كان عاهدكم على العمل بالقانون الاسامي الذي
 قدوا فيه الدول الأوروبية فلنا منهم بأنهم لا يعترفون الا بما عتبرت به من الحكم النيابي
 وأما سيرة السلطان عبد الحميد فهي معروفة عنكم لأن العهد بها قريب ، وقد
 خلطه جمعية الاتحاد والترقي بقوة جند الدولة واعتقلته ، وتولت الجمعية السيطرة على
 الدولة بعده ، فإذا كان من أمرها ؟ هل كانت خيرا من أولئك السلاطين العظام
 الذين لم يقدروا أن يصلحوا ملكهم الذي ورثوه عن آباءهم وأجدادهم ؟ كلا ان
 زعماء هذه الجمعية الذين غلبوا الدولة على أمرها هم أوشاب من الملاحدة المارقين
 قد وصلوا الى ما وصلوا اليه بكيد يهود سلايك وشر كاؤم في النمسة وألمانية أقوى
 أنصارهم ولذلك نرى أكبرهم جمع المال . فلا هم على دين هذه الدولة فيصاروا
 عليه . بل هم يقاومونه ويهدمونه ، ولا هم من أصل راسخ فيها فيكونوا أحرص
 على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها

وإذا نظرنا الى أعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم نرى أنهم قد فعلوا في الدولة من
 الفساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف الى أن أصيبت بهم
 ثبت أنهم أخذوا من مال الدولة لنظارة الحربية خمسين مليون جنيه ليبددوا
 قوتها العسكرية ، ثم رأينا دولة البلقار — التي كانت ولاية من ولايات الدولة ولم
 يتم لها الاستقلال الا في عهدهم — قد كسرت جيوش الدولة وكادت مدافعها في
 شطلجها تمزق مسمع أهل الآستانة . وكان السبب الحسي لذلك قلة ما عند الجيش
 الألماني من المؤنة والذخيرة والدواب وسائر أسباب الحرب

وقد خسرت الدولة في عهدهم المشؤم من المالك ما لم تخسر مثله في عدة أجيال :
 خسرت البوسنة والهرسك ببيع الجمعية اياها للنمسة ، وطرابلس الغرب وبرقة ببيعها
 اياها لاطالبية ، ومكدونية وألبانية وكربت وجرائر الارخبيل ، ونسكت عما خسرت
 في هذه الحرب من الولايات — فقد أضاعوا نصف الدولة في بضع سنين ، وحملوها
 فيها من أثقال الديون ما لم تحمل مثله قبلهم في بضعة قرون . ثم عمدوا الى الامة ،
 فأفقروها كما أفقرت الدولة . فهذا هو الاصلاح الذي خلطوا لاجل القيام به سلطان الدولة
 وخلقها عبد الحميد وحجروا على خلفه من بعده

فيا أيها المسلمون الفيورون المبصرون ! اذا كانت قد ثبت من تاريخ الدولة الرسمي بما ذكرته لكم من شواهد أنها كانت ضميقة يخشى عليها الزوال قبل هذه الارزاء والمصائب التي منيت بها بشؤم هذه الجمعية ، فكيف يكون حالها الآن وقد اصطلت بنار هذه الحرب ، وتعرضت لعداوة أكبر دول الارض ؟

ان سواد المسلمين الاعظم يفارون على هذه الدولة ويتنون لها دوام الاستقلال وكمال القوة للسبب الذي يبناه في فاتحة الكلام ، ولكن يقل في المسلمين من يعرف حقيقة حالها وكنهه الخطر الحائث بها . ويقل فيمن يعرف ذلك من يسمى لتدارك ما يترب على هذا الخطر اذا وقع من فقد الاسلام لما بقي من احكام شريعته ، وحرمان المسلمين من آخر ما كان لهم من الاستقلال السياسي على علاقته

لم نر أحدا من زعماء المسلمين وكبرائهم قدر الحال الخطرة التي وصل اليها الاسلام قدرها وازهرى لتداركها الا هذا الرجل العظيم — أمير مكة وشريفها — فانه . أى أن الدولة — وهو من أعلم أهلها بحالها — قد أمست على شفا جرف ، وأن ملاحدة الاتحاديين قد اتخذوا الاحكام العرفية والقوة العسكرية ذريعة للتكيد بالامة العربية بتقيل رجال الفكر والعمل ومصادرة أموال أهل الثروة منها حتى لا يبقى فيها رجاء في عامل ولا في عمل ، فالتدب لتدارك الخطب ومصارعة الخطر بنفسه الكريمة وأنفس أنجالة النجباء . ولو استطاع أن ينقذ الدولة نفسها من الخطر اقل ، ولو بذل في ذلك دمه ودم هؤلاء الأنجال الكرام (هنا قال الامير حفظه الله تعالى للخطيب صدقت) لكن العمل لا تقاذ الدولة نفسها من الخطر قد أصبح فوق طاقته وطاقة غيره (... صدقت) فرأى أن يبدأ بالمستطاع وهو اتقاذ الحجاز مهد الاسلام ومشرق نوره مما نزل به من البلاء والشقاء ، ثم اتقاذ غيره مما يمكن اتقاذه من البلاد العربية ليكون ذلك بيئة لحفظ الاستقلال الاسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع أن يحل بالدولة العثمانية والمايا بالله تعالى (... صدقت)

لا يخفى على ذي بصيرة ان الاتحاديين ما اشعروا الا لوف من جيوشهم في الحجاز الانية سيئة لانهم يعلمون كما نعلم أن أعداءهم الحلفاء لا يحاولون الاستيلاء على الحجاز ولا يحاربون أهله ، فكان من المعقول ان يرسلوا تلك الجيوش الى قتال

أعدائهم الروس واتخاذ ما تقتضيه من الولايات التركية ، ولكن التنازل بالعرب أهم
عندهم من دفع الروس عن عقر دراهم . ولو تم لهم ما أرادوا لرأينا من فظائعهم في
الحجاز ما هو أشد من فظائعهم في الشام (... صدقت)

نعم ان الحلفاء لا يحاربون الحجاز ولكن وجود الجيوش الاتحادية فيه ألجأهم
الى ضرب الحصار البحري على ثغوره فضاعت المعيشة على أهله حتى باعوا حلهم
وأثاثهم وأبواب بيوتهم وخشب سقفها ولو طال عليهم أمد ذلك سنة أخرى لا كانوا
المجاعة وما يقبضها عادة من الاوبئة (... صدقت)

أعلن سيدنا هذا استقلال العرب في الحجاز — والحاجة قد اشتدت اليه حتى
وصلت الى حد الضرورة — وما كان يوجد في الامة العربية ولا الامة الاسلامية كلها
من آتاه الله من البصيرة والشجاعة والثقة بالله والتوكل عليه ما ينضج به لقيام بهذا
العيب العظيم ، ولولا ثقته بالله وتوكله عليه لما تجرأ على ذلك لأننا كنا نعلم أنه لا يوجد
في الحجاز قوة عسكرية ولا ثروة مالية يستند عليها في مثل هذا العمل (تصديق ..)
لكننا نعلم أنه لا يوجد في الدنيا كلها مكان يصلح لتأسيس دولة اسلامية تخلف
الدولة العثمانية اذا وقع بها ما نختشاه عليها الا جزيرة العرب وما يتصل بها من البلاد
العربية لما خص الله تعالى به هذه البقعة وأهلها من الخصائص ، ولا يعقل ان يحفظ
استقلال الاسلام في مثل بلاد الافغان إن هو زال من مهده وموطن نشأتهم ومحل
اقامة شعائره . افردت هذه البقاع الطاهرة المقدسة بأنها أجدر بقاع العالم الاسلامي
لابقامة استقلاله . وكذلك افرد سيدها وأميرها في هذا العصر بالنبوض بما يجب من
العمل والاستعداد لتجديد هذا الاستقلال . فكان له بعمله أكبر منة في اعتناق
أهل هذه البلاد وفي اعتناق جهيم المسلمين الذين يشعرون بأن أمر هذا الاستقلال
هو أهم المصالح العامة الدينية والاجتماعية . ولكن منهم من فقد هذا الشعور

أيها الحجازيون ان من يكفر منكم لهذا الرجل المصلح المنقذ هذه النعمة فهو أكفر
الناس للنعمة . أيها المسلمون يجب ان تعلموا ان هذا العمل أعظم خدمة للاسلام في
هذا الزمن . فان الدولة العثمانية ان سلمت من السقوط وحفظت استقلالها لم يكن
استقلال العرب في الحجاز وغيره ما نعا من ذلك ولا من تعاضد العرب والترؤس من

حفظ حقوق كل منهم . وان سقطت وقعدت استقلالها لم يكن هذا الاستقلال هو السبب فيه ولكنه يكون سببا لحفظ استقلال الحكم الاسلامي في أشرف بقع الاسلام، بل لا ينبغي عن أذهانكم املولا اعلان هذا الاستقلال أترب على سقوط الدولة العثمانية وقوع حرم الله تعالى وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم غيبة في أيدي الدول الفاتحة . فان تركوها بعد ذلك لنا كان لهم منة التصديق بهما علينا . والا كانا نحت سيادتهم والقيام بالله تعالى . وبهذا يتبين لكم ان هذا العمل العظيم ، الذي قام به هذا الزعيم العظيم ، قد أفض الحرمين الشريفين وما حولها من هذا الخطر الجسيم . ووضع أقوى أساس لحفظ الاستقلال الاسلامي باقضاء دولة جديدة له . فله بهذا أكبر منة على جميع المسلمين . وما أقول هذا تلقاء ولا مدحا شريفا وإنما هو الحقيقة البيضاء الناصعة ينتها لكم بالايجاز الذي يحتمله المقام والسلام اه الخطبة قالت جريدة القبلة مقيمة على هذه الخطبة ، : « وبعد أن جلس (أي الخطيب) أتى عليه جلالة سيدنا أيده الله بروح من عنده وقال للناس انه لم يره الا منذ أيام قليلة » وتزيد عليها أنه قد صرح بأني عبرت في المسألة عن فكره ورأيه ولم يسبق له مكاشفتي به وانه لم يرني الا منذ أيام قليلة وهو صادق فيما قال ، واني ما كنت أرجو أن يرضيه خطائي إلا من باب حسن الظن فيه الذي استنبطته مما كنت أعلم من سؤنية جمال باشا وأعوانه ومن منشور به الدالين على قيامه بما قام به في الحجاز لاجل الداعية التي وصلت الى حد الاضطرار ، وانه ضرورة تقدر بقدرها ، وهذا هو الحكم الشرعي في مثلها ، وقد جعلتها مقدمة للسمي الى ذلك .

وأقول ان وقع الخطبة قد كان حسنا في سمع الجمهور ، وكانت موضع حديث الناس وثنائهم ، حدثني بذلك الكثيرون في منى ثم في مكة ، وقد علمت أنها جمعت بين إرضاء الفريقين المعارضين في الرأي — فريق المشاعين من ثورة الحجاز الخائفين ان تكون سببا لضعف لدولة العثمانية وزوالها ، على حين لا استعداد لإنشاء دولة اسلامية محل محلها ، وفريق المتفائلين الذين يرجون ان تكون مبدأ دولة عربية مستقلة تحيا بها حضارة العرب الزاهرة ، حتى ان أصحاب فكرة لمبايعة كانوا يرجون عند سماع الخطبة ان تكون مقدمة للمبايعة .

زارني بعد نزولنا من منى الى مكة الشيخ عبد الملك الخطيب أحد أدباء مكة
المقرين من الحضرة الهاشمية - وقد تقدم ذكره في هذا الرحلة - فكان جل حديثه
الثناء على الخطبة، وقال اني كنت في الحضرة الهاشمية أذكر محاسنها وأنه بها وان
سيدنا واقفي على ذلك وساهني فيه، ثم ذكر انه كان ينقصها شيء واحد، قلت بل
ينقصها هندي أشياء ولكن الوقت لم يكن يتسع لا أكثر مما قيل، قال: لم أهن ان في
الخطبة نفسها قصصا بل هي كاملة، وانما كان ينقصها ان تكون مقدمة للمباينة، فلو
اذلك بعد إتمامها مددت يدك وبايست سيدنا لا تبعك الناس وكان أمرا مفعولا، قلت
ان هذا ليس من رأيي ولا من حقي، وما يؤمنني ان يقال لي ما قيل لذلك الشاهر الذي قال
وخذا النوم من عيون قاني قد خلعت الكرى على المشاق

فقليل له خلعت ما لا ملك على من لا يقبل؟ وبهذا حولت المباحثة السياسية الى مقابلة أدبية
هذا - وانني قد تشرفت بعد ذلك بمحديث مع الحضرة الهاشمية في موضوع الخطبة،
فكان مما قال الامير ان المسألة الجوهرية في الخطبة هي ان الدولة العثمانية على خطر وأنا
موافق لك على هذا الرأي من قبل الحركة ولكن أتنر الناس أو المسلمين لا يعقلون ذلك .
وقد عرضت عليه في هذه الجلسة شيئا من خلاصة رأيي في المسألة العربية وما يجب
إنقاذه من الاحتياط في مسألة الدولة، على لوجه الذي أشرت اليه في خاتمة الخطبة،
فأظير لي الاستحسان، وأحال على الزمان، وقراء المثار يعرفون رأيي عما بسطته في
المقالة التاريخية (المسألة العربية) التي نشرتها في الجزء الاول من المجلد العشرين، ومنه
ان الثورة الحجازية قد أدت وظيفتها، وأقادت مارجوا منها. فأنتد الحجاز، وأوقفت بني
البغاة وأحمد الله اني كنت أسعى الى تنفيذ هذه المقاصد، على تلك القواعد، واتي
الآن معنزل لأعمال السياسة وأهلها، منتظر حكم المرير الحكيم في أمر أممي والشعوب كلها.

﴿ ترجمة الشيخ سليم البشري ﴾

بني مما ينبغي أن يذكر في ترجمته ما انفرد به دور أمثاله من شيوخ الأزهر كأنكاره كتابة
على الدولة العثمانية الفتنة بالارمن في أمانة - وكرثت لاحفال اللجنة السعودية التي عقدت في
دار الفتوى الاميرية لاعامة صلة العلم الدوريين في الأزهر - تلك اللجنة التي قال في هذا بحق
اتها مسيحية ليس فيها الامام واحد تسمى لاعامة مسلمين ليس بينهم نصيراني واحد - وغير ذلك من
الامور المذمومة المصرية، ولم يتيسر لنا جمع ما كتب في ذلك بوثته من الجرائد، ولم يذكره أحد في ترجمته



أولئك الذين هموا بالله ودينهم
أولئك الذين هموا بالله ودينهم

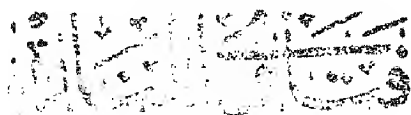
المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هموا بالله ودينهم
أولئك الذين هموا بالله ودينهم

قال عنه الصلاة والسلام: إن الإسلام صمد و «مانرا» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٦ — ٢١ المحرم (١) ١٢٩٦ هـ ١١ إبريل ١٩١٨



فتحتنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالبا وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر بحج لا غفاله

﴿ التبثيل العربي ﴾

﴿ اشتغال المرأة المسلمة به وتمثيل قصص الانبياء ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الى فضيلة مولانا وراشدنا السيد رشيد رضا

بجھتي النوادي بطائفة من المتعلمين الذين قلما يخلو مجلسهم من البحث وبأية مناسبة دار بيتنا ذكر التبثيل العربي وبسطا على بساط بحثنا (١) المرأة المسلمة والتبثيل (٢) تمثيل روايات الانبياء عليهم السلام عموما وخاصتهم خصوصا فقرر رأي فريق منا على جواز ذلك كله اذ لا تتم أدوار التبثيل وفصوله لا بالمرأة فاذا جوزنا التبثيل جوزنا ظهور المرأة المسلمة على مناسح التبثيل . وأي مانع يمنع تمثيل روايات الانبياء عليهم الصلاة والسلام عموما وخاصتهم خصوصا وهو لم يخرج عن كونه درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي يشده مشاهير الوعاظ وقيل من بصادفه أو يحد له أراء ومنع فريق آخر كل ذلك وعدة نوعا من التقليد لافرنجبي الذي يستحوذ على بعض البسطاء فيمدونه مفتاح تمدن الامة في حين أنه شرعيا وعلى أخلاقها الذاتية . فهد ما كان من الفرقين أما أنا كاتب هذه السطور فقد أعلنت الحيدة حتى أسترشد برشدكم أو أصدبر بفتيا مناركم والسلام

كاتبه

محمد محمد سحاف

طالب بمدرسة القضاء الشرعي

(ج) قالت هدا لله وبرك بحجة الصواب في الحكم - وعصمنا ان نتفقوا ما ليس لنا به علم : ان بعض الاندية جعلت جماعة من المتعلمين الباحثين ، وانهم ذكروا « التمثيل العربي » فاختلفوا في جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، وفي جواز تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام عامة وخاتمهم خاصة ، فقالت طائفة منهم بجواز الامر به ، وعالوا الاول « بأن أدوار التمثيل ونصوله لا تتم الا بالمرأة فاذا جاوزنا التمثيل جاوزنا ظهور المرأة المسلمة على مراسح التمثيل » وعالوا الثاني بأنه « درس وعظ على طريقة التأثير النافع الذي ينشده مشاهير الوعظ وقيل من يصادفه أو يجده آثرا » وقالت طائفة أخرى بمنع الامر به وعدوه من التقليد الافرنجي الضار ، الذي يغتربه الاغرار ، وقالت انك وقتت حتى تستغني المار ، فهناك ما أفهمه في المسألتين الا ان تصار : لم يأت فريق المجيزين بشيء من العلم ، يدل على ما جزموا به من الحكم ، فان سلمنا لهم ان التمثيل لا يتم الا بالمرأة - لا نسلم لهم ان جوازه يستلزم جواز اشتغال المرأة المسلمة به ، بل نسألهم ماذا يعنون بهذا التمام ؟ وهل يعتد به شرعا ؟ ولماذا لا يستغنى فيه بالمرأة غير المسلمة التي تسبيح من أعماله ما لا يباح للمسلمة ؟ وبأي حجة جعلوا القول بجواز التمثيل الذي يقتصه وجود المرأة المسلمة أصلا بنوا عليه القول بجواز اشتغالها بالتمثيل ؟ وهل يعدو التمثيل المطابق ان يكون مباحا أو مستحبا بشرط خلوه من فعل الحرام وذرائع الفساد ، واشتماله على الوعظ النافع والارشاد ؟ أو ليس الصواب أن يقال - والامر كذلك - ان التمثيل الذي يتوقف على قيام المرأة المسلمة ببعض أعماله على الوجه المعروف في دور التمثيل بمصر غير جائز ، لان ما توقف على غير الجائز فهو غير جائز ، أولان دره المقاسد مقدم على جاب المصالح ؟ ان اشتغال المرأة المسلمة بالتمثيل المعروف يشتمل على منكرات محرمة (منها) ظهورها على أعين الرجال متبرجة كاشفة ما لا يحل كشفه لهم من أعضائها كالرأس والتحر وأعلي الصدر والذراعين والعصدين ، وتحريم هذا مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا حاجة الى ذكر النصوص فيه ، (ومنها) الاشتراك مع الرجال المثلين في أعمال تكبر في التمثيل وان لم تكن من لوازمه في كل قصة كالمناقعة والمحاصرة والملازمة بغير حائل (ومنها) غير ذلك من المنكرات التي تشتمل عليها بعض القصص دون بعض

كالتشبه بالرجال ، وتمثيل وقته المشق والفرام المحرم بما فيه من الاعمال المحرمة لديها
أو لكونها ذرية الى المحرم لذته . ولا أنكر انه يمكن لاسكتب العالم أحكام الشرع
وأدائه أن يكتب قصة تمثيلية يودع بعض قصورها أعمالاً شائقة وأقوالاً نافعة اذا
مثلتها امرأة مسلمة تبرز في دار التمثيل غير متبرجة بزينة ولا مبدية لشيء مما حرم الله
إبداءه من بدنها ، ولا آتية بشيء من أعمال الفساد ولا من ذممه ، فإن تمثيلها يكون
بهذه الشروط مباحاً أو مستحباً . مثال ذلك أن تعرف قصة في التعريب في الحرب
المدافع عن الحقيقة وحماية البلاد عند وجوبها باعتداء الأعداء عليها ، ويدكر فيها
ماروي عن الخلفاء رضي الله عنهم في حث أبنائها على القتل بالنظم والنثر . فمن
ذا الذي يتجرأ على القول بتحريم ظهور امرأة تمثل الخلفاء في مثل تلك الحال ، التي
هي مثال الفضيلة والكمال ؟ ولكن امكان وضع مثل هذه القصة — وهو من الممكّنات
التي لم تقع — لا يبيح عليه القول بإطلاق جواز ما هو واقع من التمثيل المشتمل على
ما ذكرنا وما لم نذكر من المنكرات المحرمة والمكروهة شرعاً

وأما تمثيل قصص الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقد تلووه بأنه درس وعظ
موثر ، يستون أن كل ما كان كذلك فهو جائز ، وهذه الكلية المطوية بمنوعة ، وتلك
المقدمة الصريحة غير متعينة ، فإن هذه القصص قد توضع وضعا منفرداً ، فلا تكون
وعظاً مؤثراً ، وإن من الوعظ المؤثر في النفوس ما يكون كله أو بعضه باطلاً ، وكذباً
وإدعاءً أو مشتملاً على مفسدة أو ذريعة إليها ، ويشترط في جواز الوعظ أن يكون
حقاً لا مفسدة فيه ولا ذريعة الى مفسدة . وبناء على هذا الأصل ننظر في هذه
المسألة من وجوه

(أحدها) أن العرف الاسلامي العام بعد تمثيل الانبياء عليهم الصلاة والسلام
إهانة لهم أو مزيها بقدرهم ، وبما أعهد من الوقائع في ذلك أن بعض التصاري كانوا
أرادوا أن يمثلوا قصة يوسف عليه السلام في بعض المدن السورية فهاجم المسلمون
لذلك وحاولوا منعهم بالقوة ، ورفع الامر الى الأستانة فصدرت ارادة السلطان عبد
الحيد بمنع تمثيل تلك القصة وأمثالها . فإن قبل أن بعض مسلمي مصر كأوشك
التململين القائلين بالجوز لا يبدون ذلك إهانة ولا أزراراً اذ لا يخفى على مسلم أن إهانة

الانبياء أو لآزراء بهم أقل ما يقل فيه انه من كبار المعاصي وقد يكون كفرا صريحا وردة عن الاسلام — تقول انما العبرة في العرف بالجمهور الذي تبنى على آداب الاسلام وأحكامه لا بالافراد اقلال ومن غلبت عليهم التقاليد الفرنجية حتى صاروا يفضلونها على الآداب الاسلامية ، كذلك القاضي الاهلي الذي حكم ببراءة استاذ مدرسة أميرية غزل امرأة محصنة وتصبأها ، وكشفها بافتانه بجمالها ، حتى هجره الرقاد ، وواصله السهاد ، فشكت المحصنة هذه الواقعة الى زوجها فرفع الزوج الامر الى القاضي المعقوبات ، طالباً تعزير ذلك المعادي للفتات ، فكان رأي القاضي ان معازلة المحصنات الحسن وتصبين ، يحل ذلك الكلام الذي يفسدهن على أزواجهن ، لا يقتضي سجننا ولا غرامة ، ولا تأنيبا ولا ملامة ، لانه يظهر لحب الحسن والجمال ، وهو من ترقى التدوق وآيات الكلام ، ولكن مارآه هذا القاضي المتخرج حننا وكلاما ، رآه السواد الاعظم من المسلمين قصا قبيحا ، وأنكروه عليه في الجرائد حتى منعتها مراقبة للطبوعات من التمددي في الانكار ، واستأنف لزوج الحكم فقضه لاستئناف ، وحكم بأن كلام ذلك الاستاذ جريمة منافاة الآداب . ولو حاول بعض أجرق لتمثيل تمثيل قصة أحد لرسل الكرام ، عليهم الصلاة والسلام . لرأوا من نكار العلماء والجرائد ما لا يخطر ببال أولئك الافراد الذي يرون جوازه ، ولو وقع مثل ذلك في بلد لم تدال أهله سيطرة الحكم لما كان لا مثارا للفتنة ، واصدي الناس اصدا مملئين بالقوة ، بل يناب على ظي ان أكثر الناس يعدون تمثيل الامراء والسلاطين ، وكبار رجال العلم والدين ، مما يزرى ب مقامهم ، ويضع من قدرهم . ونأخذ من هؤلاء الكبراء لايرضى لنفسه ذلك . (الوجه الثاني) ان أكثر الممثلين لهذه القصص من سواد العامة ، وأرقهم في الصناعة لا يرتقي الى مقام الخاصة ، فان فرضنا أن جمهور أهل العرف لا يرون تمثيل الانبياء بآزراء بهم على اطلاقه ، أفلا يعدون من الآزراء والاخلال بما يجب لهم من التعظيم أن يسمى (السي فلان) أو (الخواجه فلان) ابراهيم خليل الله أو موسى كليم الله أو عيسى روح الله أو محمد خاتم رسل الله ؟ فيقتل له في دار لتمثيل يارسل الله . قولك في كذا . . . فيقول كذا . . . ولا يبعد بعد ذلك ان يخاطبه بعض

الظلماء بهذا القلب في غير وقت التمثيل على سبيل الحكاية أو من باب التهكم والازهالة كأن يراه بعضهم يرتكب إنما فيقول له : مدد يا رسول الله ! ألا ان اباحة تمثيل هؤلاء الناس للانبياء قد تؤدي الى مثل هذا وكفى به مانعاً لو لم يكن ثم غيره (الوجه الثالث) تمثيل الرسول في حالة أو هيئة ترزي بمقامه ولو في أنفاس العوام وذلك محظور وان كن تمثيلاً لشيء وقع . مثل ذلك ان يمثل بعض هؤلاء المثان المعروفين يوسف الصديق عليه السلام بهيئة بدوي يملك ترأوده سيده من نفسه وقد قبضه من دير ، ثم يمثله مسجوناً مع المجرمين . ويتجلى النظر في هذا الوجه ببيان مسألة من أعظم المسائل التي يغفل عنها أمثال أرنك الباحثين الذين ذكروهم المستفتي ، وهي ان الرسل عليهم الصلاة والسلام بشرهم بزم الله تعالى بما خصهم به من الوحي ، وهداية تالقي الى الحق ، وقد كنت بشرتهم حجاباً على أعين الكافرين حال دون ادراك خصوصيتهم ، فأذكروا ان يكون الرسول بشراً مثلهم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وروي عن المسيح عليه السلام ان النبي لا يمان الا في وطه وقومه ، وقال بعض العلماء في هذا المعنى : أرهد الناس في الولي أهله وجيرانه . أي لانهم قلما يرون منه لاساً وما هو مشارك لهم فيه من الصفات والمعادات . وأما ما يتأخر به من دقائق الورع والتعبد والمعرفة بالله تعالى فيه ما هو سابي لا يفتنون له ، ومنه ما هو خفي لا يدركونه ؛ ولذلك حثج في إيمان أكثر الناس بالولي قبل الارتقاء العقلي الى لآيات الكونية . وبمنه الى لآيات العلمية (كالقرآن الحكيم من الامي) ولذين يؤمنون بالرسول من بعدهم يسمعون من أخبار آياتهم وخصائصهم وفضائلهم أكثر مما يسمعون من أخبار عاداتهم وصفاتهم البشرية . وبذلك يكون تعظيمهم وإجلالهم لهم غير مشوب بما يضيف الايمان بهم من تصور شؤونهم البخرية . على ان الواجب ان يعرفوا منها ما يحول دون القو في التعظيم ، لاطراء الذي يقع به القلة الانبياء الى مقام الربوبية والالهية ، والتفرط في ذلك كالافراط . فتشيل أحوال الانبياء وشؤونهم البشرية بصفة تهذوية عليهم ، انهم أو مفضية الى ضعف الايمان والاخلال بالتعظيم المنعوع - مفسدة من المفاسد التي يحظرها الشرع ، فكيف اذا أضيف اليها كون التمثيل في حد ذاته يعد في العرف العام تعقيصاً

أو اختلالاً بما يجب من التكريم - وتكون المسلمين من عوام الناس ، وقد علمت
ما في ذلك .

(اوجه الرابع) ان من خصائص القصص النبيلة الكذب ، وان الكذب
على الانبياء افس كالكذب على غيرهم ، فاذا جاز أن يسند الى أسماء لا مسيات
لها كلام تقصد به العظة والمأثرة كما يحكون مثل ذلك عن أسنة الطير والوحش
وهو ما احتج به الحريري في فائحة مقاماته على جواز وضعه لها ، وإذا صح ان
يقاس على ذلك اسناد مثل ذلك الكلام لى أناس معروفين من الملوك وغيرهم فيما
لا ضرر فيه ولا افساد في الترتيب ولا غيره من الحقائق - اذا جاز ما ذكر وصح
اقياس فلا يظهر جواز مثله في الانبياء عليهم الصلاة والسلام ، على أن في المسألة نصاً
خاصاً لا محل للنسب مع مورده ، فقد قل صلى الله عليه وآله وسلم « ان كذبا عليّ
ليس ككذب علي أحد ، فمن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » رواه الشيخان
في الصحيحين وغيرهما من حديث سميد بن زيد ، وروي عجزه - وهو من كذب
عليّ الخ - متواتراً ، وروي أحمد من حديث عمر مرفوعاً « من كذب عليّ فهو في
النار » وهو مطلق لم يقيد بالتمعد واسناده صحيح . وقياس الكذب على غيره من
اخوانه الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام حلي فهو أقرب من قياس الكذب على الرسل
على الكذب على المعجونات الذي احتج به الحريري وأشار الى اتفاق العلماء على
جوازه . والكذب عليهم يشمل ما يحكى عنهم من أقوال لم يقولوها ، وما يسند
اليهم من أعمال لم يعملوها

فان قيل انه يمكن وضع قصة لبعض الرسل يلزم فيها الصدق في كل ما يحكى عنه
أويسند اليه ، قلنا ان القل الذي يعتد به عند المسلمين هو نقل الكتاب والسنة ،
ولا يوجد قصة من قصص الانبياء في القرآن يمكن فيها ذلك الا قصة يوسف وكذا
قصة موسى وقصة سليمان مع ملكة سبأ اذا جمل التطويل فيهن في غير الحكاية عنهم .
والأولى هي التي يرغب فيها الممثلون . ويرجى ان يقبل على حضور تمثيلها الكثيرون
وفيها من النظر الخاص ما ينافي في الوجه الثالث . وأما السنة فليس في اخبارها لمرفوعة
ولا الموقوفة ما يبالغ ان يكون قصة تصلح للتمثيل الا وقائع السيرة المحمدية الشريفة ،

والعلماء بها لا يكاد أحد منهم يقدم على جمع طائفة منها وجمعها قصة غثيلة . وإذا فتح هذا الباب ووجد منهم من يدخله على سبيل الدور لا يلبث ان يسبقه اليه كثير من الجاهلين بالسنة الثنتين لوضع هذه القصص بالاسلوب الذي يرغب فيه الجمهور فيضمون من قصص الانبياء المشتعلة على الكذب ما يكون أروج عند طلاب الكسب بالتثليل ، فيكون وضع الصحيح ذريعة الى هذه المفسدة

فلمن من هذه الوجوه ان جواز غثيل قصة رسول من رسل الله عليهم السلام يتوقف على اجتناب جميع ما ذكر من الفاسد وذرائعها بحيث يرى من بعد عمرتهم وعرفهم من المسلمين انه لا يعد ازاراه بهم ، ولا منافيا لما يجب من تعظيم قدرهم ، صلوات الله وسلامه عليهم وعلى من اهتدى بهم .

رحلة الحجاز

٨

أيام منى ولياليها و أقوال الشعراء فيها

نصوص الشرع في أيام منى

قال عز وجل (وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لَعَنِ اتَّقَى ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) أجمع العلماء على أن الايام المعدادات في هذه الآية هي أيام منى التي تسمى أيام التشريق . قيل إن سبب تسميتها بذلك أنهم بشرقون فيها لحوم الاضاحي أي يقددونها ويبرزونها للشمس . وقيل لأن الهدايا والضحايا لم تكن تنحر فيها الا بعد شروق الشمس ، وقيل هو مأخوذ من قول الجاهلية : أشرق ثبير ، كما نغير . أي ادخل ياتبير في الشروق لكي نسرع في الدفع الى منى للنحر ، ذلك بأنهم كانوا لا يفيضون من المزدلفة الى منى الا بعد شروق الشمس ووقوعها على جبل ثبير أعظم تلك الجبال ، فأمرنا بمخالفتهم بالافاضة قبل الشروق . وقيل

لأنها أيام تشريق لصلاة يوم النحر فصارت تبعاً له ، وأطلقوا التشريق على صلاة العيد وسوا مصلى العيد مشرقاً . والمجهر على أن هذه الأيام هي الثلاثة التي تلي يوم عيد النحر وأدخله بعضهم فيها ، ولكن تخيير المتقي بين التعجل في يومين أو التأخر أتما هو في أيام منى الثلاثة التي بعد يوم العيد .

ووصفت أيام منى الثلاثة أو الأربعة بالمعلومات في قوله عز وجل في الحجاج (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام . فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير) وتطلق الأيام المعلومات على أيام عشر ذي الحجة الأوائل أو القس التي آخرها يوم عرفة .

روى أحمد ومسلم والشافعي عن أبي نبيشة الهذلي قال قال رسول الله (ص) « أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » وفي رواية ضيفة عند غبرهم زيادة « وبهال » بعد شرب . وبهال والمباغة الملاعبة بين البهالين (الزوجين) ومناها صحيح فإنه يحل في أيام منى كل ما كان محرماً بالأحرام حتى التفشي ، وأتما يحل بعد طواف الإفاضة الذي تم به أو كان التسك كلها . والمراد بالاكل الاكل من لحوم الاضاحي المطلوب بقوله تعالى (فكلوا منها) وغيرها من الطيبات ، فإن هذه الايام أيام عيد وسرور شرع فيها الجمع بين لثمتين بالمباحة حتى لا يلبو بالحراب وسماع القناء وبين ذكر الله تعالى وشكره على إنعامه بها وبالتوفيق لاقامة التسك .

وشعار هذه الايام من الذكر التكبير ويستحب رفع الصوت به والاشتراك فيه عقب الصلوات وفي عامة الاوقات والامكنة فقد روى سعيد بن منصور وأبو عبيد ان عمر (ص) كان يكبر في قبة منى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون ويكبر أهل الأسواق حتى ترتج منى تكبيرا « وذكره البخاري في الصحيح تعليقا . وأصح ما ورد في صيفته ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال « كبروا : الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبريا » وروى عن الصحابة والتابعين التكبير ثلاثا ومرتين وزيادة التهليل . والظاهر ان النبي (ص) لم يأمر الناس بصيغة مخصوصة في التكبير والذكر في العيدين وأيام منى كما أنه لم يأمرهم بأذكار وأدعية معينة في الطواف والسعي والوقوف بعرفة

يأتي كل فرد أو جماعة بما شاؤا ، فلا بأس إذا بما استحدث الناس من الذكر وصيغ التكبير مما لم يرد عن السلف وإن أشار بعض العلماء إلى استنكاره لذلك كأنه يراه من البدع باستحداث صفة لمباداة تعد من الشائئ ، وهو ما سماه بعضهم بالبدعة الإضافية . وإنما يتجه هذا إذا التزموه جهرا بغير زيادة ولا نقصان ، ويتأكد إنكاره إذا صار بحيث تظن العامة أنه واجب أو مندوب بهذا الوصف . وقد ذكر الامام الشافعي في الام أن التكبير الم شروع في العيدين هو كلمة « الله أكبر » وإن التثنية في بدعه مستحب وإن لكل أحد أن يزيد من الذكر ما شاء .

وكذلك التكبير والدعاء والتضرع عند رمي الجمار ، يرمي كل حجرة بسبع حصيات مكبرا مع كل حصاة ويقف عند الأولى والوسطى فيطيل القيام يدعو ويتضرع ولا يطيل عند حجرة العقبة . هكذا كان يفعل النبي (ص) وروي تقدير قيامه (ص) عند الجمرتين إلا بقدر سورة البقرة

وكانت ذابح النبي (ص) في حجة الوداع مئة من الإبل جاء ثلاث وستين منها معه من المدينة وجاء علي كرم الله وجهه بالبق من اليمن وقد نحر النبي (ص) ٦٣ يده الكريمة فكانت إشارة إلى سني حياته الشريفة وأمر عليا فحرق البقي . وأمر (ص) بأخذ بضعة (فتح الباء قطعة) من كل بدنة فجعلت في قدر فطبخت فأكل هو وعلي منها وشربا من مرقها

كلمة تاريخية أدبية في أيام منى

سمعنا من الشريف في منى كلمة جديرة بالحفظ والتدوين ، قال : كانت أيام منى أول الاسلام من أطيب أيام الحياة — أي لما تقدم بيانه من الجمع بين اللذات الروحية والبدنية والاجتماعية — فنما قربت المواصلات بين الاقطار الاسلامية البعيدة صار ينتقل الوباء إلى المعاز مع الحاج الموبئين فيكون أشد فتكه عند اجتماع الناس في منى ، فصارت أيام منى أيام غم وكدر يعمر الناس فيها بالموئى في كل مكان ، وتعد الحكومة لها الألوف الكثيرة من الأكفان ، ونحمد الله أنه لم يمت فيها خد في هذا العام ، لا بمرض وبائي ولا بمرض عادي اه بالمعنى

أقول من الشواهد المؤيدة لهذه الكلمة التاريخية دُفعة ذكر منى في أشعار المتقدمين الفرابة والتغزل بالنساء عند رمي الجمار فيها، وندرة مثل ذلك في غيرها من المشاعر، وعند غير رمي الجمار من الشعائر، ذلك بأن ما تقدم له شرحه من تأثير الاحرام ولباسه في القلب وتأثير رؤية المشاعر العظام والعطوف بها والوقوف فيها أيضا — كل ذلك مما يصرف الحاج عن كل ما عداه، ولا يدع في قلبه فراغا واسما لغير ذكر الله، لا ذكر الحسان، ولا ذكر الاهل والولد والاخوان، فلتجلى الالهى في جميع المشاعر، أثناء اداء جميع المناسك، تجلى هيبة وجلال، الا منى فان التجلى فيها تجلى انس وجمال، ولا تنس ما ذكرناه آنفا من تحلل الحاج فيها من الاحرام، واستباحته ما كان محرما من الاعمال، وكونها أيام عید يستحب فيها التمتع بالطيبات، وزد على ذلك أن ليلاتها هي الليالي التي يكمل فيها نور القمر، وأن هواها العليلف بحبب اليك السر،

رقا بها يأبها الزاجر قد لاح سلع وبدا حاجر
ونظها تسحب أرسائها على الرأيا لا راهها ذاعر
واذكر أحاديث ليلى منى لاهدم المذكور والذ اكر

لطف نفسي ليل سلفت آه لو ترجم هاتيك الليالي
لاهل لي بمنى تمطى المنى بمنى كان من القوم انفصالي

صحبى مضوا فدامى منيلة في اثر صحبى
ما فوق المهجران سم ما فائق عن قصد ظبى
كلا ولا نادى الجوى الا وكنت انا الملبى
ولقد وقفت على منى لولا المنى لتفضيت نجبى

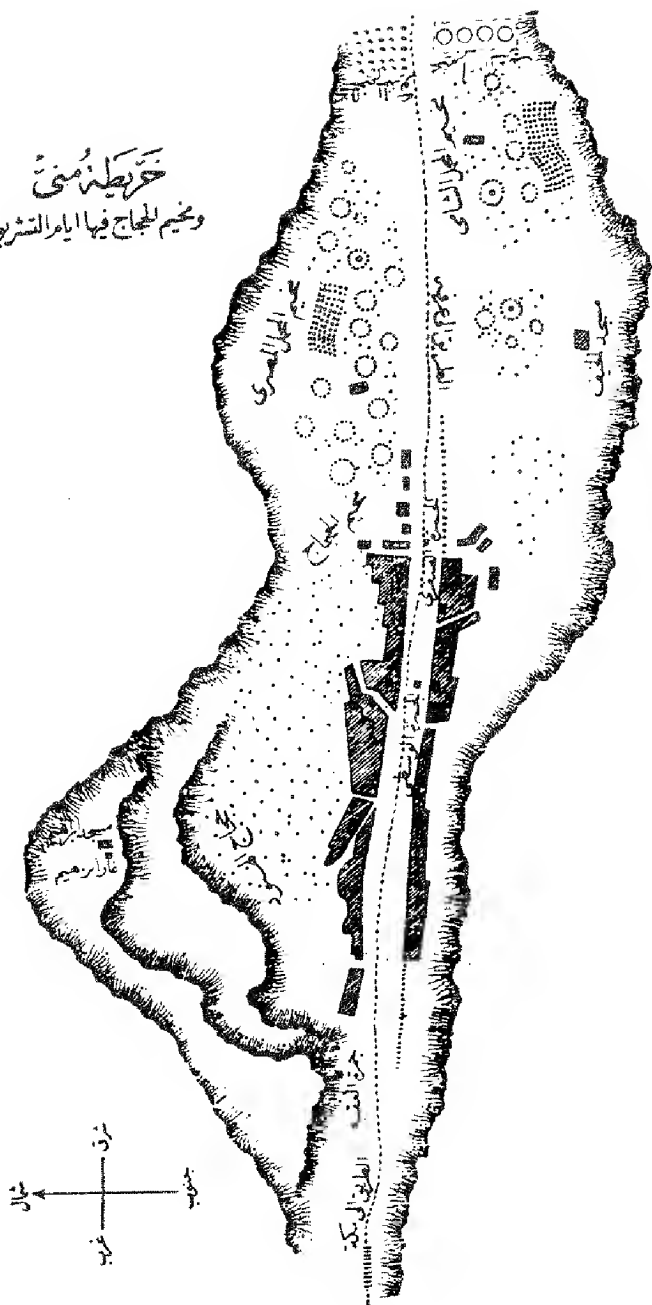
وأشعار الشعراء بالتغزل بالنساء في منى ورميهم الجمار كثيرة من أحسنها قول الشريف الرضى وهو من التغزل الخليلي التعزیه

من مُعِيدَ ليَا يا مي بحزغ السمرات^(١)
 وليالي يتجمع وريث والجرات^(٢)
 وظباء حاليات كظباء عاطلات^(٣)
 رائحات في جلاليه ب الدجا مخمرات^(٤)
 راميات بالعيون الـ نجل قبل الحصيات
 أَلَمَقَرَّ القلب راحوا أم لمقر البسات^(٥)
 كيف أودعت فؤادي أعينا غير ثقات
 أيها القانص ما أـ سنت صيد الظيات
 فأمك السرب وما رُودت غير الحسرات
 ياوقوفا ما وقفن في ظلال السلمات^(٦)
 موقفا يجمع فتيا ن الهوى والفتيات
 شاكي ما تنانا بكلام العبرات

(١) الحزغ بكسر الحيم وسكون الزاي منعطف الوادي ومنحناه والسمرات جمع سمرة وهي شجرة السمر تفتح السبن وضم الميم وهي من شجر العضاء أي ذي الشوك وشوكها قصير وورقها صغير ولها ريم أي ثمر أصفر. فوكل (٢) جمع اسم المزدلفة وذكر في هذه الرحلة (٣) حاليات مزيينات بالخلي وهن الظليات بالحجاز وعاطلات غير متحليات وهن الظليات بالحقيقة (٤) الدجا سواد الليل مع غيم يمنع رؤية القمر والنجوم - يعني يخرجن ليلا لرمي الحار وغير الرمي من حاحن فيكون الدجا سائرا لهن كالحلاب حالة كونهن مخمرات مخدوعن مبالغه في السر (٥) - كر ضمير راحوا قلما يأتي في النصيبج الا للكنية ككنية كبره في السلام على امرأة ابراهيم (ص) في سورة دود وإرادة إذهاب الرجس عن نساء النبي (ص) في سورة الأحزاب لشمول الخطاب للخبايين والخطابين ، ولعن الشاعر هنا يعني من يخرجن مع رجلهن (٦) السلمات جمع سامة فتحيين وهو من شجر العضاء فالسمر ويذكر في جزيرة العرب ، والخطاب للرجل تدب فقول في ظلال شجر السلم مدة وقوف أولئك النساء يتشاكون معهن الجوى بكلام العبرات أي الدموع الدال على ما في القلوب



حَرْطُ مَنَى
وَحَيْمِ الْجَحَاحِ فِيهَا أَيَّامُ الشَّرِيقِ



هذه الصورة رسمت لرحلة البتاني

نظرٌ يشعل منا كل عين بمِذاة^(١)
 كم نأى بالنفر عنا من غزال ومهاة^(٢)
 آه من جيد الذا ر كثير اللفتات^(٣)
 وغرام غير ماض بقاء غير آت
 فسقى بطن منى وال خيف صوب الغاديات^(٤)
 وزمانا ناثم المذ ال مأمون الومشاة
 في ليل كاللثالي بالنواني مقمرات
 غرست عندي غرسا شوق مرور الجناة^(٥)
 ابن راقٍ لرامي وطيبٌ لشكاني^(٦)

(١) يعني ان كل عين من أعين فيان الهوى والفتيات تذرف العبرات في موقعها
 ذلك حتى كان فيها قذاة تستيط دموعها وهي مايقع في العين من عصفة بن وغيرها
 (٢) المهاة البقرة الوحشية تشبه بها المرأة التجلاء لسة عينها. وحسنها ، وأشار
 بغزال ومهاة الى فيان الهوى والفتيات الذين وصف موقعهن عند الوداع كما علم
 من ذكره النفر هنا وهو الدفع من منى (٣) المراد بالداردار منى (٤) بطن منى
 وادبها والخيف سفح جبالها أي سقاها كلها ما يصبوب وينسكب من المطر في المذاة
 أي أول النهار . فالغاديات جمع غادية وهي السحابة التي تنشأ أول النهار . أو المطرة
 فيه (٥) الجناة ما يجني من الثمر والظاهر انه أراد بالمرور المر — ضد اخلو —
 وفعل المارة لازم لا مفعول له ، وانما المرور من غلبت عليه المرة وهي بالسكر
 ما يستحق الصفراء أو السوداء من اخلاط البدن . والشريف من أئمة اللغة فلا بد
 ان يكون لاستعماله مخرج اذا صححت الرواية عنه وان لم يكن استعماله حجة في
 اللغة (٦) الشكاة بالفتح ما يشكى من مرض عرض أو ألم ألم . سأل ما عزة فلا
 يوجد وهو الراقى لرامه والطبيب لسقامه ، وانما احتاج القرام للراقي دون الطبيب
 لأنه وجد نفسي روحي محتاج الى المسكنات الروحية وان وهمية . والاستفهام استفهام
 توجع ويأس

ومن التفرل الخيالي في منى وغيرها من معاهد النسك وأعماله ما قلته أبو محمد عبد الله بن محمد التنوخي في قصيدته التي مدح بها ثقة الدولة يوسف بن محمد بن الحسين القضاعي صاحب صقلية الروم وهو:

ولما التقينا محرمين وسيرنا بلبك ربنا والركائبُ تعسف^(١)
نظرتُ إليها والمطيَّ كَأَنَّمَا غواربها منها معاطسُ رعف^(٢)
فقال أَمَا مَنَكُنْ من يعرف الفتى فقد رابني من طول مايتشوف^(٣)
أراه إذا مرنا يسير حذاءنا ونوقف أخفاف المطيَّ فيوقف^(٤)
قلت لربيبها أبلغها بأني بها مستهام قلنا تناطف^(٥)
وقولا لها يا أم عمرو أليس ذا مني والمنى في خيفة ليس يُخَفَّ^(٦)
تقاءت في أن تبذلي طارف الوفا بأن عن لي منك البنانُ المطرف^(٧)
وفي عرفات ما يخبر أني بعارفة من عطف قلبك أسمعف^(٨)

(١) قوله وسيرنا بلبك ربنا . معناه ان سيرهم ملابس ومصحوب بالبلية المعروفة . وعسف الركائب خبطها في السير على غير هدى لعله لشدة الزحام أو في السرى ، يقال يات فلان يعسف الليل اذا خبطه في انتفاء طلبته (٢) الغوارب جمع غارب وهو الكال أو ما بين السنام والعنق ، والمعاطس الأنوف والرعف الرواعف أي التي يسيل منها الدم ، والمراد ان الغوارب جرحت من طول السير والاقتاب عليها حتى كان منها أنوف راعقة (٣) رابه أوقفه في الرية وهي الشك والتهمة ، والتشوف الى الشيء التطلع اليه ، أي ان تطلعهم لإدماهم بالنظر اليها حملني اتهمه بأنه يعتمد ذلك لأمر ما في نفسه ثم سرت ذلك تشريف لصراحها بسيره حذاءهم إذ سرن ووقوفه اذا وقفن (٤) الترب بكسر التاء وسكون الراء اللذة وهي بالكسر من ولد مكل فترباها رفيقان لها من سنها والمستهام من جعله الحب كالهائم في الفلوات لا يهتدي سبيلا الى النجاة (٥) شرع يستميلها بالتفاؤل بنيل مودتها مستنبط له من أساء الامكنة وغيرها على طريق السيافة التي تذكر في الآيات ، وبدأ بذكر منى لحملها فالأ بيل المنى وهو جمع منية (بوزن غرف وغرفة) ومعناه ما يتمنى وقد تقدم ان خيف منى سفح جبلها (٦) طارف الوفاء حديثه وجديده والبنان الاصابع وقد يخص بالمقد العليا منها واحدها بنانة والمطرف المنحسوب بالحناء (٧) العارفة المعروف في المعاملة المراد من حديث « من أسدى اليكم معروفا فكأنه » والاسماق بالحاجة قضائهما

وأما دماء الهدى فهي هدى لنا يدوم ورأي في الهوى يتألف^(١)
وتقبيل ركن البيت إقبال دولة لنا وزمان بالمودعة بعطف
فأوصلنا ما قلته فتبسمت وقالت أحاديث العيافة زخرف^(٢)
بعيشي ألم أخبر كما أنه قى على افطه برز السكلام المقوف^(٣)
فلا تأمنا ما سطعما ككيد نسقه وقولا تتري أينما اليوم أعيف^(٤)
إذا كنت ترجو في منى القوز بالمنى ففي الخيف من إعراضنا نتخوف
وقد أندر الإحرام أن وصالنا حرام وأنا عن مزارك نصديف^(٥)
وهذا وقد في بالحصى لك مخبر بأن النوى بي عن ديارك تهديف^(٦)
وحاذر نفاري ليلة النفر انه سريع ، فقل من بالعيافة أعرف^(٧)

(١) الهدى بالفتح مذهبى الى الحرم من الانعام وهي ذبائح النسك والهدى بضم ففتح الدلالة على المطلوب بلطف والايصال اليه كذلك وهو ضد الضلال والمراد ان كلمة الهدى بالفتح هل دال على تواصل دائم لنا (٢) العيافة التناول أو التشافى بحركات الطير ومساقتها وأسماها . هذا هو الاصل ثم توسعوا فيه بمثل ما ترى في هذه الايات والزخرف والزينة والتزيق تمنى انها من زخرف السكلام لا من الحقائق كقوله تعالى (يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) وفي حديث قبيصة عند أبي داود « العيافة والطيرة والطرق من الخبيث » أي من الخرافات كالكهانة والسحر والحديث صحيح السند (٣) البرد الثوب الخطط والمقوف الرقيق ، وتضمن به لطافة كلامه وحسنه وكونه يتم عما وراءه (٤) أعيف اسم تفضيل من العيافة . يقال عاف الطير يعيقها اذا زجرها وتطير بها وهو ما تقدم آنفا (٥) نصديف تعرض (٦) أي وقد في الحصا في رمي الجمار مخبر لك بأن النوى أي البعد أو وجهة السفر (وهي مؤنثة) ترمي بي في مكان بعيد عن ديارك (٧) (٧) النفار والنفور مصدر نهر (من باب نصر وضرب) وهو الشرود بسبب مزعج ومنه نفار الظبي والدابة والنفر للقتال . والنفر التفرق . ويوم النفر وليلة النفر هو يوم ينفر الحاج من منى وهو ثاني أيام التشريق لمن تعجل ويسمى النفر الاول وثالثها لمن تأخر ويسمى النفر الثاني

فلم أر مثلينا خليلي مودة لكل لسان ذو غرارين مَرَهْفٌ^(١)
وعا قيل في أيام منى وليلها مارواه صاحب الأغانى من معبد المنى الذي يضرب به
المثل قل أنيت أبا السائب المخزومي — وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة —
فلما رأني نجهوز أي خفت الصلاة وقل ماملك من ميكات ابن مرجع ؟ قلت له :

ولمن بالبيت القتيق لبانة والبيت يعرفن لو يتكلم

لو كان حيا قبلين ظمانا حيا الحطيم وجوهن وزمزم

لبثوا ثلاث منى نزل غبطة وهو على صفر لعمرك ماهو

متجاوزين لغير دار إقامة لو قد أبداً تفرق لم يندموا

فقال لي غنه ففتيته ثم قام يصلي فأطال ثم نجهوز إلي فقال ماملك من مطرباته
ومشحياته ؟ فقلت قوله

لسنا نبالي حين ندرك حاجة ما بات أو ظل الطلي مقفلا

فقال لي غنه ففتيته ثم صل ونجهوز إلي وقال ما ملك من مرقصاته ؟ فقلت

فلم أر كالكجبر منظر ناظر ولا كالبالي الحج أقتن ذا هوى^(٢)

فقال كما أنت حتى انمر لهذا بركتين

وأما التغزل في نساء معروفات في وقائع ومشاهد كانت هنالك فكثيرة لزيد

النساء الشهير عمر بن أبي ربيعة الشاعر القرشي كثير — منها قوله في أيام منى

ما أنس لا أنس يوم الخيف موقفاً وموقفي وكلانا ثم ذو شعبين

وقولها لأمرها وهي باكية والدمع منها على الخدين ذو صحن^(٣)

(١) أي لكل منا لسان ذو حدين مرهف من أرهف السيف إذا رقق حده ،

وبعني بتراري اللسان قدرته على جعل الكلام الواحد على وجهين متقابلين متضادين

كجعل أعمال النسك ومواضعه للتفاؤل وللنشاؤم فهو كالسيف ذي الحدين

(٢) الشعر لعمر بن أبي ربيعة وأما لابن جريج الصوت : والتججير رمي الجار

وأفتن بالهمزة كفتن من الفتنة وهو لمة نجد وفي نسخة ديوان عمر الطليعة أفتن

(٣) السن بالفتح الطرق وهي مجازي اللمع

بالله قولي له في غير متبنة ماذا أردت بعارض المكث في اليمن
ان كنت تطلب دينا أوردت بها فاأخذت بترك الحج من عن
قل ابن سريج المغني ما ظننت ان الله عز وجل ينعم أحدا بشعر عمر ابن أبي
ربيعة حتى سمعت وأنا باليمن منشدا ينشد قوله : بالله قولي له - اليتيم - فخركي
ذلك على الرجوع الى مكة فخرجت مع الحجاج وحجبت

وقد كان عمر مفتونا بالفناء وحديثهم ولم تكن هية بيت الله وسائر المشاعر الشريفة
لتصرفه عن مغازلتهم حتى في أثناء أداء المناسك لانه وهو مكى قد ألفها واعتادها
والأفاقيون أشد هية وخشوعا هناك من الحرمين في الغلب . وما روي عنه في
كتاب الاغانى أنه بينما كان يطوف رأى امرأة من أجل النساء فوقت في قلبه فدانها
فكلمها فلم تلتفت اليه فمأودها في الليلة الثانية قالت اليك عني يا هذا فأنك في حرم الله
وفي أيام عظيمة الحرمه فألح عليها بكلمها حتى خافت ان يشهرها فلما كان في الليلة الثالثة
جاءت بأخبا معها الى الطواف فلما رأى عمر أخاها معها عدل عنها . قالت يقول جرير
تعدو الذئاب على من لا كلاب له ونقي صولة المستأد الضاري

وروي ان المنصور حدث بهذا الخبر فقال : وددت انه لم يبق فتاة في خدرها
الا سمعت بهذا الحديث . أقول وهو شاهد على حكمة الشرع في حظر الفرع على
المرأة الامم ذي محرم . هذا وان شعر عمر يوم انه كان من أفق الفساق ولكن
روى صاحب الاغانى عنه انه حلف في مرض موته بالله انه ماركب فاحشة قط ولا
كثت ثوبا عن حرام قط ، وحلف مرة بعنق كل مملوك له على ذلك وكان له في
الحوك وحده سبعون عبدا .

وما روي عن غير عمر في هذا الباب تشيب التيمري يزيف التفتية . ذلك
أن يوسف بن الحكم التفتي والد الحجاج المشهور كان قد اعتل في بلده (الطائف)
فبذرت بنته زينب لتحجن ماشية ان عوفي ، فموفي فخرجت في نسوة يقطعن بطن
وَج (أي بطن رادي وج) وهو ثلاث مئة ذراع في يوم جملة مرحلة ثقل بدنها
ولم يقطع ما بين مكة والطائف الا في شهر ، وكان محمد بن عبدالله البهري الطائي
يهواها فقال في حجبها أياتا منها :

تصوّع مسكابطنُ نعان إذ مشت به زينب في نودة عطرات (١)
تهادين ما بين المحصب من منى وأقبلن لاشمسا ولا غبرات (٢)
أعان الذي فوق السموات عرشه مواشي بالبطحاء مؤنجرات (٣)
مردن بوج ثم رحن عشة يلين للرحمن مستبرات
يخبئ أطراف البنان من التقى ويقتلن بالالفاظ مقتدرات (٤)
وليست كأخرى أو سمت جيب درعها وأبدت بنان الكف لاجورات
وعلت بنان المسك وحفا مرجلا على مثل بدر لاح في الظلمات (٥)
وقامت تراءى يوم جمع فأفنت برؤيتها من راح من عرفات
وقد أراد الحجاج أن يفتك بالنجيري لتشبيهه بأخته لولا أن منعه منه عبد الملك
وكتب إليه أن لا يسيل له عليه على أنه ما وصفها هي وصاحبها إلا بالتقى

وعلى ذكر أبيات النجيري فيمن توسع جيب درعها وترفع يدها عند رمي الجمار
لبرئ ساعدها ، وتراءى يوم جمع أي عند انصراف الناس منها صباحا إلى منى
لتفتن من أفاض إليها من عرفات — على ذكرها تقول لأعجب إذا وجد في النساء
المفتونات بمجانلهن من نحب أن تظهر جمالها في تلك المهادد الشريفة كما وجد في
الرجال مثل عمر بن أبي ربيعة الذي يخرج إلى الحج ليغازل النساء ، ولكن هذا نادر
وأكثر الشعر فيه نخل ، ومنه قول المرجي الشاعر من أبيات كانوا يتغنون بها :

أما طت كساء الخنز عن حرّ وجهها وأدنت على الحدين برد أمهلها (٦)
من اللاء لم يحصهن يمين حسبة ولكن ليقطن البري المغفلا (٧)

روى أبو الفرج عن عبد الله بن عمر العمري قال : خرجت حاجا فرأيت امرأة جميلة

(١) تصوّع فاحت رائحته ، ووطن نعان أي وادي نعان وهو بين الطائف ومكة ويروى
حرف التافية خفرت والحفر شدة الجلاء (٢) المحصب موضع بين مكة ومنى (٣) مؤنجرات
ملايات الإبل (٤) ويروى يخبئن بدل يخبئ والمصراع الثاني * ويخرجن جمع الليل معجرات
أي منافعها للمعاجر على رؤوسهن (٥) البنان بكسر الهمزة وهو بالفتح وهي الرائحة الطيبة والبل
متابعة التي ، وأصله متاعة السقي ، ولوحف الشم الكثرة الحسن والمرحل من الرحيل وهو تسريح
الشعر بالمرجل أي المشط ، أي وعلت رائحة المسك منها شعرا اثبتا حسنا مرصفا قوجه بلوح
بينه كالدر في الظلمات (٦) البرد الضم ثوب محطط والمهلل الرقيق النسيج والواهي أي برد
لا يستر الوجه لرقته ولوله من الهل بالتحريك وهو نسيج المنكوب (٧) الحسبة بالضم والاعتساب
في السيل اعتداده ذخرا عند الحاجة ، والمظن من لافظة له يفتني فتنة النساء

تتكلم بكلام رفعت فيه فأدريت ناقي منها ثم قلت لها يا أمة الله ألست حاجة؟ أما تخافين الله؟ فسفرت عن وجهه يبهر الشمس حسنا ثم قالت : تأمل يا عمي فأنني ممن عفى العرجي بقوله من اللاء لم يحجبني ببغين حسبة ولكن ليقتلن البريء المغفلا
قال فقلت لها : فاني أسأل الله أن لا يذب هذا الوجه بالنار . قال وبلغ ذلك سميد ابن المسيب فقال : أما والله لو كان من بعض بغضاء أهل العراق لقال لها : اعزبي قبحك الله ، ولكنه ظرف عباد الحجاز (قال أبو الفرج) ورويت هذه الحكاية عن أبي حازم بن دينار — وذكر حكاية أخرى في معناها فيها أن أبا حازم قال لأصحابه : أدعوا الله لهذه الصورة الحسنة ان لا يذبها بالنار . وأبو حازم من كبار عباد التابعين . وكان عباد العراق ولا سيما أهل البصرة منهم مشهورين بالشدة في العبادة والزهد ومنهم خرج أكابر الصوفية

وإنا نختم هذا السياق بخبر أبي نواس فاسق الشعراء فقد روي أنه كان بهوى جارية لأحد التقيين بالبصرة اسمها جنان وكانت حسناء أدبية عاقلة ظريفة تروي الأشعار وتعرف الأخبار فقبل له يوما أنها عزمته على الحج فقال أما والله لا يفوتني المسير معها والحج عامي هذا ان أقامت على عزيمتها ، ثم سبقها الى الخروج وقال بعد هودته :

ألم تر أنني أفيت عمري بمطلبها ومطلبها صبر
فلما لم أجد سببا إليها يقربني وأعتني الأمور
حججت وقلت قد حججت جنان فيجمعني وإياها المسير

وروى صاحب الاغانى من خبر حججه عن شمه وقد أرم أنه لما جنة الليل
جبل يابى بشر ويحدويه ويهرب نفى به كل من سمعه وهو قوله

الحناء ما أهداك ملكك كل من ملك
ليك قد لييت لك ليك إن الحمد لك
والملك لا شربك لك والليل لما أن حلك
والساجات في النلك على مجاري المنسلك
ماخاب عبد أملك أنت له حيث سلك
لولاك يارب هلك كل نبي وملك
وكل من أهل لك سجع أو لبي فلك

يا مخطئاً ما أضللك هبل وبادر أهلك
واختم بخبر عملك ليك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك والعز لا شريك لك

والعبرة في هذه الوقائع والاشعار من وجوه (منها) أنه يدل على أنه لا يمكن أن يجتمع النساء والرجال الكثيرون في مكان ينظر بعضهم إلى بعض إلا ويكون المازلة النساء بالكلام أو بالنظر نصيب فيه كما قال عمر بن أبي ربيعة في أبيات مقصورة

ومن مالى عينيه من شيء غيره إذا راح نحو الجرة البيض كالدمي
وإذا كانت معاهد الحج لم تحل من المازلة والتغرل في أول عصر الحضارة لاسلامية وأول العهد بتحجب النساء والدين لم يزل في قوة سلطانه على الأرواح حتى أن أشد المتفرجين اسرافاً في الخلعة وممازلة النساء لم يرتكب في عمره فاحشة لما ظنك في غير هؤلاء. وأمثالهم وفي أهل هذا الزمان في غير تلك المعاهد؟ قال لي بعض القسيسين قد مات لدين ولا يقصد الناس المعبد إلا للمازلة النساء.

(ومنها) أن أقوال الشعراء في معاهد الحج وآيامه وأعماله مما يشوق القلوب إلى تلك البلاد كما وقع لابن مريح في لبن ولاجله كتبت هذا الفصل من الرحلة وأنني وجدت نفسي في أيام كتابتي لهذا الشعر فيه شديدة الشوق إلى الحجاز ومشاه وليالي عرفة والمزدلفة ومنى ، على أنني استمت من المازلة والتغرل في شيء ، ولم أر هناك ولم أسمع عن أحد شيئاً من ذلك وفيه الحمد

ولكنني أذكر في الكلام على هذه العبرة كلمتين لناقلين معربين كأننا مصافي الحجاز (أحدهما) قول أنقى الرجلين وأحسنهما تدنياً وهو محصن أنه رأى في بيتي امرأة في نفذة دار مقابلة للدار التي كان فيها تحمل منظرًا تنظر فيه فتوم أنها تنظر إليه فاشتمل قلبه بذلك مدة وجوده في منى (والثانية) قول الآخر وهو أعزب: أنني لم أر في الحجاز امرأة وسيمة يشتكي المراءن بعيد إليها طرفه فدل هؤلاء من نساء العرب اللواتي شربهن الشعراء ذلك التشبيب القاتن الذي يجبل لقارته ابنه أجل نساء الأرض؟ وباليات شمري كيف كان يكون غرلهم ونشبيهم لو كان في ناسنهم من الجمال ما نهض في الآستانة وفهرها؟

بِئْسَ الْحِكْمَةُ مِنْ بَنَاءِ مَنْ يَبْنِي الْحِكْمَةَ لِلْهِ
أَوْفَى غَيْرِ الْكُتُبِ وَأَبْأَضْعَكَ الْأَوَّلِ الْأَوَّلِ

المسحاة

١٣١٥

هَشْرَ عَادِي الدِّينِ يَسْتَهْوِي الْقَوْلَ يُجِبُّونَ أَجْمَعَهُ
أَوَّلُكَ الدِّينِ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأَوَّلُكَ هُمْ أَوَّلُ الْأَوَّلِ

قال علي الصلاة والسلام : ان لاسلام سوى و «منارا» كنار الطريق

٣٥ شعبان ١٣٣٦ — ١٨ الجوزاء (٣) ١٣٩٦ هـ ش ٩ مايو ١٩١٨

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

يكثر ذكر المتفرنجين في المنار وغيره ، والتفرنج مشتق من اسم الافرنج أو الفرنجة ، وهذه الصيغة نبتى لمان (منها) التكلف كتجد فلان وتجمع ونفخ ونفخ ونفخ والشراب اذا تكلف الجلد والشجاعة والخشوع وشرب ما يكره و(منها) تحصيل الشيء بالتدرج كعلم الحساب . وكل من هذين المعنيين ظاهر في استعمال كلمة التفرنج وما يشتق منها فالمتفرنجون هم الذين يقلدون الافرنج فيما يستحسنون من العادات وغيرها بالتكلف أولاً ثم يتوسمون في ذلك بالتدرج ، حتى انتقل بعضهم من التقليد في مشغصات الامم التي تقوى بها روابطها كالعادات في الازياء والاكل والشرب وآداب المجلس الى ما هو من مقوماتها التي تبقى بقاءها ونفسي بقائها كاللغة والدين والشرعية وأصول الآداب والروابط الاجتماعية المنزلية والقومية

وهؤلاء المتفرنجون فريقان (أحدهما) من كان تفرنجهم أثر التعليم المصري والثرية الافرنجية التي حبيت اليهم مالفنوه وتربوا عليه من مقومات القوم ومشخصاتهم قبل أن يلقنوا مالا منهم من ذلك وتربوا عليه كما يحب فكانوا كما قال الشاعر :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف فلها خاليا فتمكنا

(وثانيهما) من يتفرنجون تقليدا للفريق الاول من قومهم الحكام والاعنياء تهربا اليهم ، وانتظاما في سلوكهم ، وتمتعا بمثل زينتهم ولذتهم ، فهم مقلدة المقلدين ، بغير شبهة ولا دليل ، انما كان سبب فشوهذا التفرنج في المسلمين المدارس الافرنجية والمدارس الوطنية الرسمية وغير الرسمية ، التي أنشئت لتقليد الافرنج في تربيتهم وتعليمهم بغير بصيرة ولا علم بموضع الحاجة ، على حين كان العلم بمقومات الامة الاسلامية ومشخصاتها قد قل وضعف بضعفها السياسي والاجتماعي ، وما بقي منه أمسى مشوبا بما ليس منه من البدع والدخيل ، وسأت طريقة تعليمه وأهملت فكرة التربية عليه بالتخلق والعمل ، وقد قلت في المنار غيره مرة اني لا أعرف في الدنيا مدرسة تعلم فيها اللغة العربية التعليم الفطري الذي به تكون ملكة في السنة المتعلمين بحيث فهمون كلامها الفصح في كل كتاب ، ويقدر على الاتيان به محاوره وخطابه وكتابة

بغير تكلف، كما تعلم اللغات الافرنجية في بلاد أهلها، ولا على مقربة من ذلك كما تعلم في بلادنا، ولا أعرف مدرسة يعلم فيها الاسلام تعليما يفهم به كتابه وسنته وما فيها من العقائد والاحكام والحكم والآداب فهم اصحيتها يتمكن به المتعلمون من بيانها بالقول والكتابة، وثابت قضاياه والدفاع عنه بالدليل والحجة، ولا مكانا يثرى فيه النشر على أخلاقه وآدابه العالية، وانما المدارس الاسلامية التي تدرس فيها العربية والدين معاهد تصالج فيها كتب في فنون العربية والعلوم الشرعية مما صنف بعد ضعف العلم الاستقلالي أو موته قليلا يوجد فيها من وضع الائمة المجتهدين شيء، ولكن يقرأ في بعضها قليل من كتب التفسير والحديث بقصد التبرك الذي لا يعقل معناه لا بقصد الاهتداء. وكل ما يقرأ من الكتب في مدارس البلاد العربية يفسر بالامة العامية، وفي مدارس البلاد الاعجمية (كالمند والفرس والترك) يترجم بلغاتها

في أثناء هوي الامة الاسلامية في هذه الهاوية من الجهل من عدة قرون كان الافرنج يصمدون في مراقب العلم الاستقلالي والتربية الاجتماعية على علم ونظام، يهتدون فيه بسنن الله في خالق الانسان والاكون، وقد جعلوا لكل علم وكل فن واسكل صناعة وعمل جماعات تتنى بتقريبه واتقانه، حتى إن الجمعيات الدينية فيهم تملك ألوف الألوف من النقود الذهبية. ولكن كان جل ارتقاءهم في العلوم والفنون المادية والمالية والحربية وطرق استعمار الممالك واستخدام الشعوب لمنافعهم، وأقله في الفضائل الدينية والأدبية التي ترجح الحق على القوة، والمثل على الشهوة، حتى خاف عاقبة ذلك عليهم، كما أنهم وعقلاؤهم، وقال أكبر وأشهر فيلسوف اجتماعي فيهم وهو هيرت سينسر، لا أكبر وأشهر حكميم فينا وهو الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده - ما معناه : ان ضعف الفضيلة وتغلب الافكار المادية على أوربة استدعها (أي تدفعها بتغلب) الى حرب مجتاحة يظهر أي أممها الاقوى فيسود العالم .

« إن الانسان ليطغى أن رآه استغنى » وانه ليغني أن رآه قوي واستغنى ، وان مظاهر الغنى والقوة اغراء خداعة ، فالفقراء يظنون الاغنيا، وان منعموم رفدوم، وهضموم حقهم ، والضعفاء يخضعون للاقوياء، وان أرهقوم عسراء، واستذلوم عدوانا وظلما، ولا يزال بعض الشعوب على أرث مما من سلفهم الذين عبدوا الملوك واتخذوم

ألله وأربابه، وإن زالت تلك الدعوى وعفت مظاهرها الباطلة، فيظهر أثر هذا الأثر في كثير من أفرادها، وإن تبوءوا مقاعد الرياسة فيها، وأما ولوع الأمم المغلوبة على أمرها بتقليد الغالبين في كل ما يسهل التقليد فيه من العادات وشؤون الحياة، فهو سنة من أظهر سنن الاجتماع، وقد بسط الكلام فيها حكيمنا ابن خلدون في مقدمته فهي لا تخفى على قراء العربية، الذين يمتنون بالأمور الاجتماعية، والتقليد في الأمم كالقائد في الأفراد هو توطئ النفس المقلد على أن يكون تابعا للمقلد في بعض ثمرات اجتهاده، غير طامع في مساواته، فهو يستلزم تعظيمه له واحتقاره لنفسه وقومه.

إن المقلد لا يتركها متركها في الضمف يخط في ليل دجوجي قد يشبه أمر بعض المتفرجين بما يدعوا إليه المصلحون من الاعتبار بما أوتي الإفرنج من العلوم والفنون وما أتقوا من الأعمال، والبحث في أسباب ذلك وطرقه، والاستقلال في اقتباس ما يحتاج إليه أمتهم منه، تقوى به وتكون أمة عزيزة قوية مثل أمهم، وأما تقوى الأمة إذا حفظت على ما كانت به أمة كالأمة والآداب والعادات والشرائع التي تمتاز بها، وإذا كان بعض العادات باغلاضار في ديني رآته وتغيره بالحكمة والموعظة الحسنة، والتربية العملية للأمة، بشرط أن لا يشوب ذلك شيء من تحقير الأمة في أنفس أهلها، ولا إذلالها بشعارها باستعلاء غيرها عليهم، وإن لا تحمل على تقليد أجنبي عنها، وأما تلقن الحكمة مع قناعتها بفضلها ونفعها، بأنها يجب أن تكون أحق بها وأهلها، كما ورد في حديث أبي هريرة عند الترمذي «الحكمة ضالة المؤمن فببث وجدها فهو أحق بها»، ومن المتفرجين من يدعي هذا الإصلاح، ويقول أنه صادق لأنه لا يميز بين الإصلاح والافساد، ومنهم من يدعي بعض الكذب والرياء، (ومن الناس من يمجك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله ما في قلبه وهو ألد الخصام) وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد ويهلك الحشر والنسل والله لا يحب الفساد.

إن الفرق بين المتفرج والمقلد وبين المصلح المستقل مما يخفى على غير العارفين بالحقائق، ومن هؤلاء العارفين لورد كرومر الذي كان عميد انكسنة في مصر، وقد بين في كتابه مصر الحديثة من فضائح المتفرجين المصريين ما فيه أكبر عبرة لمن يعتبر منا، وإن كان لم يكتبه لاجلنا، ولا نحن عرفنا كيف نستفيد منه، وقد أشار إلى

مذهب المصلحين الاسلاميين فيما يستحدثون لقومهم من شؤون الحضارة بما قاله في أحد تقاريره عن مصر عند ذكر وفاة الاستاذ الامام ، وهو ان الشيخ وحزبه المعتدل بشرطون في ذلك المحافظة على اصول الاسلام ، خلافاً لمن لا يبالون في هذه السبيل بالدين ولا ما دونه من مقومات الامة التي نشأوا فيها . ولا يرجى من أجنبي غير مسلم أن يقول في كلمة استطردية أكثر من هذا في بلد له السيطرة على حكومته ، فجل من تعتمد عليهم حكومته من رجالها هم المتفرنجون كما بين ذلك اللورد نفسه في كتابه (عباس الثاني)

المتفرنجون أصناف فمنهم المعتدلون والغلاة ، ومن الغلاة المارقون من الدين الذين يحاربون أصوله وقروعه ، وينشئون سموم الكفر والفسق في أهله ، والمارقون الذين لا يحبون أن يعرف حالهم ، فلا يتكلمون في أهل الدين ولا يحبون أن يتكلم هؤلاء . فيهم ، اما لاعتقادهم ان فسق الكفر مفسدة تزيد منهم ضعفاً وفساداً ، واما لكراهتهم للخوض في أمثال هذه المسائل وما تجره من القيل والقال ، ومن المعتدلين الثابتون على عقيدتهم التي نشأوا عليها ، والذين لهم ضرب من الآراء الجديدة فيها ، وانما تفرنج هؤلاء في أبدانهم ، لا في عقولهم ووجدانهم ، ولا نحاول استقصاء ما يكون به التفرنج وأصناف أهله في أفراد بل نقول بالاجمال انه قسمان صوري ومعنوي ، ظاهري وباطني ، والمعنوي الباطني ، يستلزم الصوري الظاهري ، وأما هذا فلا يستلزم ذلك ولكنه يؤثر فيه بعض التأثير ، فكل منهما يمد الآخر في ذلك وفي غيره ويستمد منه ، لذلك نرى بين أصحاب كل قسم من التعارف والتآلف ما لا يتجده بينهم وبين المخالفين اكل منهم ، فهو لذلك يسري في الامة سر يانا تدريجياً لا يشعر به الجمهور ، وإنما يفتن له الافراد من المارقين بشؤون الاجتماع المراقبين لسير الامم وتقلبها وما يطرأ عليها من التغيير

أما ما يشعر به الجمهور ويتألم له من بعض شذوذ الغلاة من هؤلاء المتفرنجين وجهر بعضهم في انكار ما عليه الامة من العقائد أو العادات المحترمة فثله فيه كثر العامي الجاهل الذي يصاب بالداء الافرنجي ، يتألم اكل قرحة تعرض له من أثر الداء ويطلب لها الدواء ، ولكنه لا يعرف خطر الداء في عاعة بذنه ، ولا فطرته في

تسميم دمه ، ولا يطلب له العلاج في غير أوقات التألم من الاعراض الحادثة ، ولا يصبر على تناول الادوية التي يرجى أن تنقي دمه من ذلك السم في الزمن الطويل ترى هذا الجمهور الذي ضربنا له المثل يصبح ويشكو قولا وكتابة عند كل صوت يجهر بمخالفة دينه وآدابه وعاداته: فلان كفر ، فلان فجر ، وأما العالم بشؤون الاجتماع فهو كالعالم بالطب أو بحفظ الصحة كلاهما يهتم بالعلل العامة وأسبابها والعلاج الذي يستأصلها لا بأعراضها الذي تظهر تارة وتخفى أخرى . وبالنسبة للجمهور ينزع الطبيب الاجتماعي الذي يستصرخه عند كل صيحة تؤلمه من مهاجمة في عقائده أو غيرهما من مقوماته الملية كما ينزع مريض البدن طبيب الابدان ، إذا أسهل التوقي من خطر هؤلاء الذين تقطعت الاسباب وانفصمت العرى التي تربطهم بأمتهم وتعذر عليهم الاتصال بأمة أخرى يكونون أعضاء حية فيها فقد جمهورهم الشعور بالحياة القومية والملية ، فأسمى لاهتم الابدانه الشخصية ، ومنها أن يكون محزوما مكرما بين من يعيش معهم ، فهو يدعوهم إلى أن يكونوا مثله مدعيا أن ذلك خير لهم ، كما أنه يكون عوناً لكل ذي سلطان عليهم ، يساعده على كل ما يريد منهم ، ومن دون هذا الجمهور أفراد يميز عليهم أن لا يكون لهم أمة فهم لشدة حاجتهم إلى الأمة التي انفصلوا منها في الباطن يريدون أن يجذبوها إليهم ويجعلوها أمة أخرى بمقومات ومشخصات مذبذبة لاهي اسلامية صحيحة ، ولا هي أفريقية خالصة ، ليكونوا أعضاء رئيسة لها في هذا الحلق الجديبد المتخيل ، بعد أن صاروا فيها كالأعضاء الاثرية أو زوائد الاظفار والاشعار التي جرت العادة بقصها وإلقائها ، وهؤلاء الافراد الذين يفكرون في تكوين الامم قليلون ، ولكن الذين يلغطون بهذه الالفاظ كثيرون ، ولم يظهر في متفرنجيننا فرد صالح لتكوين أسرة صالحة أو أسيدس جمية نافعة ، فأين هم من أفناء أمة كبيرة وعاداتها خلفا جديدا ؟ لأنهم بضعف الامة في نفسها وبمعاودة القوى الغربية لهم عليها ، ليستطيعون شيئا من الهدم دون البناء ، ومن الامانة دون الإحياء قلنا ان جمهور المسلمين يشكو ويتألم من كل صوت يسمعه من هؤلاء الذين يدعون ارادة اصلاحه واحيائه ، وإنما يشكو من أعراض الداء لا من سمه وأسبابه ، ويقول أيضا انه كلما سمع صوتا منكرا من تلك الاصوات ، يفرغ إلى من يثق بهم ،

من العلماء والكتاب : انصروا الدين ، ودوا على المحدثين ، ويقنع كل ما يقال ويكتب بعنوان الرد ، وان كل من قبيل الطعن والسب وقد سمع في هذه الايام صوت من هذه الاصوات ، ولا حالة الحرب وما انتفضه من طرفه عن المشهورات ، كان جهرا يشكوى منه ، ضمه ف ما عهد في ثمنه ، ذلك صوت رجل من أعضاء القبية ، أتى على جمهور عظيم من رجال النصارى ، وبخطبة ، ثم طبع في رسالة ، وروى على رأس كفة ، موضوعه وضم قاعدة اصلاح قانون لاجور شخصية من غير اصول شرعية لاسلامية ، وقد دلف به بعض فضلا في الغناء ، وكنى في موجب ذلك مجرد اطلاعت عليه ، وبك سلكه في ذلك ، سلكا ، سلكا ، ولا نقول في شخص وضعه شبهة ، وان عرض ان الحق في نفسه ، ومن عرف الحق عرف أهله ، وموعنا الجزء لا في ن شدة ، بل في

نقد ذكرى المولد النبوي

لصاحب الامضاء الرمزي

(الموضع الاول) في صفحة (٥٥) من المقدمة حققتم ان عمل المولد بالشكل المعروف بدعة وانكم تنحاضون عن عمل شيء باسم المولد فاحسبتم وأجدتم . ثم ذكرتم ان البكري دعكم فتوسلتم باجبة الدعوة الى تنفيذ فكرة استبدال الضار من الموالد بالذم — فهل هذه الفكرة غيرت حكم هذه البدعة وأخرجتكم من المحدثين ؟ لا أظن ذلك بل لا أرى وضع المولد يليق بأمثالكم — القائلين بالاصلاح ومحاربة البدع وخصوصها على الصورة التي طبع عليها محتوما كل فصل منه بالصلاة البتراء فلو اكتبتم بنشره في المنار مع الارشاد الى جعل ثلاثه بصورة الخطابة اربعا كان أنسب ، وعن الصورة المألوفة أبعد

(الموضع الثاني) في أول الصفحة الرابعة من ذكرى المولد ذكرتم ما نقله : كيف

(*) في الاصل صالحة في كل موضع من الرسالة فابدلت في المطبعة بصفحة

كلن اصطفا الله تعالى لهذه الاصول من الامة العربية الذي ثبت في صحيح مسلم وغيره من كتب السنة وماذا امتزقوا من خاتم الرسل الخ . العبارة في ذوق السقيم غير مستقيمة ولم يظهر لي صلاحية شيء مما بعدها فاجواب عن « كيف كان » وجميعه جواب عن « وماذا استأثر » فحذف السؤال الاول والاقتصار على الثاني لانه أظهر (الموضع الثالث) في الصفحة الخامسة قواكم : أيام كانت الامم مرهقة بالاثرة والاثارة والاثين من قبل الضرائب الخ لعل الاولى حذف لفظ والاثين او ابداله بلفظ وثان ليصح المصنف أو ليكون أوضح

(الموضع الرابع) في الصفحة السابعة قولكم : أما اصطفا الله الكنانة فيفسره الخ وقولكم : وأما حج العرب اليه فهو دليل الخ لعل الاولى : اصطفا الله الكنانة يعلم بما كانت تحفظه العرب من اخباره الخ وحج العرب اليه دليل الخ بحذف لفظ أما وللفظ فهو

(الموضع الخامس) في الصفحة الثامنة ذكرتم بالخواشي تفسير التدوة بالشورى ونصصتموها بأجالة الرأي بعد البشة للاتجار به صلى الله عليه وآله وسلم هكذا والمعروف ان التدوة محل الشورى مطلقا وان الذي بناء قصي وجعل بابها لكعبة كما حكاه في الصفحة نفسها عن ابن اسحاق . وكذلك فسرتم القوا برأية قريش وانه كان يسمى العقاب والمعروف ان العقاب اسم راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما في التاموس صفحة ١٠٧

(الموضع السادس) قولكم في الصفحة التاسعة « كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للإسلام » ولكن هذه القوى المنوية كلها وجهت لمعاداته عليه وآله أفضل الصلاة والسلام » لعل حذف هذه الباية المشيرة بناية المهجو والموهمة ان جميع قريش وجعوا جميع قواهم لتقاوته أولى والبقى لان السباق في مدح قريش وشرح المزايا التي فضلوا واستعدوا بها للاصلاح الروحي والمدني ولان الواقع خلاف ذلك فليس كل قريش وجعوا قواهم لمعاداته صلى الله عليه وآله وسلم اذ منهم السابقون للإسلام مع اخفائه لمصلحة الذب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما بي طالب رضي الله عنه ومنهم السابقون له المحملون لمثاق التعذيب كآل ياسر ومنهم

السابقون القائمون بنصرته صلى الله عليه وآله وسلم ونشر دعوته، والذب عن حوزته،
 المؤثرون له صلى الله عليه وآله وسلم على أنفسهم، القائمون بمساعدته بكل ما في وسعهم،
 كحمزة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم من أجلاء الصحابة الذين هجروا وطنهم
 رغبة في صحبته وملازمة خدمته صلى الله عليه وآله وسلم بل منهم مع عدم اسلامه
 في أول البعثة من تحمل مشاق الحصر مع نبي هاشم في الشعب ايثارا لنصرته صلى
 الله عليه وآله وسلم ومساعدته. على ان الاسلام ما اعتز ودخل في طور القوة والمنعة الا
 بعد اسلام من تأخر منهم، فكانوا القائمون بنصرته ونشر دعوته صلى الله عليه وآله
 وسلم الباذلين أرواحهم في حماية بيضته في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد
 وفاته، وسيدقون ان شاء الله كذلك الى قيام الساعة. وأمل الحكمة في ذلك رفع التهمة
 عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم. والله در العلامة الشيخ عبدالعزيز الزمزمي حيث
 أشار في هزئته انذاك فقال

خبرة الله من قریش وما أد	راك من هم مكانة وعلا
نسب بالعلا علا قرات	درر الافق تحتها حصبا
شرف شامخ الذرى ونجار	ثابت صير الجبال هبا
أزل الله في قریش لا يلاف	قریش فزادهم آلا
شرف الله قدرهم بنى	خلقوا من نجاره شرفا
واصطفاهم لاجله واجتباهم	فقدوا سادة به نجبا
ذب عنهم صونا لهم ورعاهم	وحماهم ممن نوى الاسواء
أظهر الله فضلهم من قديم	بحديث في فضلهم عنه جا
ثم لما جاء النبي اليم	أبطأوا عنه لا قلى وجفا
كيف يحفونه وقد ألف الله	عليها ضبابها والظبا
لكن الله وحده قد تولى	نصره حفلة به واعتسا
لو تولوه داخل الشك قوما	عاینوا حزب نصره القربا
فقضى الله ما قضاه الى ان	شاد أركان دينه والبنبا
دخلوا فيه مرعيين قصاروا	فيه للناس قادة رؤسا

جعل لمصطفى الامامة فيهم . اذ رآهم لجردها أكفا .

ورثوا الامر بعده فأقاموا . أعوجاجاً من الداء وانحما .

(الموضع السابع) في الصفحة العاشرة قولكم فجلة ما امتاز به آله صلى الله عليه وآله وسلم النخ . لعل ثبوت بعد الآل عن الامور الحرية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده . أما قبل الاسلام فلثقاته ما قدمتموه من أن التسوية والواء والسفارة والاعنة والقبه من المناصب المختصة بهم ، وكلها من الامور الحرية ، ولثقاته أيضاً ما قدمتموه من أن كثرة كثرة ثباته اتساف ، وأن مالكا وقصيا ملكا العرب ، فهل الرياسة غير هذا ؟ وأما بعد الاسلام فثقاته ما هو معلوم من حلقهم لألوية القتال وقيادة الجيوش لمحاربة الاعداء في بدر وأحد وخيبر وحنين ، بل لم تدر حتى الحرب في المعارك المشهورة لا على محور الآل ، فهم قلب رحاها بلا جدال ، وهم اثابون معه صلى الله عليه وآله وسلم في المواضع التي فر فيها الابطال . فهل الامور الحرية التي بعدوا عنها غير هذا ؟ والله در أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي حيث يقول كما قلته في الاستيعاب

لقد علمت قريش غير فخر . بأننا نحن أجودهم حصافا

وأكثرهم دروعا سابغات . وأعضاهم اذا طعنوا سنانا

وأرفهم لدى الضراء عنهم . وأبينهم اذا نطقوا لسانا

وقولكم في الصفحة المذكورة وأذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام الخ . تطلب الغير عليهم في الرياسة بعد الاسلام لا يستلزم عدم عنها وعدم استحقاقها ، والا لناق ما تواتر عن علي وأبيه الحسن والحسين من قيامهم بطلب الخلافة واحتجاجهم على من قام بهم بالبراهين ومحاربتهم للطاغية معاوية وأذابه ، وانضمام الصحابة الا من شذ الى علي وأبيه عليهم السلام

ربما يقال ان الدليل على ذلك كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يولي غيرهم ويتركهم فالجواب عن ذلك ان التولية منه صلى الله عليه وآله وسلم لا تستلخص كمروء العاص وعدم توليته لآخرين كإبي بكر وعمر لا يمكن أن يكونا دليلا على استحقاق الأول للخلافة وعدم استحقاق الآخرين لان ذلك من وقته

الاحوال الطارئة باحتمال أن يكون كل من التولية وعدمها لمقاصد مهمة. فمن مقاصد التولية تأليف قلب المولى أو استجلاب ود عشيرته (ومنها) إزالة نفور الناس عنه لاستمرارهم له من حيث نلطخه بمحمته عداوة النبي والمسلمين (ومنها) قصد إبعاده للسلاسة من دسائسه (لو كانوا فيكم ما زادوكم الا خيالا) ومن مقاصد هدم التولية لاشخاص قيامهم بحراسة النبي والذب عن حوزته ومساعدته (ومنها) قيامهم بتلقي أحكام الشريعة ليلبثوها للامة وخصوصا آل بيته، فهم هالة طلعتهم وثقات أمته، وهم العدول المصومون المتقون، المشهود بأنهم والقرآن في قرن الى قيام الساعة، رضوان الله عليهم أجمعين

وقولكم في آخر الصفحة فبو أنفى للشبهة عن رسالته صلى الله عليه وآله وسلم قد قال انه لو كان في ذكر محل شبهة كان للفضايهم والامر بالصلاة عليهم وفرض مودتهم ومولاناهم وفرض الخمس لهم أكبر شبهة وأعظم همة وليس الامر كذلك والله أعلم (الموضع الثامن) في الصفحة الثامنة عشرة ذكرتم بعض أولاد عبد المطالب والتمه يقتضي استيذانهم لان الاختصار في محمل البيان يوم الحصر وزيادة سطر لا تطول به القصة

(الموضع التاسع) في الصفحة الثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم لقي من قومه أشد الناحور ولا يذأ الخ لعل الاولى: من زعماء قومه الذين أشقاهم الله فصدده عن تبليغ دعوة ربه ومنهم عمه أبو لهب القتل الخ لما قدمناه من قيام كثير من قومه بتسديده واجابة دعوته

(الموضع العاشر) في الصفحة الحادية والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو الناس أن يحموه لقيام بهذا الامر فلم يحمه من قريش أحد الخ لعل الاولى: كان يدعو الناس الى أن يعضدوا من يحمونه ليقوم بهذا الامر فحال زعماء الشرك دون ذلك محالة لاطفاء نور الله وبأبي الله الا أن يتم نوره فهدى الله للايمان به ستة نفر من أهل يثرب الخ لما تقدم أيضا

(الموضع الحادي عشر) في الصفحة السابعة والثلاثين ذكرتم انه صلى الله عليه وآله وسلم ثبت وحده في يوم أحد الخ والذي أذكره انه ثبت معه بضعة نفر من

قريش وبني هاشم وكذا في حنين وهذه منقبة لهم يحسن ذكرها اشعارا بمزايا الاصطفاء التي ذكرتموها

(الموضع الثاني عشر) في الصفحة الحادية والاربعين ذكرتم في الخاتمة انه صلى الله عليه وآله وسلم اقام بمكة بعد بدء التبايع عشرين سنة . ثم ذكرتم في الصفحة الثانية والاربعين حال الاسلام في تلك المدة وما لاقاه صلى الله عليه وآله وسلم مع السابقين من المؤمنين وصبرهم على الاضطهاد الخ ثم ذكرتم دخول الاسلام في عهد الحرية الخ ولم تذكروا دخوله في عهد القوة والمنعة بعد فتح مكة بدخول قريش وتبايع العرب لهم مع ان ذلك هو ظاهر مزايا الاصطفاء فلعل الحاقها يكون في المستقبل ان شاء الله تعالى

(الموضع الثالث عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتم في الحواشي حديث الثقلين ثم قلتم: وفسر زيد أهل بيته بمن تحرم عليهم الصدقة الخ ثم قلتم ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام الخ وظاهر تقديمكم تفسير زيد والتعبر في مقابله بلفظ يقول آخرون بشعر بائع ما قاله زيد رضي الله عنه . وامل الصواب ما يقوله الآخرون كحقيقه شيخ مشايخنا العلامة مولانا السيد أبو بكر ابن عبد الرحمن بن شهاب الدين الملوي في كتابه رشفة الصادي

ولعل ما يخص ما حققه العلامة ابن شهاب ان المراد بأهل البيت في آية انتطهر علي وفاطمة والحسن والحسين عند جمهور العلماء . وأكبر نعمة الحديث المعتمد بروايتهم ودرايتهم وان الأدلة تصافرت بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمصبر الى تفسير من أنزلت عليه الآية متمين

دهوا كل قول غير قول محمد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم
فن ذلك ما أخرجه الترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه
وابن مردويه والبيهقي من طرق بن أم سلمة رضي الله عنها قالت في بيتي نزلت
(انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) وفي البيت فاطمة
وعلي والحسن والحسين فجعلهم بكسا ثم قال هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم واطبراني وابن مردويه

عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في بيته على منامة عليه كساء خيرى فجئت فطمة رضي الله عنها ببرمة فيها خزيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ادع لي زوجك وبنيتك حسنا وحديدا فينهما يأكلون اذ نزات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم (انما يريد الله) لآية فأخذ النبي بفضلته كسائه ففشاها ايده ثم أخرج يده من الكساء فألقى بها الى السماء ثم قال « اللهم هؤلاء أهل بيبي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » قلنا ثلاث مرات . قالت أم سلمة فأدخلت رأسي في الستر فقلت يا رسول وأنا معكم فقل « انك الى خير » مرتين . وذكر ابن كثير والسموودي طرقا كثيرة لحديث أم سلمة هذا وأخرج لأمام أحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم عن عائشة ما يقاربه في المعنى . وكذلك روي عن وثلة ابن السعق ما يقاربه — الى غير ذلك من الاحاديث الدالة على ان المراد بأهل البيت من ذكر . ولا التفات لمن خالف ذلك ، ولا يمنع هذا الحصر دخول أولاد من ذكر وذرياتهم الى آخر الابد في هذا المعنى المراد شمول لفظ أهل البيت لمن سيوجد منهم — كشمول لفظ لامة لمن سيجود منها لاسيما والاحاديث مصرحة بذلك كقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إني تارك فيكم ما ان تمسكنه ، لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » الى أن قال « وأنهما لن يفرقا حتى يردا علي الخوض » وكقوله عليه وآله الصلاة والسلام « أهل بيتي أمان لاهل الارض فاذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الارض » الى غير ذلك من الاحاديث والايثار الدالة قطعا على ان هذه السلسلة الطاهرة هم أهل البيت المطهرون وانهم المرادون بكل ماورد في فضل أهل البيت من الآيات والاحاديث وأنهم عدول هذه الامة وانهم ان يفارقوا الكتاب الى يوم اقيامة ، وأنهم أحد الثقلين المؤمور بالنسك بهماء وقد أجمعت الامة على ذلك اه باختصاره وبعد وجود النص بهلم ادخل أم سلمة بل وعائشة في رواية هل يمكن تفسيره بما يشمل آل العباس وخصوصا والحديث في الخوض على النسك بأهل البيت فهل يعقل ان نحض على النسك بيني العباس وسببهم معلومة لدى العام والخاص

(الموضوع الرابع عشر) في الصفحة الثالثة والاربعين ذكرتهم (أي الآل)

كانوا أحفظ الناس لهديه صلى الله عليه وآله وسلم وأنه لا يخلو عصر من طائفة أو أفراد من الهداة المصلحين منهم وإن فتن الكثير منهم بهالة المحبين الخ وامل المناسب وإن فتن بعضهم واعتبر بشرف نسبه وترك العلم والاعمال النافعة غفلا عن قول جده علي الخ لأن اثبات الفتنة للاكثورية ينافي آية التطهير كما لا يخفى . ثم ذكرتم في حديث الثقلين رواية عن أبي هريرة وأن فيها ابدال لفظ العترة بلفظ السنة ، وأن لا معارضة بينها الخ يظهر للمأجز أن رواية الابدال المذكورة على حذف مضاف أي جملة سني فتكون مخصصة للرواية الاولى كما أن الاولى مخصصة لثانية فالمعنى جملة سني الذين هم من عترتي ، أو عترتي جملة سني ، وأيضا يظهر أن المراد بالطائفة من أمتيه التي لا تزال ظاهرة على الحق قومة على أمر الله لي أن تقوم الساعة هم عترته الحاملون لسنة والله أعلم

من ملاكته سلخ جمادى الاولى سنة ١٣٣٦

د . ه . د

رحلة الحجاز

٩

النفر من منى الى مكة

لما كان يوم الفررمينا الجرات لآخر مرة وفي لاصيل شددنا لرحال ونفرنا من منى هابطين الى مكة المكرمة حامدين لله شاكرين له ما وقفنا لانعام مناسكتنا ، راجين من فضله وإحسانه أن يكون حجنا مبرورا ، وسميننا مشكورا ، وعلما مثبا ، ودعاؤنا مستجابا ، وبالله ما أحلى الشهور الذي يسترلي على المرء في ثناء هذا النفر ، فانه على فراقه لثلاث المعهد تقدمي الذي وصفنا في الفصل السابق ماله في النفس من عظيم الانس تراه يفارقه قرير العين مطمئن القلب جم السرور فرحا بفضل الله ورحمته ، وذلك شأن الانسان بعد إتمام كل عمل من الاعمال النافعة التي يهتم بأمرها ، يفرح في عاقبة إتمامه بقدر ما كان من عنايته به وتعبه فيه ، وبقدر مكانة العمل نفسه من نفسه ، وما يرجو من فائدته ونفعه ، سواء كان ذلك في دنياه أو دينه ، فمن لم

يأل جهداً في أداء المناسك أقاض من منى وهو بحيث وصفنا من النبطة الروحية ،
والسكينة والطمانينة ، التي يعبر عنه بعض الناس براحة الضمير ، ومن قصر في شيء
من تلك الاعمال ولو بترك العزيمة ولا فضل خالط غبطته وطمانينته بعض التقي ولوم
النفس : ليقني فعلت كذا ، وسأفعل كذا في حج آخر ان شاء الله تعالى . كما تمنى
بعض رفاقنا لو باتوا الليل كله في المزدلفة معي

المقام بمكة بعد الحج

قد كنت أرجأت أموراً مما أنوي عمله في مكة الى ما بعد الحج (منها) ما أشرت
اليه قبل من زيارة جميع القديس تفضلوا بزيارتي ولم تيسر لي زيارتهم قبل الحج (ومنها) زيارة
كثير من المعاهد التاريخية والآثار النبوية في مكة وضواحيها اذ لم أثنأ أن أخلط ذلك بأعمال
النسك كما يفضل بعض العوام القديس يعدون بعض ذلك من أعمال النسك أو من الاعمال
المطلوبة شرعاً ولو لغفر النسك ولا يطلب شيء من ذلك شرعاً ولا وجوباً ولا ندباء الا
من كانت له نية صالحة في شيء من ذلك وجاء به على وجه يعرفه الشرع ولا ينكره .
(ومنها) شراء أشياء كثيرة مما يباع في مكة بعضها لانفسنا وبعضها لاجل اهدائه
لاصدقائنا (ومنها) وهو أهمها شرح ما عندنا من الحقائق في الحالة السياسية الحاضرة
لمن يجب شرحها له بعد ان كنا قد فتحنا أبواب بعض مسائلها فكان الحديث في أكثرها
اجمالياً ولا يغني فيها الا البيان والتفصيل

لم نلبث أن بد لنا ما لم نكن نحسب وفاجأنا ركب الحمل المصري بسفره
يوم الخميس ١٤ ذي الحجة من مكة المكرمة الى جدة ، وعلينا انه قرر ركوب البحر
في ثاني يوم وصوله اليها ، ولو سافرنا معه لما أمكننا أن ندرك شيئاً مما نريد من مكة ،
فصرنا على التخلف عنه يوماً واحداً وهو متسهي ما تملك من التأخير ، وما ذا عسى
يفني عنا اليوم الواحد مما كنا نقدر له أسبوعاً كاملاً لا نستكره عليه ؟ على اننا
أدركنا في ذلك اليوم بتوفيق الله تعالى وعناية المحبين ما لا يدرك الا في أيام فابتعنا
بعض ما نحب من الحلبي والحلل من منسوجات الهند الموضونة وغير الموضونة وبعض
منسوجات الشام وبلاد الترك والصين وغير ذلك مما يشتري مثله الحاج عاده ،
وكان الفضل في شراء ذلك في وقت قصير مع أمن غبن التجار لنا فيه لصديقنا الشيخ

حسين بإسلامه وهو من أشهر أدياء مكة ونجارها ، وقد تركنا ما كنا نبغي من الزيارات بأنواعها ، ولكن الله تعالى من علينا بما هو خير منها كلها ، وهو التقشف بدخول بيته العتيق المعظم والصلاة والدعاء فيه

دخول الكعبة المظلمة

دخلت المسجد الحرام في وقت الضحى من يوم الجمعة (١٥ ذي الحجة) فوجدت باب البيت العتيق المعظم مفتوحا وفيه بعض شبان آل الشيباني الكرام فرأيت الفرصة ساحة للتشرف بالدخول فيه والوقت هادئ لا يكدر صفوه احتفال ولا ازدحام ، وكان يرافقني الشيخ حسين بإسلامه فبالغ من هنالك من الشيبانيين وغبني فمابلوها بالقبول والارتياح ، فتوضأت من بئر زمزم وأدلى الشيبانيون لي السلم فصعدت فدخلت متذكرا دخول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، متمثلاً حاله في ذلك اليوم العظيم يوم الفتح ، ففاجأني من الهيبة والخشوع والبكاء ما لم يسبق له نظير ، ووقفت زمنا لا أستطيع فيه الاحرام بالصلاة ولا النطق بالتكبير ، وقد ذكر لي رفيقي بإسلامه في هذه الحال المكان الذي صلى فيه صفوة الله من خلقه وعينيه بالإشارة على حسب ما بينه الحافظ ابن حجر في شرح البخاري فصليت فيه ركعتين هما أرحى ما أحسبته عند الله تعالى من التطوع ، ثم صليت في كل جهة من الجهات الثلاث الأخرى ركعتين

ودخول الكعبة ليس من مناسك الحج خلافا لما حكاه القرطبي عن بعض العلماء ، واختلفت الرواية في دخول النبي (ص) البيت وصلاته فيه . والتحقيق الذي جمع به بن الروايات الصحيحة المتعارضة أنه دخله في عام الفتح لا في حجه ولا في عمرته ، وأنه صلى فيه ركعتين بين العمودين المقدمين جاعلا الباب وراءه وبينه وبين الجدار الذي صلى إليه ثلاثة أذرع بذراع الآدمي تقريبا لا نحو ثلثه ، وليس من السنة تتبع المواضع التي صلى فيها النبي (ص) للصلاة فيها ، ولا مواقفه في النسك كما تقدم في الكلام على موقفه في عرفات ، وكذا سائر عباداته ، ولم يرو عن أحد من علماء الصحابة أنه فعل شيئا من ذلك إلا عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) فهو فعل غير مشروع وغير ممنوع ، إلا أن يؤتى به على وجه يكون به بدعة وهو جعله كالمشروع بالترامه أو

بالاجتماع عليه كاشماتر ، فاذا خلا من شبهة البدعة كان كبير الفائدة لذي الهب ، لا فيه من حسن الذكر الذي يخشع له القلب ، ولعله لم يشرع لئلا يترتب عليه الحرج الشديد بالتزامه واعتذر فله على العدد الكثير كما لو أراد كل حاج أن يقف حيث وقف (ص) ولسد ذريعة الشرك اذ يخشى على ضعيف العلم بالدين أن يغلو فيه فيجمل للرسول شركة في العبادة التي ينتفع آثاره فيها (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) وانما ذلك بتوجيه الوجه واسلامه اليه وحده في العبادة ﴿ وداع الأمير وصفاته ﴾

علمت ان أمثل الاوقات لوداع الأمير ما بعد صلاة الجمعة فقصدت عقب الصلاة حجرته التي يصلي فيها وهي في جدار الحرم الجنوبي فألفيته جالساً في القسم الخارجي من الحجرية وفي حضرته بعض الكبراء وفي مقدمتهم رئيس الوكلاء والشيخ محمد صالح الشبيبي الكبير رئيس مجلس الشيوخ ، وكان معي السيد عبدالله الزاوي وكيل المجلس ، وعلمنا انه كان في القسم الداخلي حيث صالوا الجمعة بحمله الشريف عبدالله وكيل الخارجية مع بعض الناس . فلما دخلت على الأمير تلقاني بالحفاوة والاكرام ، فاستلمت يده لتقبيلها فأول تواضعه التمتع من ذلك ، ولما جلسنا تفضل بكلمات من المجاملة كادت نذييني خجلاً ، ونكتفي من كلامه بما دون الاطراء الذي تقتضي الحال حذفه وهو قوله موجهاً الخطاب للمحاضرين : هذا فلان ... صاحب المنار كاكم تعرفونه وتعرفون ماله من الفيرة والاخلاص والجهاد في خدمة الاسلام .. وهو قد جاءنا في هذا العام حاجاً .. وكنا نتمنى أن يبقى عندنا ولكنه صاحب عمل كبير في مصر وهو قدرأي وعرف كل شيء عندنا وظهر له اننا الى الآن لم نتف امام عتبة عمل من الاعمال (وكان ذكر في سياق حديثه ما ينوي من ضروب الاصلاح العلمي والعملي) التي لا يد ايا منها ، وأن ههنا محصور في اخراج المتلبة من بلادنا ولا يتم ذلك الا بفتح المدينة المنورة ففى تم لنا ذلك وأردنا البدء بالاصلاح الذي نبقه فانا نرجو من غيرته أن لا نمنعه أعماله في مصر من اجابتنا الى ما نطلبه من معاوثة وارشاده ، وهو الآن يقدر أن يخدم حركتنا في مصر أكثر مما يخدمها هنا لو أقام بيننا

فلما أنم كلامه شكرت له ما أراه مبالغة في حسن الظن والمجاملة ، وذكرت ان

هذا التواضع عن كمال الرفعة قد أخجلني حتى عقد لساني ولم يبق لي الا أن أقول
إني أعد نفسي كجندي صغير مستعد في كل آن لخدمة دينه وأمته بالاخلاص ،
وأجاهدكم امام بيت الله تعالى على انني لا أدعى الى عمل أستطيعه في خدمتهما الا
وأبذل فيه كل جهدي مادمت معتقدا أنه حق ، وانه لا يشينني عن ذلك منفعة شخصية
ولا أهل ولا ولد ، فإني نشأت على العمل بما يوجبه علي اعتقادي ويطمئن اليه قلبي .
ثم فئنا وتقدمت لوداعه ، ومحاولاة تقبيل يده فأخذ بيدي وتوجه بي الى بيت الله عز وجل من
حيث يرى من نافذة المكان وقال : أسأل رب هذا البيت ان يجمعنا ولا يحمل هذا
آخر العهد بيننا . ثم ودعت الحاضرين وانصرفت حامدا شاكرا
صفات الأمير وشماله

قد آن أن أذكر في هذه الرحلة بعض ما علمته واستنبطته من صفات هذا
الامير الجليل ومزايده التي يوافق ذكرها مقتضى الحال فأقول : انه حوى جل أخلاق ملوك
الشرق وأمرائه العظماء ، وانفرد بصفات ورثها من أجداده الشرفاء ، فمن ذلك قرى
الضيوف واجازة الوفود وعزة النفس والثقة بها والاعتماد عليها ، والثبات والاصرار على
ما يأخذ به ويحرم على فقد تترازل الجبال دونه ولا يترازل ، وشدة الحذر ، وسوء الظن
الذي عد من أركى الفطن ، حتى كأن نصب عينيه قول الشاعر
وأما رجل الدنيا وواحدها من لا يعمل في الدنيا على رجل -

ولذلك تراه ينظر في كل شيء من شؤونه الخاصة ، وشؤون البلاد العامة ، حتى
أمور المنزل وشؤون الضيوف والوفود وتفقاتهم ، ومصالح البدو وصالاتهم ، وقد
أعطاه الله تعالى قوة غريبة فهو يشتغل بالنظر في ذلك كله عامة النهار ولا يشكو مللا
ولا تعباً ، وقد كلفته في مسألة الاشتغال بالحزنيات ووجوب نوطها لبعض العمال ،
وجعل وقته الثمين خاصا بالمصالح العامة والأمور الكلية ، ووضع نظام الفلاك ، فقال
ان هذا ضروري لا مندوحة عنه ونحن لانزال نحجري على نظامنا القديم ، والتحول عنه الى
غيره لا يتأتى الا في زمن غير قصير ، قلت نعم وأما الغرض وضع النظام له والبدء فيه
ومن أخلاقه وشماله توخي التواضع في القول والفعل ، مع المحافظة على الوقار
وأبهة الملك ، والادب العالي في مخاطبة المجلس ومجاملته ، مع الإشارة الى ما تقتضي

الحال من معارضة ، وهو على آدابه وتواضعه شديد الوطأة على المجرمين والمخالفين السياسيين ، يأخذهم بأشد العقاب الذي يرهب كل من تحدته نفسه بأن يعمل على شاكلتهم ، لا يخاف في ذلك لومة لائم ، (ومنها) العفة والزهادة فهو مقتصد في مئتمه بالطيبات ، عزوف النفس عن الانهماك في الشهوات ، (ومنها) الشجاعة والاقدام على مكافحة الاخطار ، لا يخاف الموت على نفسه ولا على ولده ، ولذلك جعل أمجاله الاربعة قوادا لجيوشه ، يكافحون المهاك بأيديهم ، ويناطحون الموت بنواصيهم ، وهو يحب وطنه (الحجاز) حبا عظيما ، ويكرم الحفاة المرأة من أعرابه تكريما ، وطالما نوهنا بما علمنا من براعته في سياستهم وحفظ الامن بينهم ، وقد رأينا بقضي في مقابلتهم عدة ساعات من كل نهار ، وهم يدمرون عليه بما اعتادوا من الحرية والاستقلال أما معارفه وآراؤه في السياسة والامور الاجتماعية فليس الخوض فيها من مقتضى الحال في هذا الوقت ، ولم يكن يسهل العلم بتفصيلها من المذاكرات القليلة التي دأرت بيني وبينه وان كنت كئنه فيها بحرية واستقلال قلما يكلمه بمثلما أحد ، لانه قليل الكلام لا يبطل المراجعة والحوار في المسائل ليعلم كنه غوره فيها ، ولكن الزمان سيبين كنه ذلك كله بما يظهر من تصرفه في شؤونها . وقد وقتت منه على آراء سيكون لها أعظم شأن في سياسته (منها) يأسه من الدولة العثمانية ولولا هذا اليأس لما أقدم على ما أقدم عليه ، كما أشرت الى ذلك في خطبتي السياسية بمنى بين يديه ، ثم انه كلني في هذا الموضوع بعد النزول من منى ، وعده من الامور التي عبرت فيها بالخطبة عن رأيه قبل الوقوف عليه (ومنها) انه له ثقة بالدولة البريطانية وتقديرا لقوتها وعظمتها لا حد لها ، ولا سلطان اشئ عليها ، (ومنها) ان مشاهدته من التطور والتحول في سياسة الدولة العثمانية وافضاء ذلك الى جعلها كالكرة في أيدي جمية الاتحاد والترقي قد ضاعف مافي فطرته وتربته من كراهة الآراء والافكار التي نشأ عنها ذلك الفساد وشدة الجذر من أصحاب أمثال هذه الآراء والافكار ، وقد ذكرت في هذه الرحلة ما كان أعجبي ووافق رأيي من خطته السياسية التي أفصح عنها في منشوراته ، وأشرت الى ما طرأ بعد ذلك من التحول فيها فلا أعيد ، وإنما أقول انه جاء موافقا لما ذكرت هنا من آرائه الراسخة فظهر ان التجارب لا تزيدها الا رسوخا وثباتا

واني أختم الكلام بتكرار الشكر والثناء على حسن ضيافته لي وإكرامه إياي ،
 فقد غرني بكرمه وجوده ، وكان من دقة لطفه وكال ذوقه في ذلك أن جملة بطريقة
 لا مجال للاعتذار عن قبول شيء منه ، وقد كنت قلت أول مقدمي لبعض القرين
 منه كلاما عن عاداتي التي ثمرحتها في المنار عند رحلتي إلى الهند ، وهي أنني لا أقبل
 أن تشاب خدمتي للعلم وللملة والامة بشيء من شوائب المنافع الشخصية ، حتى أنني
 كنت أعلن في تلك الرحلة أنني لا أقبل الهدية .. ورجوت أن يلتطف في تبليغ ذلك
 وإن أدري أقل أم لا ، ولكنني بعد شد الرحال وعند إرادة الركوب وصلت
 إلي جائرة ضنية ، أو هدية هاشمية ، أردت أن أكلم من جاء بها في شأنها فقال
 هكذا أمرت وأنا لأعلم شيئا إلا أنني عبد مأمور أمرني سيدنا ففدنت أمره ، وانصرف ،
 فصجبت من هذا اللطف الدقيق ، والذوق السليم ،

طواف الوداع وتوديع الاخوان

في أثناء اشتغال وكيل الحرج وأهوانه بشد الرحال ، طفت أنا ومن معي الآكل
 والصاحب طواف الوداع ، وكان ذلك بعد العصر ، وكنا قصدنا أن نركب في
 ذلك الوقت ، ولكن لم ييسر لنا الركوب إلا عند قرب غروب الشمس ، وودعنا
 قبل الخروج كثير من الاخوان والمحبين ، وركبنا وركب معنا بعض الاصدقاء
 مشيعين ، وفي مقدمتهم السيد الزاوي الكبير ونجله السيد عبد الرحمن والشيخ
 حسين بإسلامه ومطوفنا ونجله ، وخرج معهم الأخ الرفيق الشيخ خالد ، أما صائر
 الرفاق والاهل فقد ركبوا في الشقائف من أول الامر ، وأما أنا فركبت البغلة
 التي أرسلت الي من الاصطبل الهاشمي مع اثنين حجاب الامير مشيا أمامي
 بملابسهما الرسمية ، حتى إذا ما خرجنا من مكة المكرمة وبلغنا المكان المعروف بقوة
 العلم — وقد ذكرناه في الكلام على دخولنا مكة حرسها الله تعالى — ألقينا هنالك
 صاحب السيادة الشريف شرف حاكم مكة (القائم مقام الامير فيها) بالانتظار
 مع بعض رجاله وقد أنفذ للتوديع من قبل الخضره الهاشمية نائباً عنها ، وعلمنا انه
 خرج منذ وقت العصر لانه هو الوقت الذي عين لخروجنا ولم ييسر لنا الخروج فيه ،
 فبقولنا وجلسنا معه قليلا واعتذرنا له عن تأخيرنا وشكرنا له هذا الانتظار الطويل ،

ثم صلينا المغرب مع المودعين جماعة وأتبعنا أنا والرفيقان بالشاء مجموعة مهاجهم تقدم ، ثم ودعنا السادة المشيعين ، وركبنا الراجل وسرنا باسم الله قاطنين ، والحمد لله رب العالمين

ذيل لمباحث الحج في الصدقات وقرء الحرم

اتني عند توديع السيد الزاوي قلت له قد بقي ممي في الكيس خمسة عشر جنبها انكليزيا من القود المخصصة للصدقة في الحرم لم ييسر لي اخافها فانا أوكلك في في توزيعها على المستحقين ، من أهل الصلاح والوردة المتفقين ، وأعطيته إياها فأرسل الي بعد عودتي الى مصر ورقة فيها أسماء من صرفها لهم ، ومقدار ما أعطى كلا منهم ، وعليها أختامهم . وبهذه المناسبة قول كلمة في قرء الحرم والصدقة فيه وفي غيره وما يتعلق بذلك كبحت السؤال

ان الفقراء التسولين أول من يستقبل الحجاج قبل دخول مكة وأخير من يشيعهم عند الخروج منها عائدبين الى بلادهم، وكذلك شأنهم عند الخروج من مكة الى منى فمرقات وعند العودة من منى بعد انقضاء أيامها . وأكثروها التسولين من صفار الصبيان والبنات ، يقل فيهم المراهقون والمراهقات ، فتراهم يحبطون بالحجاج من كل جانب ، رافعين أيديهم الى مقدم الموداج ، وألسنتهم تكرر الادعية المناسبة للاوقات ، فيذكرون في أديعهم قبل دخول مكة وعند الخروج الى عرفة أداء الحج وقبوله والمودة بالسلامة ، وبعد الحج زيارة النبي (ص) والوقوف بشباك حجرته الطاهرة ، ومنهم من يربط كوزا من الزنك ونحوه بطرف خشبة كالمصا ويرفها حتى تكون بين يدي الراكب فيكون ما يوضع في كل كوز خالصا لحامله ، وأما الصفار الذين لا يحملون هذه الكيزان فابرضع لهم يرمي على الارض فيستبقون لانتقاطها فيكون حفظ الشيط القوي منهم أضاعف حظ الحامل والضعيف ،

السؤال محرم في الاسلام لا يبيحه الا الحاجة الشديدة أو الضرورة التي تبيح كثيرا من المخطورات كاكل الميتة ولحم الخنزير ، لانه ذل يدعو اليه الكسل وحب البطالة والاتكال على أوساخ الناس ، والضرورات عوارض تمرض لبعض الناس أحيانا وهي تقدر بقدرها شرعا ، وليس من شأنها أن تكون ملازمة للكثيرين من

الاصحاء القادرين على الكسب بحيث تبسح لهم أن يجمعوا السؤال حرفة يكون عليها مدار رزقهم، كما هو شأن أكثر السائلين في كل البلاد، بل يكون بعض هؤلاء غنيا شرعا تجب عليه الزكاة، وقد يتأهل السائمة والعقار، وإذا كان السؤال لغير ضرورة معصية محرمة وكانت الاعانة على المعصية ممصية فعلى المسلم العارف باحكام الاسلام أن لا يرضخ بشيء لمن يعلم من حاله أنه قد اتخذ السؤال حرفة له، ولا لمن يعلم أيضا أنه غير مضطر الى ما يسأله، بأن كان يمكنه أن يستغني عنه، والمجهول حاله في ذلك موضع تردد ونظر، وأما من يعلم الانسان أو يظن من حاله أنه يسأل عن ضرورة ولا غنى له عما يسأله ولا وصول له اليه بغير السؤال فللمندوحة للواجد عن مواساته والرضوخ له من مال الله تعالى، وقد يصل ذلك الى درجة الوجوب، كأن تعلم أن فلانا مضطر ولا يعلم بحاله أحد يرجى أن يزيل اضطرابه موكا وأنت قادر على ذلك، ومثل هذه الصورة تقع للأفراد القليلين وقلا تهم للكثير من الناس الا في أزمات المجاعات العامة

انني قلما أعطي أحدا من السائلين الكثيرين في الشوارع بمصر، ولما رأيت هؤلاء السائلين خارج مكة عند قدومي اليها - وأنالمت أنس ما كان بلغنا ونحن في مصر من خبر العسرة والضيقة في الحجاز وما سمعته مؤكدا لذلك في جدة - وجدتني متدفعا لاعطاء كل من سألني، ولما نفذ ما كان في كيسي من الدراهم المعدة لنفقة الطريق من جدة الى مكة أذنت الرفيق الذي صحبني من جدة بأن يعطيني من يعلم أنه لم يأخذ مني وبخصي ما ينقده لارده له بعد الاجتماع بالآل الذين كانوا يحملون نفقتنا في رحالهم. وكنت أردت أن أجري على هذه الطريقة مع السائلين في الحرم الشريف، ثم صدني عن ذلك أنهم صاروا يجتمعون علي بكثرة عند الدخول ويحيطون بي بحيث يتعذر توزيع ما في اليد أو الجيب عليهم فكنت أنثره على بعد فيتروكوني ويتهاقون، عليه ثم تركت ذلك لما فيه من المشقة والشهرة ورأيت الراحة في الاخفاء. ولكن رفيقي محمد نجيب أفندي ظل يتحمل التعب والعناء في توزيع الصدقة هلى هؤلاء المسئولين في داخل الحرم وخارجه وله صبر طويل على ذلك. ومن غريب ما رأينا من دلائل البؤس والجوع في الفقراء الملازمين للحرم أن بعض

الناس جاء بشي، من الجبوب لحمام الحرم فاخطفوه وصار بعض السودانيين من الدكرور يأخذون منه ويضعونه في أفواههم ويضمفونه متفذين به كالذواب . وقد جربنا نحن على عادة الناس بالرضخ بالقليل للواحد من هؤلاء المتسولين بحيث كان صرف الجنيه الواحد يوزع على المئمة أو المئات منهم ، وأما تطيب النفس بما هو أكثر من ذلك للذين يتعرضون ولا يسألون ، والذين اذا سألوا يتجلبون ولا يلحسون ، وأما ذكرنا هذا البحث وما وقع لنا من التجربة فيه ليستفيد منه غير العالم بما ذكرنا من الاحكام ، وغير الواقف على ما وقفنا عليه من التجارب ، ونسأل الله أن لا يجهل فيه شيئا من الرياء وشهوة الشهرة ، على أن صدقتنا مما ينبغي أن يستحيا من ذكره ، فهي والحق يقال دون ما أنعم الله به علينا ، وما من أحد يحج ايمانا واحتسابا الا ويتصدق في الحج بحسب سمته لان الاعمال الصالحة يضاعف أجرها في ذلك الزمان وذلك المكان ، ومنهم من ينفقون هنالك فوق جميع ما نملك من المال ، ولكن المتصدق العالم الخالص بمجد عنا ، عظيما في تحري المستحقين الصادقين ، من أهل الايمان واليقين ، والصلاح في الدين ، يمد هذا العناء في وطنه الذي يقيم فيه ، فكيف حاله في بلد يجهل حال أهليه ، وقد كثر الكفر والابتداع في الارض ، وظهر الفساد في البر والبحر ، وليس هذا محل شرح هذه المسألة بالاسباب ، وقد ألمنا بها من قبل في المنار

القفول من مكة الى جدة

اننا لما ودعنا المشيعين الكرام وامطينا الرواحل اخترت ان يكون محمد أفندي هو صاحب الجنب لي ، وان يركب وكيل الخرج مع الاستاذ الشيخ خالد ، وكان المناسب أن يركب الاستاذ معي لما يفتنا من التعادل والتوازن في الجسم ، وطول الصحبة مع التوافق في التربية والرأي ، فاننا تعارفنا من أوائل العهد بمقدمي الى مصر ، ولا أزال أهدي اليه المنار من ذلك العهد الى اليوم ، ولا أرى منه الا الوفاق والثناء والشكر ، وإنما اخترت الفرق في الرواحل لثلاثة أسباب ترجع ماذكرت من الجامعتين الجسمية والروحية بيننا (أحدها) ان في تفرقنا عدلا بين الراحطين في التخفيف عليهما ، لان تعادلنا في الجسامة ، يقابله تعادل صاحبتنا في النحافة ؛ (ثانيها) ان كلا منا يحتاج الى خدمة رفيقة في الراحة ، ومحمد أفندي يرغب في

(المنار : ج ٨) (٤٦) (المجلد العشرون)

خدمتي لاني استاذ في الدين ، فلا يبقى تلمذة الاستاذ الا وكيل الخرج (ثائتها)
ان صاحبي أجدر بالاستفادة مني لانه اعتاد منذ كان تلميذا الرجوع الي في أمور دينه ،
فصرت لملي بشؤونه أقدر على افادته وإفثائه في أمره ، وصاحب الاستاذ أجدر
بالاستفادة منه لانه ما فنى مشتغلا بوعظ العوام وارشادهم ، وقد حيل بيني وبين
ذلك في مصر فلم يقع لي فيها الا مرارا قليلة في السنين الاولى من هجري ، وأما
في هذه السنين الاخيرة فلم يأخذ عني فيها الا بعض المدرسين وأذكىء طلاب
العلم ، وكان من لوازم هذه القسمة بيني وبين صديقي اني كنت أحسن حفظا
منه إذ كان صاحبي من الاتقياء التلمعين في مدارس الحكومة حتى العالية فيها ،
العارفين بأخلاق الناس وشؤونهم بطول اختباره وتجاربه في خدمة الحكومة المصرية ،
وصاحبه من العوام ، على انه كان يمكنه ان يستفيد من اختباره لشؤون الحجاز
وأصناف الحجاج ما لا يعرف الا من أمثاله المتمرسين بهذا الأمر

سرينا منفردين ليس معنا رفاق من المصريين ولا غيرهم ممن نعرف ، ولكننا
وجدنا في الطريق عددا ليس بقليل من حجاج المغاربة منهم المشاة والركبان ، وقد
بلغنا بحرة في وقت السحر فمررتنا فيها ^(١) وكان الجوع قد بلغ منا لانا لم نعيش
قبل خروجننا من مكة فأكلنا مما حملنا من الزاد ، وكان جله من لحم خروف أهدها الي
بعض المحبين لم نرمثله في طراوة لحمه ولينه ودسه ، لافي الحجاز ولا في غيره ، وهو ليس من
ضأن الحجاز . ثم منا قليلا إذ اسديقطنا بعد طلوع الفجر فأدركنا صلاة ، بفضل الله تعالى
لم أر من بحرة في المامي بها لبلا قادمة من جدة الى مكة الا ما على جانبي الطريق
العام من المنازل التي يسمونها القهاوي وهي خاصة بالرجال ، وأكثر من ينزل فيها
الرجال الذين لا يستغنون عما فيها من الطعام وشراب الشاي والقهوة وما يحتاجون
اليه من الخدمة ، أو الذين يريدون الاستراحة قليلا وان كان معهم كل ما يحتاجون
اليه ، وكنت حينئذ من هذا الفريق كما تقدم ، وفي هذه المرة نزلنا في المنازل التي
يسمونها العشش وهي وراء تلك القهوات ، وقد رأيتها فوق ما كنت أحسب — رأيتها
دورا في كل دار بيوت من العبدان ويدت خلاء لها حائط منها يفصلها عن غيرها

(١) التمرس نزول المسافرين في آخر الليل للاستراحة

من الدور بحيث يكون النساء في كل منها في ستر تام غير معرضات لأعين أهل الدور المجاورة لها ، نزلت مع والدة والشيقة في دار ، ونزل رفاقنا في دار بجانبها ، ومكثنا هناك الى ضحوة النهار ، وقد نفذ ماحلنا من مكة من الماء فجاءنا وكيل الحرج بئس كدر غير عذب ، فسألناه ألا يوجد ماء بقي عذب في هذه الارض ؟ قل بلى ولكنه قليل لا يكفيك الماء ما معنا من أولاني الشرب أقل من ريال ، فأمرناه بأن يأتينا بقدر الكفاية منه فجاءنا بماء لا يفضل الأول الا بمضاعفة ثمنه ، فكانت هذه كبرى سيئاته ، جعلها خاتمة خدمته ، فكانت سبب حرمانه مما كنت أنوي أن أجعله علاوة له على الاجرة لوافية التي خصصها له الامر ، وما كان يصيبه كل يوم بعد كفايته وكفاية أهله من فضل الثقة المنيعة ، وما أخذته من ذبايح نسكنا التي وكتته بالتصرف فيها ، وقد سبق له مثل هذه السيئة معنا بمجيء جانا بماء كدر لولا أن تداركنا أنفسنا بالبحث عن ماء بقي وهما له لما سلم أحد منا من مرض التزلة الشعبية التي ظهرت أعراضها في بعضنا ، ولكننا غفرنا له تلك . وأما هذه فلم نستطع تداركها ، وسوء الخاتمة لا يفرق ففسألته تعالى أن يحسن خاتمتنا .

هذا وانما قد قاسينا من الظأ في بقية يومنا وعامة ليلتنا بين بحرة وجدة مالم نعرف له نظيرا في تاريخ حياته ، فكنا نبل أفواهنا من ذلك الماء عند الضرورة ، وحاولت الاستغناء عنه بمص رب السوس فلم يخن شيئا . وفي هذه الحالة تذكرت ما كنت عازما على استصحابه من مهر فأنسانيه الشيطان وهو السكر اليموني أي المزوج بماء من اليمون ، فأوصي كل مسافر الى تلك البلاد وأمثالها ان يحمل معه شيئا منه وصلنا الى جدة قبيل الفجر فتزنا في دار صديقنا الشيخ محمد أفندي نصيف وكيل الامارة الجبلية وقد غمنا بعد صلاة الفجر ساعات قليلة ، وبعد الاستيقاظ طلبت ماء سخنا الاستحمام فافغنسلت وغبرت ثياب الطريق وعلنا ان أكبر الحاجج المصريين نزلوا الى السنينتين اللتين جاءوا فيهما فتنجناهم وزودنا صديقنا بأحسن الزاد ، ونزل معنا هو وبعض الاصدقاء في زورق البلدية البخاري الى سفينة التي جثنا فيها (النجيلة) مشيمين ، وكان هذا آخر عهدنا بأرض الحجاز ففسأل الله تعالى أن يمن علينا بالعودة اليها مرارا كثيرة حاجين ومعتبرين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مصائب الحرب

وَلَتَبْلُغَنَّكُمْ بَشْيٌ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَتَقْصُ مِنْ
الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ

يشغل بأعمال هذه الحرب — حرب المدينة — عشرات أوف الألوف من الرجال ومئات الألوف من النساء كان أكثرهم يشغل بأعمال الزراعة والصناعة والتجارة فيكفرون من نتاج الأرض ، ومن إيصال حاج بعض الناس الى بعض ، فيعم به الرخاء وغضارة العيش ، ويزداد المال في أيدي الناس ، وقد قدر عدد قتلى المعارك في أربع سنين بعشرة آلاف وعدد المشوهين من الجراح بخمسة وعشرين أو ٣٠ ألف الف وحل محلهم مثلهم أو أكثر منهم ، فتضاعفت خسارة البشر بالحربان من فوائد أعمالهم ، فتقصت الأموال والثمرات بنقص النفوس ، ثم بهلاك الكثير منهما ومن النفوس بحرب الفواصات التي ابتدعتها مبتدعة أكثر رزايا التدمير والتفتيل — ألمانية — فقد رقت صناعة هذه السفن الفواصة حتى صارت تحمل المدافع ، وقطع نحت الماء ألوفاً من الأيال والفراسخ ، وحيثما التقت بسفينة تحمل عروض التجارة ، أو تنقل الناس من بلد الى آخر ، أرسلت عليها وابلاً من قذائف المدافع أو سهاماً من الطوربيل ، فجعلتها كصف مأكول ، لا تفرق بين سفن المحاربين وسفن الأمم التي على الحياض ، ولا بين حاملة الجنود وعدد الحرب وحاملة العروض وأهل السلم من الرجال والنساء والأولاد ، أرادت بذلك أن تحرم انكسار وأحلافها من ثمرات سيادة البحار ، بعد أن شدد هؤلاء عليها خناق الحصار ، فأذت الأمم كلها ، وأكثر من عدد أعدائها

كانت جوامع الفواصات سبياً في اشتداد الضيق وامتداد الغلاء الفاحش الى جميع أقطار الأرض . وقد كان هذا القطر المصري في السنتين الأولى والثانية من سني الحرب أقل الاقطار غلاء وأكثرها رخاء لان أرضه زراعية خصبة يمكنها أن تنتج من الاقوات ما يزيد عن حاجة أهلها وكان المحزون فيه مما يرد اليه من الخارج كالقمح

الحجري والانسجة والمواد والادوات اللازمة للزراعة والصناعة كثير او ثمنه معتدلا ، وقد غلطن القطن منذ السنة الثانية فربحت البلاد عشرات من الملايين قضت منها كثيرا من ديونها . فلما اشتد حرب الغواصات قل كل ما يرد من الخارج وتضاعفت آمانه أضمافا ، وتبع ذلك غلات البلاد ومواردها حتى بلغ ثمن اردب القمح في الشتاء الماضي خمسة جنيهات ، وياع الآن الرطل المصري من السم من أربعة عشر قرشا وخمسة عشر ، وبلغ ثمن أقة زيت الزيتون أو بعين قرشا فصار مساويا للسمن بعد اشتداد غلاء السم وكان قد زاد عنه ، الا أنه قد ورد منه أخيرا على الاسكندرية عدة قناطر من كريت فزول الثمن قليلا . ورطل اللحم البلدي يباع في القاهرة بثمانية أو تسعة قروش ، وأقة العنب بيعت بأربعة قروش لخمسة فنته ، وقس عليه سائر الفاكهة وقد سمرت الحكومة المصرية أكثر مواد الغذاء ، فكان تسميرها اياها صيبا لزيادة الغلاء ، ولم تر أهل هذه البلاد اتفقوا على مخالفة الحكومة وعدم الاكتراث لها بشي . كما فعلوا في تسمير الاقوات . فمن الثابت انها لم تنقص من ثمن شي . الا وزادوا فيه عما كانوا يبيعونه به قبل تسميرها اياه ، اللهم الا زيت البنترول فهو الذي استطاعت الحكومة أن تنفذ أمرها فيه تنفيذا مطردا . وقد كان ثمن رطل اللحم قبل تسميره ٦ قروش أو ٦ ونصف قرش فلما رفعت الحكومة الى هذا القدر ارتقى سعره كما علمت . وكان ثمن رطل السم ٩ فصار بعد جعلها اياه نحو ١٠ من ذلك بزها ضعفيه . وكان ثمن أقة القطن المكرر كمن رطل السم فصار شأنه شأن السم في التسمير والغلاء . وقرس على ذلك سائر الاشياء وأما ما يرد الى القطر من الخارج فقد تضاعفت آمانه الى ماشاءت أطماع تجاره التي لاحد لها ، فضاعف ربحهم وعظمت دولتهم ، وكلما غلوا في الغلاء ، غلا أهل الفنع والثراء في الثراء . وقد بلغنا ان أغنى أم الارض من الاوربيين والامريكيين ترك موسروها في أثناء هذه الحرب جميع ما بعد في العرف من الكماليات ، واكتفى الاغنياء منهم بالحاجيات ، ومن دولتهم بالضروريات ، حتى ترك أكثرهم شرب الخمر التي كان بعضهم يعبدها ضرورية ، وكسدت عندهم تجارة الترف والزينة وشذ اغنياء هذا القطر ، فاشتد تباريحهم في اتخاذ الحلي والحلل ، وتنافسهم في الاثاث والرياش ، وأرهب من دولتهم أهل الطبقة الوسطى عسرا ، فسلأله تعالى أن يجعل لهم مع هذا العسر يسرا .

تقريظ المطبوعات الجديدة

ان الاضطرار الى تقليل صحائف المنار على كثرة مواد دون تقريظ المطبوعات الجديدة في هذه السنة وما قبلها ، أو التنويه بذكرها للإعلام بها ، وذلك حق لأصحابها على من يهونها اليهم من أصحاب الصحف الدورية حقها العرف ، وأوجه التعاون على نشر العلم ، ولقاء هذه الصحف من الحق على أصحابها أن يلموهم بما يتجدد في صناعة المطبوعات ، من الصحف والمصنفات ، ويبينوا لهم قيمتها المعنوية قبل بيان قيمتها المالية ، بالتقريظ الصحيح ، والتقد الزيه ، وأنا نحب أن تؤدي الحقيق ، ونقوم بواجب النصيح للفریقین ، ولكن يمتد علينا تارة ويتمسرتارة قراءة ما يهدي إلينا من هذه المطبوعات أو قراءة طائفة من كل منها ، تكفي لصحة الحكم في أمرها ، ولا نحب أن نكون كن ينظر في فهرس الكتاب فيختار منه ما يظن أن فيه تقصيرا أو خطأ فيراجعه وينتقد منه ما يراه محلاً للاتقاد أو يختار موضعاً يوافق رأيه فينتقله ويخصه بالثناء ، ولا كن يثني على كل كتاب يهدي إليه ثناء مجمل ، أو ينشر ما يري له إليه صاحب الكتاب اطراء مفصلاً ، وخير من هذا وذلك أن يعرف صاحب الصحيفة بالكتاب تعريفاً تاريخياً بذكره وذكر اسمه واسم مؤلفه وموضوعه ووصف حجمه وورقه وطبعه ، وهو ما نجري عليه أحياناً ، وقد نزيد عليه بيان قيمته المعنوية أحياناً ، وإن من الكتب ما يعرف الجمهور قدره في الجملة بمجرد ذكره أو وصفه . وأنا نراجع الآن ما أهدي إلينا في هذه المدة ونذكر ما يقع في يدنا منه فيما بقي من أجزاء منار هذا المجلد

﴿ جرجي زيدان ١٨٦١-١٩١٤ ﴾ « ترجمة حياته ، مرآة الشمر » والكتاب حفلات التأبين ، أقوال الجرائد والمجلات في الرجل وآثاره » نشر هذا الكتاب اميل افندي زيدان نجل جرجي بك زيدان وورث الهلال من بعده مؤلفاً من ص ١٤٧ بحجم الهلال مطبوعاً بمطبعة الهلال في سنة ١٩١٥ وهذا الكتاب مستغن عن الوصف والتقريظ

﴿ مبادئ علم السياسة ﴾ كتاب لخصه سليم افندي عبد الاحد الكاتب

المشهور من بعض الكتب الانكليزية لمجلة الهلال فطبعته بمطبعها في سنة ١٩١٥ وجعلته ملحقا للسنة الثالثة والعشرين من مجلة الهلال. وهو ثلاثة أقسام (أولها) في الدولة - حقيقتها ونشوتها وسلطانها وصلتها بغيرها وأنواع الدول في القديم والحديث (ثانيها) نظام الحكومة - سلطانها بأنواعها وأنظمتها وسياساتها وإدارتها وأحزابها وغير ذلك (ثالثها) الحكومة والاجتماع، وفيه ذكر المذاهب الفردية والاشتراكية والانظمة الحاضرة. أما حاجة اللغة العربية الى مثل هذا الكتاب فشديدة لكثرة القراء الذين يهتمون بالامور السياسية وقلة ما في اللغة من موادها. وأما طبع الكتاب فنظيف وورقه جيد، وصفحاته ١٣٠ بشكل المنار والهلال

﴿خلق المرأة﴾ كتاب ألفه بالفرنسية هنري ماريون الذي كان أستاذاً في كلية الآداب بباريس وترجمه بالعربية اميل افندي زيدان صاحب الهلال وجعله ملحقاً للسنة السادسة والعشرين. وقد طالعت كلّه فألفت كتابه من أعدل الكتاب الاوروبيين في هذا الموضوع، وأرجو أن أكتب شيئاً في بيان ما استفدت منه، وقد طبع بمطبعة الهلال طبعاً حسناً ولكن على ورق غير جيد - والمذرة قلة الورق وكثرة الثمن - وصفحاته ١١٩

﴿الصبي - بحث في الاخلاق والتربية في قالب روائي﴾

كتاب الفتى فتاة انكليزية اسمها (ماري كورلي) وعني بترجمته بالعربية عبد العزيز افندي صدقي من موظفي وزارة المعارف والتزم طبعه نجيب افندي متري صاحب مطبعة المعارف وقد طبع الجزء الاول منه في العام الماضي في ١٢٨ صفحة أما المترجم فشاب نبيه يتوخى أن ينفع بلاده بما يترجم وليس ممن لا هم لهم من الترجمة أو التأليف الا الكسب فيختارون ما يلد للجمهور لا ما ينفعه، وعبارة حسنة ولكن فيها ما فيها من ضعف أساليب الجرائد وظلها، وذلك ما يعز أن يسلم منه كاتب عصري، وهو على ما أظن غير مغرور بها على علمه بأنها تفضل عبارات أكثر مترجمي القصص التي تنشر في هذه الايام، بل يحب الترقى والكمال في الترجمة والانشاء، ولا طريق لذلك الا عرض ما يترجم وينشئ لنقد بعض علماء اللغة والادب ومناقشة الكتاب قبل نشره أو بعده ولو بالجمل والجزء

وأما غرضه من ترجمة هذه القصة فقد بينه في مقدمتها وهو اكمال ما ينقص البلاد من القصص الجدية الجامعة بين لذة المطالعة والمائدة النافعة في تربية الاسرة، وقد شرح ذلك شرحا جليلا في صفحتين ونصف صفحة

تصفحت هذا الجزء، فألفيته مفيدا كما قال المترجم ولكن البلاد ليست فارغة خالية من مثله كما ادعى، كيف وقد طبع فيها كتاب (التربية الاستقلالية) مرتين وأوشكت نسخ الطبعة الاخيرة أن تنفذ، وهو اذا قوبل بما ظهر من كتاب (الصبي) يظهر انه أهم فائدة وأفضل، وأسلم من لغو القصص وأبعد، وما أعجني من الفوائد التي افرد بها كتاب الصبي أو خالف فيها غيره بيان كراهة الشعب الانكليزي لتعليم أولاده وتربيتهم في مدارس أجنبية. فان مؤلف كتاب التربية الاستقلالية (اميل القرن التاسع عشر) — وهو فرنسي — قد استحسن أن يربي الطفل الفرنسي في البلاد الانكليزية لان التربية فيها أفضل، وأن يعلم ويربى في بلاده اذا صار يافعا لينشأ فرنسيا وطنيا صادقا، ثم يكمل علومه في البلاد الالمانية، لان العلوم المالية أرقى فيها وأكمل. وأما مؤلفة كتاب الصبي أو قصته فهي تقول في التعليم في المدارس الاجنبية ما قال مالك في الحر، وتجعلها أدهى من الساعة وأمر، فقد ذكرت أن أم (الصبي) الجاهلة، التي جعلتها مثلاً للتربية الفاسدة، قد اختارت له مدرسة أجنبية، يتعلم فيها من اللغات والعلوم العقلية والجسمية، ما يؤهله لكل عمل في الحياة، على قلة الاجرة والنفقات، ثم ذكرت أن الصبي ارتاع لهذا الاختيار الذي يخرج به عن كونه انكليزيا «اذ كان وجدانه يحذره أن المدارس الاجنبية تبدل جنسيته وأخلاقه» ثم قالت إن الصبي ذكر ذلك لشيخ كبير مخبر يعرف البلاد الاجنبية فحذره من ذلك وأذره سوء عاقبه بقوله: إن المدارس الاجنبية لا تخرج انكليزيا مطلقا، انك تذهب الى الخارج شابا ظريفا مؤدبا كما أنت الآن، ولكنك لا تعود بتلك الصفات، ستعود وقد تعلمت الكذب والنفاق والخدعة، فعند ما تتحدث تهق كالخمر، وعند ما تسير تفقر كالضفادع، وسوف تخاف من الماء البارد، ولا يمكن الناظر الى وجهك أن يقول انك انسان حي، انك أجنبي متسخ حقير، هذا ما ستكونه. اهـ



أقول في حق الحكمة من رثاء ومن يؤمن بالحكمة قل
 فيها كثيرا وما يذكر الأولو الألبان

المكتبة
 ١٣١٥

في حق عبادي الذين يستمعون القول فينبون أحسنه
 أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألبان

قل عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوى و « متاراً » كثر الطريق

٣٥ شوال ١٣٣٦ — ١٤ الأسد (ص ٢) ١٢٩٦ هـ ٧ يوليو ١٩١٨

رد المنار

على الناقد لذكرى المولد النبوي (١)

لما وصل اليانا هذا النقد في بريد الشرق الأقصى كان أول ما خطر في بالنا قبل أن نقرأه أنه يجب علينا اذا وجدناه كله أو جله صحيحاً أن نشهد لصديقنا الناقد بالتدقيق والتحقيق وانه برز فيهما علماء مصر وغير مصر من البلاد الاسلامية التي اطعم كثير من علمائها على كتاب (ذكرى المولد النبوي) فلم يروا فيه بعض مآرآه هو من الخطأ، ثم قرأنا النقد فرأينا أكثره خطأ محضاً، وأقله ماله وجه أو شبهة، وهانحن أولاً نبين ذلك بما يحتمله المقام من التفصيل، مع اتقاء ما يمل من التلوويل

(الموضع الاول — تأليف الكتاب هل هو بدعة)

قد غفل الناقد عما حررناه في المقدمة من كون البدعة في احتفال المولد انما هي مجموع ما يمله الناس من خلط العبادات الدينية باحتفالات الزينة واللهو — الخ ما ذكر في صفحة ١ من المقدمة، وقد صرحنا فيها بأن قراءة قصة المولد هبارة هن قراءة شي من الحديث والسيرة النبوية لا ينكر منها الا جعلها من الشعائر الدينية الموهمة انما مشروعة أي بالتوقيت والاجتماع وغير ذلك. فغفل عن ذلك وجعل هذا العمل العلمي المفرد، عين ذلك المجموع المركب، ومن العجيب انه ادعى اننا ختمنا كل فصل من ذكرى المولد بما سماه الصلاة البتراء. غافلاً عن كون أهم فصوله وهو فصل تبليغ الدعوة لم يختم بصلاة بتراء ولا غير بتراء، وكذلك فصل مناقضة الدعوة، والجلاء الرسول (ص) الى الحجرة، ومثلها الخاتمة

أما قولي في آخر تلك الصفحة انني كنت اتهمي كتابة قصة للمولد لما ذكرت من الاسباب الثلاث فهو حكاية عن رأيي في هذه المسألة في السنين الحالية، وأما

(١) يحسن أن يراجع النقد في الجزء الثامن عند كل موضع من المواضع

ما أنفذته إثر ما كان من المذاكرة بيئي وبين البكري فهو ما ترجح عندي بعد ذلك وهو كتابة مصنف وجيز في خلاصة تاريخ المصطفى (ص) وسيرته، وحقيقة دعوته، وكتابات دينه وشريعته، يكون دعوة إلى الاسلام، وردًا لما فشا في قصص الموالد من الاباطيل والالهام، وأن أنشره مع بيان ما به تكون قراءته فريضة أو فضيلة محمودة، وما يكون به بدعة مذمومة، فتكون بذلك فوائد نشره مصاعفة، واني أعتقد أن هذا العمل واجب شرعا ولو فصّلت أداتي على ذلك لما خففت على أحد ولكن لاحاجة إلى هذا التفصيل

على أن آخر عبارة الناقد لهذا الموضع تفيد اجازة هذا التأليف ونشره في المنار اذ حصرت النقد في طبعه منفردا وختم فصوله بالصلاة البراء، ويعني بها ما ترك فيها الصلاة على الآل، لانه فيما يظهر ينكر ذلك ويراها بدعة محظورة، ويلتزم قرن الصلاة على النبي (ص) بالصلاة على الآل ولو فيما ينقله عن غيره كما يراه قراء نقده فيما نقله عن ذكرى المولده وهذا من التحريف في النقل ولا يخفى حكمه. ونحن لا ننكر أن الصلاة على الآل تبعا للصلاة على النبي (ص) مشروعة في الصلاة، وكذا في خارجها، ونحن نعلمها في التشهد من الصلوات دائما وفي غيره أحيانا، ولم يقم عندنا دليل على التزامها ولم يصح عندنا نقل عن السلف من الصحابة وعلماء التابعين ولا أئمة آل البيت بذلك، وانما تلزمه افرقة الشيعة وقليل من غيرهم، والتزامها أقرب إلى البدعة من تركه، لان الاصل في البدعة مخالفة ما كان عليه أهل الصدر الاول بشرطه، وأما طبع الكتاب وحده فهو كطبعه في المنار، والناقد نفسه يقترح أن يطبع مرة أخرى يراعى فيها ما رأى تنقيحه في نقده كما تقدم آفا

(الموضع الثاني - الفرق بين الامتياز وما به الاصطفا)

سألنا في الكتاب: كيف كان اصطفا الله تعالى لتلك البطون من العرب، وبم امتازوا على غيرهم حتى كانت أمتهم بهم أفضل الامم، وأشد استعدادا لتلك الاصلاح الكامل العام، الذي جاء به صفوة البشر منهم عليه أفضل الصلاة والسلام؟ وأجبنا عن ذلك بما شهدت به التواريخ العامة من امتياز الامة العربية على سائر الامم من بدء التاريخ إلى عصر الاصلاح الاعظم بالبعثة المحمدية، وبما عرف في تاريخ العرب

أنفسهم من امتياز كنانة فيهم وامتياز قريش في آل كنانة وامتياز بني هاشم في قريش - فعلم بهذا أن اصطفا كل بطن منهم كان بما امتاز به من الزايا والصفات والاحوال التي كان عليها ، وأن ذلك كان إحدادا لهم ، لجعل صفة الاصفاء في غير بطن منهم ، ولقيامهم بدعوته ، ونشرهم لهدايته ، ولم يتأمل الناقد ذلك فوقع فيها وقع فيه مما لم يخطر لغيره من الكتاب وعلاء اللغة عندنا يبال ، اذ لم يفتن لتكون ما به الامتياز هو سبب الاصطفاء أو نفس الاصطفاء .

(الموضع الثالث - انكار عطف واقتراح آخر)

أنكر الناقد علينا في جملة « كانت الامم مرهقة بالاثرة والانانية والابن من ثقل الضرائب » من الصفحة الخامسة ان عطف الابن على الاثرة غير صحيح أو غير واضح واقرح حذفه أو وضع فعل الابن المضارع موضع المصدر ، قال ليصح العطف أو ليكون أوضح ، ونقول ان لانكاره دون اقتراحه وجها وجبها واكنه لم يبينه ، وهو ان الباء في قولنا « بالاثرة » للسببية أو الآلة وكل من الاثرة والانانية سبب للرهق الذي أرهقته تلك الامم أو آلة له ، وأما الابن فهو أثر السبب أو الآلة وليس منه ، والوجه ان يقال « تأن » بغير عطف

(الموضع الرابع - أما وجوبها)

بيننا وجوه اصطفا كنانة وقريش وبني هاشم على غيرهم من العرب بأسلوب أما وأما - فانكر الناقد ذلك في كنانة بجعله هنا خلاف الاولى ، زاعما ان الاولى حذف أما وجوابها ، وبدء الكلام هكذا : اصطفا الله لكنانة يعلم مما كانت تحفظه العرب الخ ولم يبين وجه هذه الاولوية فتدعها الى القراء يحكون فيها بلهم وذوقهم (الموضع الخامس - ندوة قريش ورايتها «العقاب»)

زعم الناقد اتنا في هامش الصفحة الثامنة فسرنا الندوة بالشورى وخصصناها باباجالة الرأي للانتماء بالنبي (ص) بعد البعثة ، وأن المعروف ما ذكرناه عنها في صلب الكتاب ، وقد فهم ذلك من قولنا « التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للانتماء به (ص) » وبديهي أن وصفها بذلك لا يدل على ما فهمه من التخصيص وانما تلك غفلة ظاهرة منه

وأما انكاره قولنا ان العقاب راية قريش وقوله ان المعروف انها راية النبي

(ص) كما في القاموس، فما كان له ان يرسله بدون مراجعة لكتب التاريخ والحديث اذ كلمة القاموس وحدها لا تكفي للفصل في مثل هذه المسألة وهو يعلم ان معاني القاموس مشهور لا يعرف عامة الناس غيره لذكره في السيرة النبوية، وأشعار الشعراء تقول صاحب الحمزية

فقدنا ناظرا بعيني عقاب في غزاة لها العقاب لواء

فكان ينبغي له - والامر ما ذكرنا - ان يقول ان مجي هذه العبارة من صاحب المئارج على خلاف المشهور لا بد له من أصل، ثم يراجع المله يقف على هذا الاصل ويحكم فيه حكمه .

أشهر معاني العقاب (بضم العين) أنه طائر من الجوارح التي تصيد (ومنها) الحرب قلعه في اللسان عن كراع (ومنها) العلم الضخم نقله الجهور، قل في اللسان والعقاب الذي يعقد للولاة شبه بالعقاب الطائر وهي مؤنة أيضا . ونقل صاحب العقد الفريد في كتاب النسب عن ابن المنذر هشام بن محمد السائب السكبي أن الذين انتهى اليهم الشرف من قريش فوصلهم بالاسلام عشرة رهط من عشرة أبطن كان لكل منهم منصب ومكرمة من المكرم التي كانت اقريش - وهي التي ذكرناها في الصفحة ٨ - قل : فكان من هاشم العباس بن عبد المطلب بقى الحبيص في الجاهلية وبقي له ذلك في الاسلام، ومن بني أمية أبو سفيان بن حرب كانت عنده العقاب راية قريش واذا كانت عند أحد أخرجهما اذا حبت للحرب فاذا اجتمعت قريش على أحد أعطوه العقاب واذا لم يجتمعوا على أحد رأسوا صاحبها فقدموه اه المراد منه .

ويؤخذ من كلام علماء التاريخ والماديات أن طائر العقاب شعار قديم للعرب وقد عبر بعضهم عنه بالصقر وانما الصقر في اللغة اسم لكل ما يصيد من جوارح الطائر فان ظاهر ان قريش اسمت راية الحرب الكبرى بالعقاب من ذلك . أما كون رايته (ص) تسمى العقاب فلم يثبت في حديث صحيح ، ويحتمل أن يكون سبب هذا القول ان بعضهم أطلق هذا اللفظ على رايته الكبرى بمعناه اللغوي العام الذي هو العلم الضخم ففهم آخرون من لاطلاق ان العقاب اسم علم لها . وقد تلخص الخافظ ابن حجر في شرح (باب ما قبل في لواء النبي (ص)) من صحيح البخاري ماورد في كتب السنة في

ذلك وحكى هذا القول بصيغة التبريض والتضعيف . وقد رأينا أن نذكر هبارته برمتها لأنها فصل الخطاب في مسألة هذا الباب قل :

« اللواء بكسر اللام والمد هي الراية ويسمى أيضاً العلم وكان الاصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه . وقال أبو بكر بن العربي : اللواء غير الراية ، فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلقى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح . وقيل اللواء دون الراية . وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لحل الأمير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب . وجنح الترمذي الى التفرقة فترجم بالاولوية وأورد حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض . ثم ترجم للرايات وأورد حديث البراء أن راية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سوداء مربعة من نمرة وحديث ابن عباس كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض أخرجه الترمذي وابن ماجه وأخرج الحديث أبو داود والنسائي أيضاً ومثله لابن عدي من حديث أبي هريرة ولا يبي من حديث بريدة ، وروى أبو داود من طريق سماك عن رجل من قومه عن آخر منهم : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء ، ويجمع بينهم باختلاف الاوقات . وروى أبو يعلى عن أنس رقه « ان الله أكرم أممي بالاولوية » وأسناده ضعيف ، ولا يبي الشيخ من حديث ابن عباس كان مكتوباً على رايته لا اله الا الله محمد رسول الله وسنده واه . وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الراية البيضاء وبما جعل فيها شيء أسود » اهـ (الموضع السادس — توجيه قوى قريش لمعاداته «ص»)

أنكر الناقد قولنا في الصفحة التاسعة أن قوى قريش المعنوية وجهت كلها لمعاداته (ص) بأنها مشعرة بغاية الهجو وموهمة أن جميع قريش وجهوا جميع قواهم لمقاومته (ص) وأن هذا يخالف للسياق وللواقع ، ثم نوه بفضل قريش بما نوه به

ونقول في الجواب (أولاً) ان ما يتضمنه الكلام من هجو فهو خاص بمجاهلية قريش التي ذمها الله ورسوله والمؤمنون ، فقد فعلوا ما فعلوا وهم مشركون ، وما زال أكثرهم مشركين أكثر مدة البعثة ، وما صاروا يدخلون في الاسلام أفواجا لا يفتح مكة ، ويأس من بقي من زعمائهم بعد الحرب من الرئاسة ، وأي جرم أجدر بالنم والهجو

فما فعلوا من إيذاء الله ورسوله وفتنة المؤمنين وإخراجهم من ديارهم وقتالهم في دار هجرتهم، وذلك لا يقتضي ذم المؤمنين منهم ولو بعد الإيذاء، فقد كان خالد بن الوليد أشد كآتهم نكابة في قتال المسلمين، ثم صار أشدهم نكابة وبلاء في قتل أعدائهم الكافرين، (وثالثا) إن ما كان من كفر أكثرهم وإيذائهم لا ينافي ما ذكرنا من استعداد جمهورهم للاسلام بما ذكرنا من مزاياهم، فإن سبب الكفر والإيذاء كبير في الرؤساء المعروفين وحيلوتهم بين الرسول وبين الجمهور وتقليد الدهماء واتباعهم لهم، ولذلك كان صالح الحديبية فتحا مبينا بظهور ذلك الاستعداد فيهم وفي غيرهم من العرب عند ما صاروا يجتمعون بالمسلمين ويؤمنون منهم القرآن وصفة الاسلام كالينا ذلك في ص ٣٩ و ٤٠ من ذكرى المولد، ومن الدلائل على هذا حديث جابر مرفوعا عند أحمد ومسلم «الناس تبع لقریش في الخير والشر» وحديث أبي هريرة مرفوعا عند البخاري «خياركم في الجاهلية خياركم في الاسلام اذا فقهوا» (وثالثا) ان العبارة لا تدل بطريق الحقيقة ولا المجاز ولا السكانية على ان جميع أفراد قریش وجها جميع قواهم لمعاداته (ص) وإنما هي صريحة في توجيه قوى القوم المعنوية التي هي جواهرهم ومكائنتهم الدينية والادبية في العرب الى معارضة (ص) وأما تكون هذه القوى للبيئة الاجتماعية والجمهور الاعظم الذي يمثل الزعماء، وهذا هو الذي حصل فلا مجال فيه للجدال والمراء، ولم يكن الذين آمنوا به (ص) من قریش قبل الهجرة بقادرين على حماية الدعوة، ولا حماية الرسول وضملاء المؤمنين من الأذى والفتنة، بل كان أكثرهم محتاجا الى من يحميه ويحميه من جمهور قریش أصحاب الجاه والعترة والعظمة،

وقد أراد الناقد ان يكثر عدد السابقين الاولين من قریش الى الاسلام، ونصر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، فجعلهم ثلاثة أزواج: (١) السابقون الى الاسلام مع اخفائهم ومثل له أبي طاب، وقد ثبت في حديث الصحيحين ان أبا طالب مات على شركه وأنه أدنى أهل النار عذابا لدفعه عن الرسول (ص) وحياطته له وإن كان يباعث القرابة والمصية، و (٢) السابقون المحملون لمشاق التعذيب ومثل له آل ياسر وياسر من قریش وأما هم عتسيون من اليمن، ولم يذكرهم بما كانوا يقاسونه من تعذيب قریش لهم، وعجز جميع المؤمنين عن اغاثتهم والدفع عنهم، حتى ان

الذي (ص) كان يجرهم فيقول «صبرا يا آل ياسر موعدكم الجنة» و(٣) السابقون
القائمون بنصرته ونشر دعوته (قال) كحكمة وعلي وخديجة وأبي بكر وغيرهم، وقميلة يذكر
هؤلاء صحيح واكتنهم كانوا عدد اقليل لم يقدر واعي حماية أنفسهم وحماية الدعوة بل أخرجهم
جمهور قريش القوي مع الرسول (ص) وسائر المؤمنين من ديارهم بغير حق كما شهد الله
تعالى في سورة الانفال والحج والمنحة وما ذكره من فضائل قريش في نقده هذه العبارة
من حق وباطل خوذين ما ذكرناه نحن في هذه الرسالة بحق، ولنا نقاشه الا في قوله ان
الاسلام ما اعترى ودخل في طور القوة والممنة الابداسلام من تأخر منهم، فبقه نظره بل هو
غلط، فان الاسلام قد اعترى وقوي بدخول الانصار فيه وان كان فضل السابقين الاولين من
المهاجرين على الانصار مرموقا لا ينكر، في كونهم الاساس الاول والركن الاعظم، ولكن
أخانا الناقد الفاضل أحد أفراد عصابة جديدة ذات نزعة عصبية للعلويين من قريش،
وبهذه النزعة استغفره المتكبر واستعظمه جهاهير المطلعين على ذكرى المولد النبوي من
فضائل قريش عامة والعلويين منهم خاصة بحق، ولنا في هذه العصبية كلام نقوله بمد
ثم اننا نبرأ الى الله مما نقله عن الزمزمي في همزيتة وهو زعمه أن قريشا لم تبطل
بالإيمان بغضا وجفاء بل امتنعوا من تولي الرسول (ص) لئلا يشك فيه من يرى نصر
القرابة له، بل أخرنا ذلك الى أن تولى الله نصر دينه فلما كان ذلك دخلا في ه وصاروا رؤساء
له، فهذا الزعم يخالف لما علم بالضرورة من الكتاب والسنة وكتب السيرة النبوية كلها،
فلما ظهر منه ان الناظم يريد ان السواد الاعظم من قريش آمنوا بالنبي (ص) باطنا
وكتسوا اسلامهم لعلمهم بأن الله سينصر رسوله ويعز دينه بغير سبب ولا أحد من المؤمنين
من غيرهم) اذ الظاهر أن هذا الرجل وأمثاله ينكرون فضل الانصار الثابت بشهادة الله
ورسوله لهم بالايواء والنصر أو يصغرونه أو يخفونهم) فأحبوا أن لا يكون اظهارهم للاسلام
شبهة على نصره بالخوارق فأخروه لذلك؟ وماذا يقول في الايداء والممنة قبل الهجرة
وفي سبرهم من مكة الى المدينة لاجل قتال النبي (ص) والمؤمنين بعدها؟
هذا ولنا تنوي تبيح عبارات من كتاب (ذكرى المولد النبوي) عند إعادة
طبعه منها الاشارة في هذه العبارة التي ترد نقده الناقد لها نريد أن نخذها ونقول «ولكن
قواها (أو قوى قريش) كلها وجهت لمعاداته عليه أفضل الصلاة والسلام» بدل «ولكن
(المنار: ج ٩) (٥١) (المجلد المشرون)

هذه القوى كلها » فان هذه الاشارة وقعت حد كلام ليس مراداً منها ، والناقد لم يلمح ذلك (الموضع السابع — بعد الآكل عن الامور الحربية والرياسة)

قلنا في الصفحة العاشرة في بيان فذلك ما امتاز به بنو هاشم آل الرسول (ص) على سائر قومه من توبش : ان جملة ذلك الاخلاق العلية والفواضل العملية والفضائل النفسية ، والبعد عن الاثرة والامور الحربية ، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعد الاسلام .. فرد علينا الناقد بقوله : لعل ثبوت بعد الآكل عن الامور الحربية والرياسة لا يصح قبل الاسلام ولا بعده ، واستدل على الاول بما كان من المناصب الحربية لقريش قبل الاسلام وبما ذكرنا من امتياز كنانة ومالك وقصي في العرب ، وعلى الثاني بمحمل الآكل لالوية القتال وقيادة الجيوش في بدر وأحد وخيبر وحنين الخ وأقول في الجواب اني أجعل الناقد الفاضل عن ان يكون سوء الفهم ، هو الحامل له على هذا النقد ، كما يتبادر الى كل من قرأه وقرأ الاصل ، وأكد أجزم بأن سببه نزعة العصبية التي أشرت اليها آفاً ، فهي التي ألقت الى وهمه أن العبارة تدل بمحملها على عدم استبعاد آل البيت النبوي عليهم السلام للرياسة والملاكمة وما يلزمها من أمور الحرب ، فأراد أن يرد على ذلك نفقلاً عن أصل العبارة وعن معنى الآكل ، وأخذ يستدل على اصالتهم في الامور الحربية وهاشمتهم بأمرها ، بما كان لغبرهم من قريش من مناصبها ، وبما كان من الرياسة والملاكمة لبعض أصول قريش وأجدادهم كمالك بن النضر وكنانة ولم يكن لابي هاشم من تلك المناصب والرياسات التي ذكرها شيء ، انما كانت لهم سقاية الحاج لحب ، وكان يتولاها العباس ، الذي لا بعده الناقد ولا ذريته من الآكل ، أعني الذين وردت الاحاديث في فضلهم ونهزم الصدقة عليهم ، فأما الندوة والولاء ، فكانت لابي عبد الله ، وقيل ان الندوة والشورة كانت لابي أسد ، وأما السفارة فكانت في بني عدي وتولاها قبل الاسلام هجر بن الخطاب (رض) وقضبر هذه المناصب يعلم من هاشم ص ١٠ من ذكرى المولد ثم انه نفقلاً عن جعلنا امتياز بني هاشم بالاخلاق والفضائل دون الحرب ، وحسب الاثرة والكبر ، هبة لقلبة غبرهم بإياهم على الرياسة النبوية حتى بعد الاسلام ، ولم يفرهم نكتة هذه الفاية « حتى بعد الاسلام » والمراد منها ظاهر وهو ان الاسلام زاد

في امتيازهم وتفضيلهم ، فكان مقتضى ذلك أن يقدموا على غيرهم ، في كل ما يساون
غيرهم في الاستعداد له ، ونهنا الى حكمة ذلك . وهذا الغالب يصدق ولو لم يكن الا
لبني أمية ، اذ العبارة لا تدل على انهم يظنون في كل زمان وكل مكان ، على اهم
ظنوا في أكثر الازمنة ، والامكنة ، هذا هو الواقع الذي لامرأه فيه .

على انني اطلقت ضمير لآل في قولي « غلبوا » ولم يكن لاحد منهم صورة
في ذهني لا لعربيين وما كان من زهد أئمتهم في الدنيا ورياستها ، وما قابل ذلك
من أثره غيرهم وتكالبهم عليهم . وظلمهم بياهم ، لتحق القلوب بهم ، فأطلقت العام
وأنا أريد منه تعاضد ، والعبارة صادقة في كل حال ، لا تنقضها خلافة العباسيين
من الهاشمين الذين لا يعدمه النقاد من آل الرسول

ثم ان نفي الخلل الفانية بأمر الحرب من مزايي بني هاشم التي فضلوا بها صائريش
لا يقتضي أن يكونوا جبناء يفرون منها ، أو بلداء لا يحسنون التصرف فيها ، اذا هم اضطروا
اليها ، والحرب في نفسها شر لا يبيحه الا جعله دافعا لمفسدة هي شر منه ، واقامة مصلحة تصفر
في جانبها هذه المفسدة ، كما يعلم من أول ما نزل في الاذن للمؤمنين في القتال ، وذلك قوله
تعالي في سورة الحج (٣٧: ٣٢) اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير
٣٨ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس
بعضهم بعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ،
ولينصروا الله ، من ينصره ان الله اقوي عزيز (٤٣) الذين ان مكناهم في الارض
أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر . والله عاقبة الامور)
فبنو هاشم لم يكونوا يحبون الحرب للرياسة والكسب ، كغيرهم من العرب وغير
العرب ، ولم يوقدوا لذلك نار حرب قط ، وقد كانت حرب الرسول (ص) كلها دفاعا عن
الحق وأهله ، وأمانة لحرية الدين ودعوته ، ولكنه كان أشجع الناس وأثبتهم في
مواقف القتال ، ويليهِ (ص) في ذلك عمه حمزة وابن عمه علي المرتضى (رضي الله عنهما)
والشجيمان من بني هاشم لا يحصون عددا ، ولكن الشجاعة شيء . وحسب الحرب
للرياسة شيء آخر ، وفي كلامه هنا ما أخذ أخرى سيملم بعضها من الرد على بعض
المواضع الآتية ، على انه لا غرض لنا في مناقشته في كل ما أخطأ فيه .

المتفرنجون والاصلاح الاسلامي

٢

﴿ قاعدة اصلاح قانون الاحوال الشخصية ﴾

كان من أمر الحكومة المصرية بعد اعلان انكسار حمايتها عليها، وإلغائها منصب القاضي الشرعي الاكبر الذي كان يعين من قبل الدولة العثمانية عليها، أنها شرعت في أمر كان انفاذه في أيام ذلك القاضي متمذراً، وهو تأليف لجنة من علماء الأزهر وبعض المدرسين في مدرسة القضاء الشرعي ومدرسة الحقوق يرأسها وزير الحفانية لوضع قانون للاحوال الشخصية الخاصة بأحكام الزواج وما يتعلق به كالطلاق والفسخ والعدة والنفقة، تستمد مواده من فقه المذاهب الاربعة المشهورة ولا تتقيد بمذهب الحنفية وحده، بل يجعل القانون الذي كان وضعه قدري باشا الحنفي هو الاصل، ويؤخذ من فقه المذاهب الاخرى ما تراه اللجنة أسير وأكثر انطباقاً على مصلحة الناس في هذا العصر. وطالما تمنى طلاب الاصلاح في هذا القطر وغيره مثل هذا التيسير، ولكن ما جرت عليه الحكومة المصرية منتقد من وجوه أخرى بينها في مقال لم يتيسر لنا نشره، وقد كاشفنا ببعض أولى الشأن، وأهمها جمل الاحكام الشرعية قانوناً وما يترتب على ذلك، فالقانون اذا أطلق في هذا المقام ينصرف في العرف الى ما يقابل الشرع من الاحكام، ويتوقف الحكم به على اقرار مجالس الوزراء، وصدور أمر الحاكم العام (الدركيتو أو المرسوم السلطاني) به، ويلزم من ذلك جملة تشريعاً جديداً من هذه الحكومة يحكم به باسمها على أنها هي الواضحة له، ويتفقد وزير من وزرائها لا يشترط أن يكون مسلماً، وكون القضاء يطبقون الحكم على ما يفهمون من نصوصه وان كانت سقيمة لا تدل على ما قصدته اللجنة دلالة واضحة (قد اطلعنا على بعض ما وضع من هذا القانون فوجدنا فيه عبارات كثيرة في غاية الضعف والركاكة) وكونه سيشرح كما شرح غيره من القوانين قد تسبب الاحكام من عبارته (النص الحرفي) فيستعين بشرحه القضاء وكلاء الدعاري على فهم المراد منه والعمل بما يفهمون من ذلك، ولما كنت منتقدا لهذا الوضع بهذه الصورة لم أبين

رأيي في مواده عند ما أرسل الي وزير الحقانية الجزء الاول الذي تم منه كما أرسله الى كثير من علماء الشرع والقضاة والمحامين من شرعيين وأهلبيين ، لان ابداء الرأي في ذلك يتضمن اقرار أصل العمل والموافقة عليه ، ولست مقوله ولا موافقاً وقد انتقد كثير من أهل العلم بعض مواد هذا القانون في الجرائد واقترح بعض من أرسل اليهم ما تم منه اقتراحات عرضت على اللجنة العلمية المشغلة بوضعه، وعلت أن بعض المحامين الاهليين اقترحوا على وزير الحقانية اغتنام هذه الفرصة لابطال تعدد الزوجات وتقييد أحكام الطلاق بنحو ما كان اقترحه قاسم بك أمين فيما كتبه في المسألة التي بسمونها تحرير المرأة ، وإن أدري أعرضت أمثال هذه الاقتراحات على اللجنة أم التزنت الوزارة عرض ما هو منصوص في كتب المذاهب الاربعة ؟ وقد كنت بحث المتفرجين وخاصة علماء الحقوق منهم في مسألة قانون الاحكام الشخصية، وحديثهم في وجوب جملته مطابقاً لآراء الذين بسمونها الفئدة الراقية - يعني المفرنجة - وقد عني بهذه المسألة أحد اقدي صنوت وكيل نيابة (الدلتجات) فأنت فيما رسالة خرج فيها عن الموضوع الى ما هو أعم منه وأكبر ، وأعم وأخطر ، وهو نسخ نصوص الشريعة الاسلامية كما ابطال قواعدها وأصولها التي هي موضوع علم أصول الفقه، ووضع أصول أخرى لها براها الواضع مرقبة لهذه الامة الاسلامية من حضيض الممحنة القديمة التي كان عليها سلف المسلمين وخلفهم بزعمه ووهبه، الى فئة الترقى المدني الجديد الذي صعدت اليه الامة المصرية أو الفئدة الراقية منها، التي يحب عنده أو ينتظران بقية غيرها. وقد ألقى هذه الرسالة بصفة خطبة - أو محاضرة كما سماها - على جمهور كبير من هذه الفئدة بقاعة المحامين بالاسكندرية (في ١٥ أكتوبر سنة ١٩١٧) تحت رئاسة المحامي الطون بك سلامة. ثم طبعت ووزعت على الناس، وألقي الي نسخة منها، فوجب علي الرد عليها اشراً، وذلك ما رغب ويرغب فيه كثير من محسني الظن بي كما بينت ذلك في مقالة الجزء الذي قبل هذا ان مواضع النقد والبعث في هذه الرسالة (أو المحاضرة) ثلاثة أهمها. القواعد الجديدة التي وضعا هذا الباحث لتسخ الشريعة الاسلامية بهدم أصولها القديمة كلها. ويليه المسائل المراد اصلاحها من قانون الاحكام الشخصية وهي أربعة ذكرها بمجمل في ص ٥ (١) حرية المتعاقدين ولزومية العقد على الطرفين (٢) عدم التناقض مع قاعدة الحرية

الشخصية المقررة في قانون العقوبات (٣) رسمية عقد الزواج والطلاق (٤) تسهيل اجراءات الدعوى . وبيلي هذين مسائل متفرقة في موضوع الترقى الذي يدعيه هو وأمثاله ، ويطلب تغيير أصول الشريعة وفروعها لاجله . ونبدأ بالاول الامر فبين رأيه في أصول الشريعة وقواعده التي وضعا للتسخير وتبنيها بقواعدها الشرعية فيقول:

أصول الشريعة ورأيه فيها

قال في أول الصفحة ٢١ ما نصه: « أصول الشريعة الكتاب والسنة والاجماع والقياس . (أما القياس) فنصرف النظر عنه لاننا نسقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » يعني انهم سيقيدون على الاصول التي يشجعونها بأنفسهم بناء على ان لهم حق التشريع في الاحكام الشخصية كالاحكام المدنية والعقوباتية التي اشعر الحكومة فيها ما تشاء بارشاد الميسطرين عليها كما سيأتي بيانه ، ومنها ما يأخذونه عن قوانين الافرنج كما هي . مثال ذلك قاعدة الحرية الشخصية المقررة في قانون العقوبات ، ومن أحكامها ان الانثى متى تجاوزت السنة الرابعة عشرة يجوز لها ان تعاشر من تشاء بلا قيد ولا شرط ولا رباط شرعي ، وليس لوالدها حق لرجاعها عن فيها لداره ، كما صرح بهذا مؤلف الرسالة في الصفحة الثامنة وغيرها . وكما انه لا يجوز لوالدها بنت الخامسة عشرة فما فوقها ان يرددها ويمنعها عن غيرها اذا اختارت ان تكون خدنا لاحد الفساق ، أو بغيا تعرض نفسها للزنا في المواخير والاسواق ، كذلك لا يجوز تقاضي الشرع ولا للسلطان أو نائبه ان يرددها عن هذا الحق الذي حقه لها القانون ، ولذا : « لان القانون أباحه . أما ما أباحه الله في كتابه فلكل حاكم ان يحرمه عندهم كما سيأتي قريبا

قال : (وأما الاجماع) وحيثهم فيه حديث « لا تجتمع أمتي على ضلال » فنقسمه الى قسمين إما اجماع العلماء أو حكم ولي الامر السابق (كذا) وعلى حسب قواعد نظامنا القضائي لا تنقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الا ان نوافق على اجماعهم . وأما ما يقرره الحاكم بصفته صاحب السلطة التشريعية فيمكن تلخيصه ان يلفيه طبقا لقاعدة ان السلطة التشريعية تملك ان تاني ما تقرره طبقا لتأثير الشخصية الحاكم (كذا) وقد استشهد لهذه القاعدة بأن لكل سلطان ان يلفي ماوضه من قبله ، وجعل هذا الاجماع من هذا القبيل ، ثم قال ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضاء منهم

بتحكيم السابقين (قال) « ونحن الآن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » أي انه يرفض أحكام جميع المسلمين من السلف والخلفاء ، ولكنه ادعى أنه يتقيد بما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فانظر كيف يتقيد بذلك اقل في ص ٢٧

= ﴿ السنة ﴾ أريد أن أبطل القرآن من قبل لأن حكم اتباع السنة ناتج من حكم القرآن « القرآن بصفته كتاب الله قد أودع فيه كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في جميع العالم اتباعه ، فالذي ترك ولم ينزل في القرآن ترك ليكون لفرد حرية التصرف فيه ولولي الامر الرأي في تقييده بحسب ما يراه لازماً لمصلحة الجمهور . فالرسول بصفته ولي الامر حاكم الامة وقاضيا كان اذا سئل عن أمر حكم فيه وهذه الاحكام اما صدرت في مسائل فردية خاصة فتقيدت بها واما صدرت من الرسول لتكون قاعدة وحكماً عاماً وفي هذه الحالة تكون بمثابة قانون صدر من صاحب السلطة التشريعية ونفس هذه السلطة يملكها الحاكم في كل زمن بعده فيملك الغاء ما تقرر بمقتضاها « واذا استنتج ان السنة اما انها تخصصت بمحادثات فردية فصارت أحكاماً قضائية في طبيعتها ، واما اعممت في شكل قواعد وقوانين فصارت تشريعات صادرة من ولي الامر لزمته ، واذا ظهر من بعد الاحقين من أولياء الامر مصلحة للناس في تغييرها أو إلغائها كان ذلك ولا حرج . وهذا كله خاص بالأحكام المدنية فقط دون الدينية . ولا يناقض في شيء قوله تعالى « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » وقوله « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » اذ اننا اذا رأينا لزوماً للخروج عن السنة لمصلحة فلا يكون ذلك غير طاعة بل شيئاً آخر . وبديهي ان الرسول لو كان في هذا العصر لاختلفت سنته فيه ولو لم يسأل ما أبدى حكماً

= ﴿ الكتاب ﴾ قلت في الكلام عن السنة ان الله أودع الكتاب كل حكم شاء ان يفرض على كافة المسلمين في كل زمان اتباعه . فيكون الكتاب بذلك مقيداً للمسلمين فيما أمر . وبهذه المناسبة أعيذ القول ان ليس لأي حكم لم يرد في الكتاب حكم الفرض الواجب العمل به . وما زاد من الكتاب من سنة أو إجماع حكمه الجواز اذا شاء قام به الفرد وان لم ير مصلحة في ذلك فله المدول منه

« والاحكام الواردة في القرآن عدا المبادئ الاصولية الصامدة هي ثلاثة أقسام

(١) ما حرم عمله (٢) ما أوجب عمله (٣) ما أجزء

ثم بين أن حكم القسم الاول أن لا يتعرض له ولا يحكم بشيء بخلافه في مرامه ، كتحريم الأم والأخت والجمع بين خمس أزواج ، ويرمى الشيء غرضه ، والمراد أن يعتبر الفرض من الحكم لا الحكم نفسه فهو اذا كالعسم الثاني ، وحكم القسم الثاني أن يبقى منه ما يتحقق به الحكمة المقصودة منه . ومثل له بأية العدة والشهاد على عقد الزواج . وبين أن حكمة العدة براءة الرحم من الحمل وحكمة الاشهاد إعلان الزواج (قل) « فلا حرج في أن نصل الى الفرض ناقصود من أفيد الطرق وأخصرها » وعدة جعل المقد رسميا مفيها عن الاشهاد ، ومورد أكثر مدة الحل على الطلاق مضيا عن التقيد بالتريص ثلاثة قروء . أي ومثل ذلك ما اذا علم عدم الحل بالاطلاع على ما في الرحم بالاشعة التي تشف الجسم (أي نجه شفاقا) كالاشعة المعروفة بأشعة روتنجن ، فذلك يمكن إلغاء العدة على قاعدته . ثم قال بعد التثليل الذي ذكرناه بالمعنى « وبذلك ينقض وجوب التمسيد بالعلماني الحرفية الافاظ القانونية الواردة في القرآن » وأما حكم الثالث وهو ما جعله القرآن جائزا كتعدد الزوجات فهو ان الانسان مخير فيه ولكن اسكل حكومة ان تحرم منه بالقوانين الوضعية ما نشاء

هذا رأي أحمد افندي صوف في أصول الشريعة الاسلامية ذكرانه بقوله ويقترحه بصفته مسلما ، وهو هدم لاصول الشريعة كلها لا يوافق عليه مسلم في الارض وهو مسلم وسندين ذلك بالدليل في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

السيد الهمام - آل رضا

في آخر الساعة الثانية بعد النصف من ليلة الخميس ثمان بقين من شهر ذي القعدة الحرام الحلال (الموافق لحلول الشمس في الدرجة الخامسة من برج السنبلة سنة ١٢٩٦ هـ - ٢٩ أغسطس) قد وهب الله جل ثناؤه لصاحب هذه الحلة غلاما سويا أزهر اللون جميل الخلق كأخيه (محمد شفيع) الا انه أوسع غرة وأنحف بنية ، فسميناه الهمام (بضم الهاء وتخفيف الميم) فحمد الله وشكره على ما أحيانا به من مزيد نعمه ونسأله تعالى أن يجعل له أوفر نصيب من اسمه ، حتى يكون قرة عين لنا ولأمته وقومه ، ومثل ذلك لأخيه وأخته ، (ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما)

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المسحاة

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» قنار الطريق

٣٥ ذي الحجة ١٣٣٦ — ١٢ النيران (خ) ١٢٩٧ هـ ش ٦ أكتوبر ١٩١٨

رد المنار

عل الناقد لتذكرى المولد النبوي (*)

(الموضع الثامن — أولاد عبد المطلب)

أنكر الناقد ذكرنا في (ص ١٣) بعض أولاد عبد المطلب دون بعض وقال ان المقام يقتضي استبعادهم لان الاختصار في محل البيان يوم المحصر. ونجيب عن ذلك بأن المقام لا يقتضي استبعاد ذكركم لان الكتاب ليس في تاريخ بني هاشم وإنما هو خلاصة سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته وكليات دينه ومزايا ملته، وذكركم من أولاد عبد المطلب والده (ص) وأعمامه الذين لهم شأن عظيم في سيرته وهم أبو طالب والعباس وحمة (رض) ولكن العبارة قد توهم غير المطالع على تاريخهم ان هؤلاء جميع ولد عبد المطلب ولذلك قمنا العبارة في نسختنا الخاصة التي يعتمد عليها في الطبعة الثانية هكذا « وولد لعبد المطلب أولاد كثيرون أشهرهم أبو طالب والعباس وحمة

(*) تابعها في ج ٩ وبراجم النقد المردود عليه هنا في ص ٣٤٩ ج ٨

وعبد الله . وما الحاجة الى ذكر كبراء المشركين الضالين بعد سكوتنا عن ذكر أشهرهم أبي لهب ؟

﴿الموضع التاسع — ما لقي (ص) من جحود قومه وإيذائهم﴾
أنكر الناقد علينا اسناد الجحود والإيذاء الى قوم الرسول (ص) واقترح ان يصحح بقوله : فلقى أشد الجحود والإيذاء من زعماء قومه الذين أشقامهم الله . واحتج على ذلك بما قدمه من قيام كثير من قومه بمساعدته واجابة دعوته (ص) ونجيب عن هذا بما أجبنا به عن ذلك الذي قدمه وأهمه أننا اهتدينا في هذا التمهيد بالقرآن المجيد فقد قال تعالى (وكذب به قومك وهو الحق) ولم يقل زعماء قومك . ولهذا الاستعمال نظر فيه وفي كلام العرب ، ولا يعقل ان يشترط في لغة ما أن لا يسند الى القوم الا ما يفعله كل فرد من أفرادهم اذ لا يمكن العلم بهذا الا في قوم محصورين عملوا عملا شاهده منهم من أخبر عنهم وذلك نادر ، وأما المعروف انه يسند الى القوم ما يفعله الجمهور وان أنكره من لا يؤثر انكاره لضعفهم أو قتلهم ؟ وكذا ما يفعله البعض ولم ينكره الجمهور كقتل اليهود الانبياء وعمرهم لثناقة . وتفصيل الرد على هذه المسألة يعلم مما يأتي في الكلام على الموضع العاشر والموضع الحادي عشر

﴿الموضع العاشر — حمايته (ص) للقيام بالدعوة﴾
أنكر الناقد علينا قولنا في (ص ٣١) أنه (ص) كان يدعو الناس لحايته للقيام بهذا الامر فلم يحمه من قریش أحد ، واقترح أن تصحح العبارة أو تنقح بقوله : كان يدعو الناس الى أن يعصوا ما يحمونه للقيام بهذا الامر لخال زعماء الشرك دون ذلك الخ وهذا وما قبله من تلك المصيبة ، وغرضه ان ينزه قریشا عما ذكر وبسند الى زعماء الشرك على الإبهام ، والجواب عنه يعلم مما تقدم بالاجمال ، وأما التفصيل فهو في كتب الحديث والسيرة النبوية أبا راجع القارئ يجد فيه ان قریشا اشتد إيذاها للرسول (ص) بعد هلاك همه أبي طالب وانه خرج الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه — وهذه عبارة ابن هشام عن ابن اسحق — وانه كان يعرض نفسه على القبائل فيردونه حتى أجابه وفود الانصار (رض) وفي حديث عمرو بن مسلمة عند البخاري ان العرب كانت تقول دعوه وقومه فان ظهر هليهم

فهو نبي صادق. ولو كان فيمن آمن من قومه قوة ومنعة لما احتاج الى ذلك، بل كان كان يدعو القبائل الى الاسلام فقط. وهذا أمر مشهور متفق عليه ولم نر قبل هذا النقد الغريب أحدا بلغت منه العصبية لقریش حتى في شر ما كانت عليه في جاهليتها هذا المبلغ، وسنزيد هذا بيانا في الرد على الموضوع الآتي =

﴿ الموضوع الحادي عشر - ثباته (ص) في أحد ومن ثبت معه ﴾

قلنا في الكلام على شجاعته وثباته عليه الصلاة والسلام من (ص ٣٧) انه ثبت وحده يوم أحد. فأنكر الناقد علينا ذلك وقال انه « يذكر انه ثبت معه بضعة نفر من قریش وبني هاشم (قال) وكذا في حنين وهذه متعبة لهم يحسن ذكرها أشعارا عن أبا الاصطخفاء التي ذكرناها اه

والجواب ان الاحاديث الصحيحة تثبت انه (ص) افرد بالثبات في الغزوتين بالذات وثبت معه أفراد بالتبع، فالأولى ان يمطف يوم أحد على يوم حنين أو يكثفي بالثاني فانه ثابت في الصحيح بلفظه فلا غرو ان يذكر في مثل هذا السياق، وان قيده بما سيأتي للجمع بين الروايات، ففي بعض ألفاظ حديث أنس من صحيح البخاري انه « لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ومع النبي (ص) عشرة آلاف من الطلقاء (هم الذين أسلموا في مكة يوم الفتح) فأدبروا عنه حتى (بقي وحده) فنادى يومئذ نداً من لم يخلط بينهما: التفث عن يمينه فقال: يا معشر الانصار؟ قالوا ليلىك يا رسول الله نحن معك، ثم التفث عن يساره فقال: يا معشر الانصار: قالوا ليلىك يا رسول الله نحن معك» الحديث، ويؤيده حديث البراء في الصحيحين وهو انه سئل: أوليتم مع النبي (ص) يوم حنين؟ فقال أما النبي (ص) فلا - الحديث - وفي رواية: أفرتم عن رسول الله (ص) يوم حنين فقال: لكن رسول الله (ص) لم يفر... وفي رواية انه سئل: أتوليت يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي (ص) انه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقهم هوازن وأبو سفيان ابن الحارث أخذ برأس بخلته البيضاء» الحديث. وأبو سفيان هذا هو ابن عمه (ص) الحارث بن عبد المطلب وكان خرج الى النبي (ص) وهو قادم الى مكة فاتحاً فأسلم وحسن اسلامه. وروى ابن أبي شيبة من مرسل الحكم

ابن عتيبة أنه لما فر الناس يوم حنين لم يبق معه (ص) الا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم: علي والمباي بين يديه وأوسفيان بن الحارث أخذ بالعتان وابن مسعود من الجانب الايسر قال وايس يقبل نحوه أحد الا قتل . واختلفت الروايات فمن ثبتوا معه على أقوال: ٩ أو ١٠ أو ١٢ أو ٨٠ أو دون ١٠٠ أو ١٠٠ بضمة وثلاثون من المهاجرين والباقيون من الانصار وهذا الاخير تفصيل رواية أبي نعيم في دلائل النبوة ويروى عن المباي (رض) الله عنه انه أنشد في ذلك

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرأ من قد فر عنه فأشعوا

وعاشرنا وافي الجحام بنفسه لما معه في الله لا يتوجع

قال الحافظ في الفتح ولعل هذا هو الثبت ومن زاد على ذلك يكون عجل في الرجوع فقد فمين لم ينهزم وكان أول من ولى واتهم الطلقاء من قريش الذين دخلوا الاسلام يوم الفتح وما كلهم بصادق . وقال العلماء ما كل من ولى يومئذ كان فارا من القتال بل منهم من كان متحرفا لقتال أو متحيزا الى جهة أو فئة لاجل القتال وبعضهم جرفه التيار وهو لا يدري أين ذهب ، وقالوا في الجحيم بين رواية ثباته وحده ورواية ثبات القليل معه ان هؤلاء كانوا في خدمته وكان هو المهاجم وحده وهم يقيمونه من ورائه حيث توجه فوجهه الى قتال المشركين ولما رأى ما رأى من اختلاط الحابل بالنابل نادى الانصار قلبوه فكان النصر بهم وان كان فضل المهاجرين وثباتهم لا ينكر ، وكانت مزية بني هاشم ان اكبر العشرة أو الاثنى عشر الذين ثبتوا معه أولا منهم . وكان منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعثمان بن طلحة وما لبث جمهور الصادقين أن تبينوا الامر فصاروا يتراجعون

وقد ثبت في الصحيحين وغيرها ان النبي (ص) لما حاز الغنائم العظيمة في هذه الغزوة قسمها في قريش بين المهاجرين الذين أسلموا قبل الفتح والطاء الذين أسلموا يوم الفتح ولم يعط الانصار شيئا فوجد بعضهم ذلك فقال بعضهم اذا كانت شديدة فنحن ندعى ويعطى الغنيمة غيرنا . وقال بعضهم يغفر الله لرسول الله (ص) يعطي قريشا ويتركنا وسبوقنا تقار من دماءهم . فجمعهم (ص) في قبة آدم (جلد) وسألهم عما بلغه عنهم فسكت بعضهم وقال فقمناؤهم : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم

يقولوا شيئاً وأما ناس من أحدى أسانهم فقالوا كيت وكيت. فقال (ص) «أني أعطي رجلاً حديثي عهد بكفر أنألفهم — وفي رواية أن قريشاً حديث عهد^(١) بمجاهلية ومصيبة واني أردت أن أجبرهم وأنألفهم — أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله (ص) الى بيوتكم؟ قالوا بلى. وفي رواية انه خطبهم فذكرهم فضل الله به عليهم بالهداية والتأليف بينهم والغنى ثم قال «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وقد هبوا بالنبي (ص) الى رحالك؟ لولا الهجرة لكنت امرأاً من الانصار ولو سلك الناس واديا وشعبا وسلكت الانصار شعبا لاخترت وادي الانصار وشعباء الانصار شعار والناس دثار» الخ وقد بين العلامة ابن القيم الحكم في غزوة حنين في الهزيمة ثم في النصر وقسمة الغنائم ومنها انه (ص) لم يعط كبار المهاجرين من الغنيمة كالانصار، فراجع في زاد المعاد ولخصه الحافظ في الفتح

وأما ثباته وحده (ص) يوم أحد فهو ظاهر قوله تعالى (اذ تصمدون ولا تكونوا على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) فقد اتفقوا على انه نزل في هزيمتهم يومئذ قال الحسن البصري: فروا منهزمين في شعب شديد لايلون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم «التي عباد الله التي عباد الله» ولا يلوي عليه أحد. وروي نحوه عن ابن عباس وعطية الصوفي وقادة الالجلة الاخيرة فقد انفرد بها الحسن. وقد اختلفت الروايات فيمن ثبت معه (ص) وظاهر بعض الروايات الصحيحة أن الناس تولوا فلم يبق مع النبي (ص) غير أبي طلحة زيد بن سهل الانصاري يناضل عنه فكان ثباته معه لاجله فيصح ان يقال انه (ص) ثبت وحده يومئذ لان ثباته كان بشجاعته الذاتية وثبات أبي طلحة لانه رآه ثابتاً فوجب عليه ان يناضل عنه بسهامه ولما رآه غيره فعلموا مثل فعله، فقد كان سبب الهزيمة الاكبر اشاعة قتل النبي (ص) ولم يلبث أن تراجع الناس اليه لما علموا ببقائه فداء أبي وأمي (ص) قال السابقون الى ذلك عدوا من الثابتين معه واختلف في عددهم لان كل راو ذكر من رآه أو علم بوجوده معه فلا توافي بين رواياتهم، ففي حديث أنس عند البخاري: لما كان يوم أحد انهزم الناس عن النبي (ص) وأبو طلحة بين يدي النبي (ص) محجوب (أي مترس) عليه بمجحفه وكان أبو طلحة

(١) كذا في النسخ الصحيحة واعتمد بعضهم ان أصله حديثو عهد

رجلا رابعا شديدا للزعم (أي رمي السهم) كسر يومئذ قوسين أو ثلاثا وكان الرجل يمر معه بحجة من النبل فيقول «أنزها لابي طلحة» (قال) ويشرف النبي (ص) ينظر إلى القوم فيقول أبو طلحة بأبي أنت وأمي لا تشرف بصبك سهم من سهام القوم فخرني دون نحرك، ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر وأم سليم (هي أم أنس) وانهما لمشتريتان أرى خدام سوقهما (١) تنقران القرب على متونهما فترغانه في أفواه القوم (٢) ثم ترجعان فتسلانها ثم نجحان فتفرغانه في أفواه القوم ولقد وقع السيف من يد أبي طلحة اما مرتين واما ثلاثا . وفي حديثه عند مسلم أنه (ص) أفرد في سبعة من الانصار ورجلين من قريش يعني طلحة وسعدا . وفي حديث عائشة عند أبي داود الطيالسي قالت كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة قال كنت أول من فاء (أي رجع) فرأيت رجلا يقاتل عن رسول الله (ص) قال فقلت كن طلحة (قلت) حيث فاتني يكون رجل من قبومي وفي بينه وبينه رجل من المشركين فاذا هو أبو عبيدة فاتبيننا إلى رسول الله (ص) فقال «دوبكما صاحبكما» يريد طلحة فاذا هو قد قطعت أصبعه النخ . وفي الصحيح التنويه بسعد بن أبي وقاص فانه كان يناضل عنه (ص) وهو يقول له «أرم فذاك أبي وأمي» روى البخاري هذا عنه ، وروى عن علي كرم الله وجهه قال : ما سمعت رسول الله (ص) يجمع أبويه لاحد غير سعد . يعني في الفداء . وروى عن أبي عثمان التهدي انه لم يبق مع النبي (ص) في بعض تلك الايام التي يقاتل فيها غير طلحة وسعد . أي طلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص وهما حدثا أبا عثمان التهدي بذلك ، وروى الحاكم عن عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها قال : لما جال الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت فقلت اذود عن نفسي فاما أن أنجو واما أن أسشهد فاذا رجل مخمر وجهه وقد كاد المشركون أن يركبوه فلا يده من المحصى فرماهم .. واذا بيني وبينه المقداد فأردت أن أسأله عن الرجل فقال لي يا سعد هذا رسول الله (ص) يدعوك فقلت وكأنه لم يصبني شيء من الاذى وأجلستني امامه وجعلت أرمي فذكر الحديث اهـ من الفتح وفيه اختصار وقد قبله دحلان في سيرته عن المستدرک بزيادة واختلاف في بعض الجمل ومن الزيادة

(١) الخدم جمع خدمة وهي الخلايل وقيل الخدمة أصل السابق . والسوق جمع ساق

(٢) أي ترمان قرب الماء بمخنة وسرعة على ظهورهما وتسقيان الجرحى بسبه في أفواههم

أن الرجل المحرم لما رمى المشركين بالحصى تراجعوا عنه الى الجبل ففعل ذلك مرارا. فظاهر هذا الحديث انه لما جاء سعد لم يكن عنده غير المقداد وما يدرينا ان المقداد لم يكن معه من أول الامر.

قال الحافظ في شرح حديث أبي عثمان التمهدي من الفتح : وعند ابن هانئ من مرسل المطلب بن عبدالله بن خطيب ان الصحابة تفرقوا عن رسول الله (ص) حتى بقي معه اثنا عشر رجلا من الانصار. والنسائي والبيهقي في الدلائل من طريق عمارة ابن غزية عن أبي الزبير عن جابر قال تفرق الناس عن النبي (ص) يوم أحد وبقي معه احد عشر رجلا من الانصار وطلحة^(١) واسناده جيد وهو كحديث أنس الا أن فيه زيادة أربعة فلمعلم جاؤا بعد ذلك، وعن محمد بن سعد انه ثبت معه ١٤ رجلا ٧ من المهاجرين منهم أبو بكر و٧ من الانصار. ويجمع بينه وبين حديث الباب (أي حديث أبي عثمان التمهدي) بأن سعدا جاءهم بعد ذلك كما في حديثه الذي قدمته في الحديث الخامس (أي حديث أرم فذاك أبي وأمي) وأن المذكور من الانصار استشهدوا كلهم فلم يبق غير طلحة وسعد ثم جاء بعدهم من جاء. وأما المقداد فيحتمل ان يكون استمر مشتغلا بالقتال، وسيأتي بيان ما جرى لطلحة بعدها. وذكر الواقدي في المغازي انه ثبت يوم أحد من المهاجرين سبعة أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد وطلحة والزبير وأبو عبيدة ومن الانصار أبو حنيفة والحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت والحارث بن الصمة وسهل ابن حنيف وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير، وقيل ان سعد بن عباد ومحمد بن مسلمة بدل الاخيرين، فان ثبت حمل على أنهم ثبتوا في الجملة، وما تقدم فيمن حضر عنده (ص) أولا فأولا والله أعلم اه كلام الحافظ في الجمع بين الاقوال ..

فلم مما تقدم ان منقبة الثبات مع النبي (ص) يوم أحد خاصة بمن علموا بموقفه ودافعوا عنه قبل ان يتراجع الجيش وانها لم تكن للمهاجرين وحدهم بل كان للانصار

«١» هو ابن عبيدة ومخلص تمت الحديث أن النبي «ص» قال لا لحقهم المشركون وهو يصمد في الجبل «ألا أحد هؤلاء؟ فقال طلحة أنا يا رسول الله» فقال «كأنت باطلعه» فاستأذنه رجل من الانصار فأذن له فقاتل حتى نزل. فأعاد «ص» القول فلباه طلحة فقال له كما قال أولا فاستأذن أنصاري آخر فأذن له، وما زال يعيد ذلك ويجيب طلحة حتى لم يبق معه غيره فقاتل مثل قتال جميع من كان قبله وأصيبته أنامله. وفي رواية شلت أصبعه أو أصابعه وأنه جرح بضعة وثلاثين جرحا

الخط العظيم منهائه وأنه لم يكن مع المهاجرين أحد من بني هاشم غير علي كرم الله وجهه ورضي عنهم أجمعين

(الموضع ١٢١ - مدة اقامته (ص) بمكة بعد التبليغ)

قال الناقذ: ذكرتم في الجامعة انه صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة بعد بدء التبليغ عشر سنين والمشهور انها بضع عشرة سنة اه
وقول ان هذه المدة أظهر هفواته وأخبر بها فما ذكرناه هو النصوص في كتب الحديث والسير، وما ذكره وادعى أنه المشهور لم يقل به أحد. وإنما وقع الخلاف في الروايات الواردة في مدة اقامته بعد البعثة لا بعد التبليغ بين عشر وثلاث عشرة وجمع بينهما المحققون بأن المدة بين بدء الوحي وقرئته وبين الأمر بالتبليغ ثلاث سنين والمدة من بدء الأمر بالتبليغ الى وقت الهجرة عشر سنين، بين ذلك الامام احمد في تاريخه وغيره من المحدثين واعتمده ابن اسحق وغيره من أصحاب السير. فهل بلغ من الناقد الفاضل التمهيب لمكة كاهلها أن حفظ المدة من ابتداء الوحي بالروايات الصادقة الى وقت الهجرة حفظا إجمالياً نسي تحديدها وصفتها فجعلها بضعه عشر عاماً من أول التبليغ، وعلى هذا يحتمل أن تكون سبع عشرة سنة أو تسع عشرة سنة وأن تضاف اليها مدة الفترة فتكون ٢٣ سنة! ومن المشهور الذي يحفظه العوام وصبيان المكاتب في مدارس الناقد الفاضل كغيرها ان النبي (ص) بعث على رأس الاربعين وتوفي في ربيع الاول من السنة الحادية عشرة للهجرة هن ٦٣ سنة، فسبحان من لا ينسى ولا يذهل وقد أضاف الناقد الى هذا الموضوع مسألة أخرى قادى اننا لم نذكر في الكتاب دخول الاسلام في عهد القوة والمنمة بعد فتح مكة بدخول قريش فيه واتباع العرب لهم، ورجا ان نذكر ذلك في المستقبل لانه مظهر مزايا الاصطفاة. ونحب بأننا ذكرناه بالاجمال، ولا يتسع هذا المختصر للتفصيل

ونحب أن نصرح لاختينا الناقد الفاضل بأن كتاب ذكرى المولد النبوي لم يوضع لشرح حديث الاصطفاة ومناقب قريش وبني هاشم فنذكر فيه كل ما يتعلق بذلك من تاريخهم في الجاهلية والاسلام وإنما شرحنا الحديث شرحاً لم نطلع لاحد على مثله لبيان حكمة بعثة النبي (ص) في خير بيت من بيوت الامة العربية «لرد بقية»

المتفريجون والاصلاح الاسلامي

٣

الاسلام وأصول الشريعة

قد علم مما تقدم في المقائين الاولين ان من المتفريجين من يدعو المسلمين الى هدم أصول الشريعة الاسلامية كلها والاستعاضة عنها بقوانين يضعها حكام كل قطر مستقل بأرائهم ، وان استمدوا أصوله وفروعه من قوانين أم أخرى مخالفة للمسلمين في عقائدهم وآدابهم وعاداتهم وصالحيهم ، وان من هؤلاء المتفريجين من يلبس على المسلمين بما يدعونه اليه من افساد دينهم وهدم شرعهم الذي هو أعظم مقومات أمتهم الرابطة بين شعوبهم بما يلبس دعوته من ثوب الاصلاح ، وان أغرب أحوالهم المتناقضة أن بعضهم يتكلم باسم الاسلام ويدعي امكان الجمع بينه وبين نذأصوله كلها استهجانا لها يزعم انها وضعت لقوم لم يرتقوا الى الكمال الانساني الذي ارتقى اليه هؤلاء المتفريجون ، ومن أم أصوله اباحة السفاح بالبغاء أو اتخاذ الاخذاء لكل عذراء تجاوزت السنة الرابعة عشرة أي صارت بليتها مستعدة لهذا التمتع الفسد للصحة الجالب للدواء القاتلة المقل لتسل الامة المشوه لا دأياها الموقع للمداوة والبنفضاء بين أفرادها وأسرها

جهر بهذا صاحب الخطبة أو الرسالة التي ردت عليها في هذه المقالات بما تقدم بيانه في المقالة الثانية مع الوعد بالرد عليه واننا نبدأ الرد بكلمة وجيزة في بيان ما يناسب المقام من تعريف ما يكون به المسلم مسلما ليعلم هل يمكن الجمع بين الاسلام وبين ما جاء به ودعا اليه أحمد صفوت أفندي من حيث هو مسلم وان كنا قد يتناهد في المنار من عهد قريب لثلا يقع بمض الجاهلين فيما بعده جميع المسلمين كفرا وهو لا يدري فتقول

الاسلام والكفر

ان الاسلام الصحيح عبارة عن الاذهان النفسي والخضوع الفعلي للجمع ما جاء به محمد خاتم النبيين والمرسلين (ص) عن الله تعالى مع الاعتقاد الجازم بأن كل ذلك حق وخبر وان كل ما يخالفه باطل وشره سواء كان ذلك المجرم بدليل قطعي أو اقناعي

أو بغير دليل كما هو رأي الجمهور في حجة ايمان المقلدين. فمن أذعن بالفعل ظاهر او هو غير مؤمن بما ذكره موافق، ومن اعتقد وأيقن ولم يدع فوجاحد مجاهر، كما قال تعالى في قوم فرعون (وجحدوا بها واسقيقتن انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين) وان الاذعان والخضوع لبعض ما جاء به الرسول دون بعض كفر كالامان ببعضه دون بعض، قال تعالى فيمن خالفوا بعض احكام كتابهم الديني (فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) ولذلك أجمع أهل الحل والمقد من الصحابة بعد التشاور على قتال مانعي الزكاة وعدوهم مرتدين عن الاسلام. وليس منه مخالفة بعض الاوامر والنواهي بحمل أو تأول أو جهالة كغلبة غضب أو شهوة مع الاذعان النفسي في عامة الاحوال، والعمل بما سوى هذه الشواذ، فان الجاهل يرجع اذا زال جهله بالعالم الصحيح، والفاسق يتوب اذا زالت جهالاته بذكر الله وتذكر الوعد والوعيد (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب) فهذا هو الاسلام الذي لا يمتد المسلمون بدين من خالفه ولا يعدونه منهم، فلا يرثونه ولا يرثهم، ولا يحل لهم ان يزوجه مسلمة منهم، ولا أن يدفوه في مقابرهم. ثم ان ما جاء به الرسول قسمان قطعي الرواية والدلالة وغير قطعي، وقد ينشأ حكم كل منهما في تفسير الحزب الماضي من المنار. ومن القطعي المعلوم من الدين بالضرورة ان محمدا (ص) خاتم النبيين ويلزمه أن شرع الاسلام باق ما بقي البشر لا يفسخه شيء، وقد أمر الرسول (ص) من كان في عصره من المسلمين أن يبلغوا من بعدهم، ولم يفرق أحد من سلف المسلمين وخلفهم بين من بلغتهم دعوته (ص) منه في عصره، ومن بلغته من غيره بعده. فمن يدعي الاسلام ويزعم ان ما جاء به الرسول من احكام الشرع لم يكلف اتباعه فيه كله الا الذين كانوا في زمنه لانه كان حاكما، وأن من بعدهم لا يكافون الاتباع ما تشريعه لهم حكاهم سواء كانوا منهم أو من غيرهم، وأنه لا فرق بين هؤلاء الحكماء وبين الرسول في كونهم شاربين يجب اتباع احكام شرعهم في الامور الشخصية والمدنية والتأديبية على سواء وينسخ المتأخر منهم ما شرعه من قبله من يدعي ما ذكر - فقد جاء بدين جديد معارض لدين الاسلام مع اتعاله لاسمه

ولا يعتقد أحد بإسلامه الا من استجاب له وقبل دعوته، كما فعلت فرق الباطنية قد بما وحديثاً
فاتهم حرقوا أصول الاسلام وفروعه وشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، فلم يستد المسنون
باتجاههم لقب الاسلام في الظاهر بل سموهم بأسماء أخرى كالاسماعيلية والدرور
والنصيرية والباوية والبهائية، ولم يبح مسلم سني ولا شيعي ولا خارجي أكل ذبايحهم
ولا تزويجهم ولا التزوج منهم، لانهم أبعد عن الاسلام من أهل الكتاب الذين
يبيح السواد الاعظم من المسلمين أكل ذبايحهم والتزوج منهم، فكيف بالتوارث
الذي لا يحل بين المسلمين وأهل الكتاب؟ فيجب على قائل ذلك القول وهلى من
صدقه أن يرجعوا عنه إذ قد قالوه من جهل بحقيقة الاسلام، وهسى ان يكونوا قد
فعلوا، فتحن أحرص الناس على عدم اخراج أحد ينتمي للاسلام من خطيئته،
وانما نبين الحقيقة عند الحاجة في نفسها، ولا نحكم على شخص معين بها ولا بلوازمها
وانما نمين الاشخاص على الحكم على أنفسهم، وعلى معرفة حكم الله فيمن يفزفون
حالمهم، سواء كان في مسألة الشارع والتشريع أو في غيرها. ومن الاصول المجمع
عليها بين المسلمين أن لاحكم لغير الله بعد ورود شرعه، وسيأتي الكلام في ذلك ومن
كان في قلبه شبهة من ذلك القول الناقض لهذا الاصل فيجب عليه ان يبحث حتى
يزيلها. ويخلص قلبه بوجوب اتباع الرسول (ص) في جميع ما ثبت عنه من أمر
الشرع وسرد الشبهات التي ذكرها احمد أفندي صفوت في بحث الكتاب والسنة
بعد هذه المقدمة التي وفيها بوعدنا في آخر المقالة الثانية. نبدأ بنقل كلام
أحمد أفندي صفوت على الترتيب الذي ذكرناه في تلك المقالة فنقول:

القياس من أصول الشريعة

القياس ليس من الاصول التي أجمع عليها المسلمون بل الفقهاء فيه فريقان
أحدهما يثبتها وهم الجمهور ومنهم المقتصد فيه والقاتل بانه ضرورة تقرر بقدرها، ومنهم
المقتصد فيه والمبالغ في التوسع، وتنبها ينكره وهم الظاهرية. وقد يناحج الفريقين
ونحقيق الحق في ذلك في تفسير قوله تعالى (١٠٤:٥) يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن
أشياء ان تبدلكنم تسؤلكم الآية^(١) والقياسيون لم يقولوا بالقياس الا بما ظهر لهم من

الدليل عليه من الكتاب والسنة. والظاهرية لم ينفوا القياس الا لاعتقادهم أن نصوص الكتاب والسنة وقواعدها مغنية عنه

وأما غلاة المتفرجين فانهم يردون القياس لانه مبني على كتاب الله وصحة رسوله لالانهم يستقنون عنه بنصوصهما كاظاهرية من علماء السنة ، بل هم يرغبون ههنا بالذات وعنه بالتبع لهما ، ويستبدلون بأصولهما وأحكامهما أحكاماً أخرى يقيسون عليها ، صرح بذلك أحمد افندي صفوت في خطابه كاتقائه في المقالة الثانية عن ص ٢١ من رسالته ، قال

« أما القياس فنصرف النظر عنه لاننا سنقيس بأنفسنا على أحكام الاصول الاخرى » أي الاصول التي تشرعها لهم حكوماتهم كاصل الحرية الشخصية في القانون المصري ، وتقدم بيان ذلك والتشليل له في المقالة الثانية ، ولا نطيل القول في هذه المسألة لانه غير مقصودة لذاتها ، ولان رده القياس الفقهي ليس الدليل شرعي ولا عقلي على فساده ولا لكونه ينافي الحق والعدل ، وسيأتي له ذكر في الكلام بعد .
الاجماع من أصول الشريعة

قد اختلف علماء أصول الفقه الاسلامي في الاجماع الاصطلاحي الذي عرفوه بقولهم « هو اتفاق مجتهدي أمة محمد صلى الله عليه وسلم بعد وفاته على أمر من الامور » فقال بعضهم بعدم مكانه وبعضهم بعدم امكان العلم به وبعضهم بعدم امكان نقله الى من يحتاج به وبعضهم بعدم كونه حجة ، والا امام أحمد والظاهرية لا يحتجون الا باجماع الصحابة ، ويستدل العلماء الذين يحتجون بالاجماع الاصطلاحي - وهم جمهور سائر المذاهب - بآيات من القرآن وأحاديث فهموا منها اثبات حجة الاجماع أدناها مرتبة في الرواية حديث ابن عمر « لن نجتمع أمي على الضلالة » كما رواه الطبراني في الكبير عنه ، أو « لا تجتمع أمي على ضلالة » وبالله على الجماعة ، ومن شذذ الى النار ، كما رواه الترمذي عنه ، وقد نوزعوا في دلالة ما استدلوا به على اجماعهم الاصطلاحي ، وقد حررنا بحث الاجماع وما يقوم الدليل عليه منه في تفسير قوله تعالى (٤ : ٥٨) يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) وبيننا هناك ان أصول الشريعة لاسلامية أصح

وأعدل وأفضل من جميع أصول الحكومات الشوروية التي يسمونها في عرف هذا العصر بالنيابية وبالديمقراطية^(١)

وأما غلاة المتفرنجين فيردون اجماع المسلمين من الصحابة وغيرهم بغير علم ولا فهم لانهم يربون عن كل ما هو اسلامي قديما كان أو حديثا الى قواعد تشريعهم الجديد الذي تذكر بعض مسئلة في الاحكام الشخصية من هذا البحث لا تحاماة لاجماع للمعدل أو للمصلحة مشأهم فيه شأنهم في القياس كما تقدم آنفا

قال استنهم أحمد افندي صفوت في خطابه المهود: [وأما الاجماع وحجتهم فيه حديث « لا تجتمع أمتي على ضلال »^(٢)] فقسمه الى قسمين اما اجماع العلماء أو حكم ولي لام السابق وبحسب قواعد نظامنا القضائي لا تنقيد برأي مهما أجمع عليه الشراح الى أن نوافق على اجماعهم [له فجل حكم ولي الامر السابق داخلا في معنى الاجماع وما هو منه في شيء] ، وفسر اجماع العلماء بما يتفق عليه شراح كتب الفقه من الآراء — كما هو المتأدر من عبارته — وهذا الاطلاق باطل كما علم من تعريف الاجماع الذي ذكرناه آنفا . ثم انه زعم ان المتأخرين هم الذين جعلوا الاجماع حجة رضا منهم بحكم السابقين (قال) « ونحن نرفض حكم المتأخرين والسابقين » فهو بعد قوله ان علماء المسلمين يستدلون على حجية الاجماع بالحديث الذي ذكره ولم ينزع في دلالة على ذلك يرفضه بصفته مسلما ويدعى أن المتأخرين وحدهم هم الذين جعلوه حجة . وذلك دليل على انه لا يعرف معنى الاجماع ولا تاريخه ، وانه لا يفهم معنى ما يقوله وما يكتبه بالعربية ، دع ما فيه من الخطأ والغلط اللغوي ، فهو اذا لا يرفض شيئا من اصول الشريعة — دع فروعه — التي هي تبع لها في الرفض — لانه لا دليل عليه ، ولا لأن دليله معارض بما هو أقوى منه ، ولا لانه غير مطابق لمصلحة المسلمين في هذا العصر ، وان كان هو وأمثاله يزعمون ذلك بغير علم ، بل لانه يستبدل بما شرع الله وبكل ما ينفي عليه ما بشرعه الناس وان اختلف في كل قطر اسلامي باختلاف أفكار الشارعين أصحاب

«١» يراجع ذلك في محلي المنازل ١٣ و ١٤ وفي الجزء الخامس من التفسير

«٢» صوابه ضلالة كما تقدم آنفا

السلطة والنفوذه بحيث يكون للمساكين عشرات من الشرائع في أحكام الزواج والطلاق وما بينهما وفي سائر الأحكام حتى يخرجوا عن كونهم أمة واحدة كما ساءم الله تعالى . ومن يرفض أصول الشريعة الإسلامية وجميع أحكام أهلها من المتقدمين والمتأخرين لما ذكرنا من العلة كيف يبالي بتفريق شمل الأمة وتقطيع جميع الروابط والقومات التي كانت بها أمة ؟ ومن كان مكانه من الإسلام والعلم به صالح أهله ما ذكرنا فهل يستبعد منه أن يمد هذا الفساد اصلاحاً وطنياً كما نسمع من أقواء هؤلاء المتفرنجين كثير أو نرى مثله فيما يكتبون أحياناً ؟ قلنا ان فريق الغلاة من هؤلاء المتفرنجين يرفضون الاجماع وهو اتفاق علماء الشرع المستقلين من المسلمين لانه اجماع المسلمين ، وما ذاك الا انهم مرقوا من دينهم ولا يحبون ان يبقى لهم به صلة ما بل يحاولون افساد عقيدة كل من استطاعوا فتنه من أهل هذا الدين كما يفعل أمثالهم من دعاة الأديان أودعاة الالحاد

قلنا انهم يرفضون القياس الإسلامي أيضاً لانه يستند على نصوص الكتاب والسنة التي لا يدينون بها ولكنهم يجيزون القياس على ما يستحسنون من نصوص القوانين الوضعية . كما انهم يستحسنون العمل بما يتفق عليه علماء هذه القوانين من أي ملة كانوا ، ومن قبل رأي الافراد من قوم فهو أجدر بقبول رأي الجماهير منهم وقلنا انهم لا يرفضون ذلك بدليل عقلي ولا شرعي فيكون موضوع المناقشة بيننا وبينهم كما وقع بين من قبلنا من سلفنا كالظاهرية والقياسية وفقاة الاجماع الاصولي هل اطلاقه ومثبته وكما يقع الآن بين المستقلين في الفهم منا .

وأما غير الغلاة المرتدين من المتفرنجين فيوجد فيهم من يجد في صدره حرجاً من الفقه الإسلامي اذ يرى كثيراً من فروعه غير معقولة أو غير عادلة ويرى ان قائلها لاجحة لهم عليها غير أقيسة لهم يعتقد أنها آراء لهم أو مفهومات اعبارات كتب مذهبهم لا يظهر لها أصل من نصوص الكتاب والسنة ، أو دهورى اجماع لم يثبت باتفاق المحدثين والمؤرخين على نقله ، ولا حجة على جملة كالنص الذي لا سبيل الى تقضيه ، ويوجد فيهم من قد ينكر كون القياس حجة ، أو من ينكر كثيراً مما ذكرناه مسائل الملة ، ومن ينكر حجية الاجماع أو إمكانه أو إمكان العلم به ، وأكثر منهم من ينكر كونه حجة دائمة باقية كالكتاب والسنة ، وكون آراء الفقهاء الاجتهادية

شرهاً ثابتاً يجب العمل به وإن ظهر لنا من النصوص خلافه ، أو ثبت بالتجربة ضرورة في مصالح الامة الشخصية أو النزية ، أو شؤونها الاجتماعية والسياسية ويوجد فيهم وفي غيرهم من مستقلي الفكر من يظنون بادي الرأي أن أكثر أحكام الفقه القضائية والسياسية آراء للمجتهدين إن كانت كلها أو جلها موافقة لمصلحة في الزمن الذي وضعت فيه فقد صارت غير موافقة لمصلحة المسلمين أنفسهم في هذا الزمن وفي كل فريق من ذكرنا مقتصد في تقديم هذا الفقه ومصرف ، ومستدل ومقلد ، ومن المستدلين الواسع الاطلاع ، والحافظ لقليل مما يتقدم من الاحكام ، ومنها بعض الاحكام الشخصية التي ألغت اللجنة المعودة لاجلها . ومن يراجع مجلد المنازع الرابع يرى فيه مناظرة في نقد الفقه الاسلامي بين كاتبين من أشهر الكتاب المعتدلين وقد مر على أول بحث حضرته بمصر في هذه المسألة زهاء عشرين سنة وكان في دار سعد زغلول (باشا) ولم أنس كلمة قالها ثم قاسم بك أمين لمن ذكر في الاشارة المتقدمة مسألة الربا وهي : ان نحریم الربا منصوص في القرآن وكل مانص في القرآن يجب أن يؤخذ بالتسليم من غير بحث ، وإنما نبحث في أقوال الفقهاء . اه وبعد هذا بسنة أو سنتين زرت الأستاذ الامام في يوم هيد فالتفت في مكتبته داخل الدار مع أحمد فتحي زغلول (باشا) محتجباً عن جواهر المهنيين الذين يجلسون في حجرة الاستقبال ريثما يشربون القهوة وينصرفون ، فلما جلست اليهما وجدتهما يبحيان في مسألة الاجماع ورأيت الأستاذ يوافق جلوسه في بعض ما ينكره من مباحث هذه المسألة فقالت لها اني أفهم في الاجماع معنى آخر غير المشهور في كتب الاصول وهو اتفاق أهل الحل والعقد كلهم أو أكثرهم مجتهدين هل ما لانص عليه من الامور المتعلقة بمصالح الامة القضائية أو السياسية سواء كان في استنباط الاحكام لها أو في تنفيذها وأرى ان ذلك ينطبق على أدلة الاجماع ويوافق عمل السلف كجمع الخلفاء الراشدين أهل العلم والرأي للشاور فيما لم يرد فيه نص من الكتاب ولم تجز به سنة نبوية ، وفي مباينة الخلفاء . فقال الأستاذ ان هذا المعنى صحيح لا اشكال فيه ولا اعتراض عليه واستحسنه أحمد فتحي غاية الاستحسان . وقد بينت هذا المعنى بعد ذلك بما كتبت في المقالة الثالثة عشرة وهي المقالة الاخيرة من مقالات (محاورات المصلح والمقلد) في بحث الوحدة

الاسلامية في السياسة والقضاء المنشورة في مجلد المنار الرابع وقد اطالع عليه الاستاذ الامام يومئذ فأعجبه، ثم زدته بياناً في تفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) المنشور في أواخر المجلد الثالث عشر وأوائل المجلد الرابع عشر من المنار بعد ان نقلت من الاستاذ الامام قوله انه اهتدى اليه بعد البحث في المسألة والتفكر فيها هدة سنين، وانه كان يظن انه لم يسبق اليه حتى رأي النيسابوري صرح به في تفسيره. وقد ذكرت هنالك ان النيسابوري أخذه من الرازي وزاده بياناً لم يأت قولها ووضحته بكلام السعد التفتازاني في مسألة انعقاد المباينة بالإمامة. وقد حققت في المسألة ان الاجماع في الاسلام في معنى محال نواب الامة في القوانين الاخرى الا انه أكل منها. والقياس وهو ركن الاجتمه لا افراده هو وعدمه أيضاً يجري عليه القضاء وكلاهما الدعوي وشرائح القوانين، فاقوم قد اقتبسوا من أصول الفقه الاسلامي وفرعه ما ارتقت به قوانينهم ونحن أهملنا وقصرنا ورضينا بالجهل الذي هو التقليد حتى صار أهل شرعنا ينفرون ويغفرون منه ويقلدون الاخرين أو يمجتهون في قوانينهم، ولو لم يحرمهم علماء السوء الجامدون وأمرأه الجهل الظالمون من الاجتهاد في شرعهم، لما فروا الى شرائع الاجانب وقوانينهم، ألا انه لا علاج لردة بعض المرتدين ولا بداع كثير من المبتدعين ولا نصف سائر المتفرنجين الذين لا يزالون مؤمنين، الا سلوك سبيل الاستقلال في فهم الشرع، وبيان مكانته من المساواة والعدل، ومواقفته لمصالح الناس، من جميع الاجناس، وشرح معنى قولنا انه أعظم مومات هذه الامة تبقى بقاءه وتزول بزواله، وتفصيل ما يتبع ذلك من مقاصد الذين ربوا هؤلاء المتفرنجين على كراهته، وهم لا يشعرون بملة ذلك ولا بما قبله، فاذا ظن صنف الفقهاء والمتكلمين منا على جهودهم، وبجواب تقليد ما اختاره المذاهب المتأخرون الذين يبالغون مصنفاتهم، فيعطلهم هؤلاء المتفرنجون واهوانهم على هدم ما بقي من شرعهم ودينهم، بل يجمعونهم أهواناً لهم دلي هذا الهدم، على جهل ذلك أو على علم، وها نحن أولاء نرى مبدأ تشريع جديد، ووضع طريق يلبس بتليد، يصبح بجانبه مثل هذا الصوت الشديد، الذي أوجب هذا الرد العتيد، وقد رأينا من أصحاب المأثم من نصر ذلك القصد الخلفي، ولم نر منهم من أنكر هبذا الصوت الجلي فأين العبرة على الدين؟ انالتراهاتظهر على أشدها في تفصيل من يدعوا الى هداية

الكتاب والسنة ولم نزلها أثراً في نخطتها من يدعو إلى ترك كل من الكتاب والسنة فإن كان ذنب الأول أنه يؤثر الاجتهاد على التقليد، فثاني يهدم كلام من الاجتهاد والتقليد، وزال اعتذار الجامدين على التقليد بأن كلمة الدهماء مجمعة عليه، فصار سبياً للتفرق في الدين والارتداد عنه وإذا كان الاجماع - وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد - والقياس - وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم - هما أرقى ما اقتبس منا الا فرنج، وسبقنا اليهما ثابت بالقل والعقل، وظهر أنه لاعلة لرفض من يرفضهما من المتفرجين المارقين، الا كونهما من هداية الدين، وتقليدهما بنصوص الكتاب والسنة، وكونهما من آثار أئمة هذه الامة، فننتقل الى الكلام معهم في أصلي الكتاب والسنة، لنبين هل يندبونها لذاتهما، أم لملل يستبكرونها فيهما، وموهداً في ذلك المقالة الرابعة

الشيخ عبد الكريم سلمان

في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أفصح علمائه، وأديب من أبرع أدبائه، وكاتب من أبلغ كتابه، وقاض من أعدل قضائه، أحد أعضاء النهضة لاصلاحية الجالية (الشيخ عبد الكريم سلمان) تغمده الله برحمته

وله القيد في قرية (جنبواي) إحدى قرى مديرية البحيرة من أبوين كريمي الاخلاق، أما والد القائل بالاصل، وأما والدة فمصرية المحتدة، وكان بين بيته وبيت الاستاذ الامام تعارف أهل الجوار، فلما جاورا في الأزهر تعاشرّا معاشرّة لاهل لا الطلاب، ولما خرجا الى ميدان المبلّ تعاونا تعاون أخلاء الاصحاب، المتقين في الآراء والمقاصد والآداب، وعاشا معا عاشا متوازين مواد اللذات والتراب، ثم ما فرق الموت بينهما مدة التناوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب، فمضى أن يكون هذا مصليا لذلك المجلي الى دار الثواب، وأن يحجنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب

لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام، ولكن هذا فاقه فضائه في الجِد والاجتهاد، وتسدّد سهام الارادة الى كل مراده، والمادة أن أكثر الاذكياء يكونون قليلي العناية والاجتهاد في الاعمال العقلية التي توكل اليها واختيارهم

(كطلب العلم في مثل الأزهر) والسبب الخفي لذلك أنهم لا يشعرون بما يشعر به من دونهم في الذكاء إلى التعب في التحصيل، إلا من كان له من نفسه حافز يحفزهم إلى مقصد عظيم، وكان الأستاذ الامام من هؤلاء. فانه طلب العلم بباعث ديني قوي غام في قلبه سلوك طريق التصوف قبله كما فصلناه في ترجمته فكان وهو يسكن مع الشيخ عبد الكريم في حجرة واحدة يقضي جل ليلته في المطالعة ويحاول الشيخ عبد الكريم هو وغيره أن يحملوه على مشاركتهم في سمرهم وما يلهمون به فيه فيصيبهم ذلك منه، ولو كان للشيخ عبد الكريم مثل جده وعزيمته لكان للامة منه نافعة طار حيت في الاقطار، وبلغ من الشهرة ما تبلغه شمس النهار، على أنه مشى الهويثا فسبق الاقران، فكان الأستاذ الامام البدء من مريدي السيد جمال الدين وكان هو الثاني^(١)

كان أول عمل تولاه الأستاذ الامام هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وإدارة المطبوعات فكان الشيخ عبد الكريم عضده الأول في قلم محرريه ثم كان خلفه بعد اعتزاله العمل باعتقاله مع زعماء العراقيين إثر احتلال الانكليز لمصر، فوضع اسم (عبد الكريم سلمان) في ذيل الجريدة موضع اسم (محمد عبده) وظل في عمله هذا إلى أن أنهي القسم الادبي من الجريدة واستغنى عن عمله في المطبوعات بعد عودة الأستاذ الامام من منفاه

ولما شرع الأستاذ بعد استقراره بمصر في اصلاح التعليم في الجامع الأزهر كان الشيخ عبد الكريم ساعده الايمن في ذلك من أول العمل إلى آخره، وهو مؤلف كتاب (أعمال مجلس ادارة الأزهر - في عشرين سنين) كتبه عقب استقالته من مجلس ادارة الأزهر وطبعناه ونشرناه قبيل وفاة الأستاذ الامام، بعد اطلاعه عليه واجازته له، ومنه يعلم قيمة عمل الشيخين في اقامة هذا الركن العظيم من أركان الاصلاح الاسلامي، وعبارته تشهد لما بما كانا عليه من الاخلاص والتواضع والبعد عن التبعج والدعوى فكفى الشيخ عبد الكريم فضلا وكرامة ان كان عشيروا وديدا للأستاذ الامام في أول نشأته العلمية وعضوا عاملا معه في النهضة الاصلاحية الاولى التي توسل اليها

«٩٨» تطلق الرب كلمة البدء على السيد الاول في السيادة والتقدم والثانيان على التالي له في ذلك قال الشاعر في تفضيل قومه على غيرهم
 نيسا ان اتاهم كان بدوهم وبدوهم ان اتانا كان نينا

بإدارة المطبوعات ، وفي الحركة الإصلاحية الثانية التي نوسل إليها بإصلاح التعليم في الأزهر ، وتفصيل ذلك في سيرة الأستاذ الامام . وقد تخرج مع الأستاذ الامام على يد السيد جمال الدين كثير من الأزهريين في الافكار والكتابة والخطابة كفن في مقدمتهم ابراهيم بك القفاني ، واشتغل معهما في المطبوعات أفراد منهم أشهرهم من الاحياء سعد باشا زغلول وابراهيم بك الهلباوي ومن الموتي سيد افندي وفاء ولكن ترك كل أولئك زلي العلم الديني ، واستبدلوا به الزلي الافرنجي السني ، فكان أكثرهم بعد الثورة المراية محامين في المحاكم الاهلية ، ولم يجد الأستاذ الامام من يشتغل معه في الإصلاح بعد العودة الى مصر الا من حافظ على الزلي الازهري وهو الشيخ عبد الكريم . وبهذا يعلم تأثير تغيير الزلي في الشؤون الاجتماعية

بمدخروج الفقيد من خدمة المطبوعات جعل عضوا (قاضيا) في المحكمة الشرعية العليا فكلن فيها قدوة صالحة في تحري الملل . والاستقلال في الرأي ، ومن آيات ما وصفناه به من شدة الفد كا انه ولي القضاء بمذهب الحنفية في المحكمة العليا الاستئنافية وهو شافعي لم يمتز من هلى الاعمال والاحكام القضائية في المحاكم الابتدائية فلم يجره أن يضرب مع أكبر القضاء بكل سهم ، ويكون سابقا الى اصابة الحق والعدل في الحكم ، وكان له من الشهرة في المحكمة ما هو جدير به . نعم انه كان قد سبق له دراسة بعض كتب الحنفية في الفروع والاصول كما شهد له الشيخ عبد القادر الرافي وغيره من كبار فقهاءهم ولئن وجد في زمن الفقيد أفراد يساهمون في فضيلة استقلال القضاء ، وأعاد يجارونه في حبة الادب والانشاء ، وآخرون يسبقونه بالتوسع في بعض العلوم ، أو الاغراب في بعض شوارد الفنون ، فقد كاد يكون نسيج وحده في أفضل ما يتفاضل فيه الناس ، بمد ما يتعلق بالباطن من معرفة الله ، وكما الايمان والاحلاص ، أعني مكارم الاخلاق ، وما يلزمها من محاسن الاعمال والآداب ، فقد كان ممتازا بالوفاء لآخواته والاحلاص لاخذانه وخلاته ، والمروءة والنجدة في قضاء حاجات قاصديه ، وان لم يكونوا من أصحابه وعييه وأما أصحابه فكلن أسبقهم الى عبادة ربهم ، وتشجيع ميثمهم ، وإصلاح ذات بينهم ، وتمتنتهم بكل نعمة تحدث لهم ، وكثير بما يسافر من بلد الى آخر لغني بين متخاصمين موألفين بين متباغضين ، وأزاله الجفاء بين أمرتين

وكان له من الحذق في الاستمات ما يسئل به السخائم ، ومن القطف في الغائب ما يستخرج به الحفاظ ، فلا تكاد تتعاضى حبة على رقبته ، أو تأبى هقعة أن تعمل بنشته ومن سوء حظ المسلمين ان أسرع اليه اليأس من صلاح حالهم ، فأقدمه في آخر عمره من مساعدة أعمال الإصلاح العام لهم ، وقد كان الاستاذ الامام غناه بقوله لي في أول العهد بمقدمي الى مصر : ان لي أملا كاملا وهنا رجل آخر له نصف أمل . ثم لم يلبث هذا النصف أن ذهب به وقائم الايام ، حتى كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الاستاذ الامام ، قائلا سترى ما ينتهي اليه أملكما في هذه الامة المينة ، وما يبلغه اصلاحاكم من هذه الشعوب الفاسدة ، وله كلمة في هذا المعنى قلها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ، ألبسها كهادته ثوب الدعابة والهرزل ، وقد كنا بدار الاستاذ الامام ، نتحدث فيما أشبع من رغبة الامة اليابانية في التدين بدين الاسلام ، قال الشيخ حسين الجسر : اذا يرجى ان يعود الى الاسلام مجده ، قال الفقيد دعمه فاني أخشى اذا صاروا منا ، أن نفسدكم قبل ان يصلحونا . ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من البرة المحزنة . والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم كان الفقيد طويل القامة عظيم الجثة قوي البنية فاعتراه منذ سنتين مرض في المدة طال عهده وما نقه منه الا وقد ذهب سمته ، وهزل بدنه ، وضمت قلبه ، حتى توفي فجأة بسكتة قلبية ، وكان يعزى أصدقاءه آل محمود في بلدة الرحمانية ، فقلت جسسه الى مصر ، وصلى عليه في الجامع الازهر ، ودفن بجوار صديقه الاستاذ الامام ، نعمدهما الله بالرحمة والرضوان ، وقد حضر تشييع جنازته والبالى مائة من لا يحصى من العلماء والوجهاء ووفود البلاد من الوجهين البحري والقبلي ، مظهرين لمسكاته العالبة من أنفسهم ومعزين لنجله المذهب حسان اتقدي ، وللفقيد مقالات كبيرة في موضوعات شتى متفرقة في الصحف — كالوقائع المصرية بمجلة الآداب وجريدتي المؤيد والمقطم ، ولكن يقل فيها ما هو موقع منه أو مبرز اليه ، وفي الاستطاعة جمع طائفة كبيرة منها ان وجد من يعنى بذلك . فعسى أن يأذن نجله بذلك لمن شاء ، جاعلا له حق طبعه ونشره ، لاحياء ذكرى والده وحفظ أثره .

حسن جلال باشا

كان حسن باشا جلال المتوفى في ١٨ جمادى الاولى الماضي من رجال العلم والعمل والفضيلة
ومكارم الاخلاق الاسلامية، ففي سيرته من المبرة وحسن الاسوة ما يتوخى المنار نشره،
ولم يكن تركنا لتركته عقب موته نعددا كثر كنا تراجم أكثر من يموت من أرباب المناصب
والرتب العلمية، والمظاهر الدنيوية العارضة ما يتوخاه المنار، وإنما تركناها لان ما نعلمه من
سيرته قليل بحمل، وكان محمد توفيق أفندي أبوطالب رئيس كتاب محكمة مصر الاحلية قد
أخبرنا بأنه شرس عفي كناية ترجمته، فانتظرنا صدورها للاخذ عنها وأكثر ما نرى خلاصة منها
ولد الفقيد بمصر لاربع خلون من شعبان سنة ١٢٧١ ولما بلغ سن التعليم أدخل
في مدرسة خليل آغا فكان لاول من طلبتها في جميع فصولها فهد له ذلك دخول
مدرسة دار العلوم التي أنشئت في سنة ١٢٧٨ بطريق الاستئذ. لفقده بعض شروطها
فعني وجد الى ان حصل ما كان ينقصه منها، وفي سنة ١٢٩٢ جعل مدرسا بالمدرسة
التجريبية بعد أداء الامتحان المشترط لذلك، وفي سنة ١٢٩٥ اختير لتدريس
اللغة العربية لابناء فاضل باشا فرافقهم الى سويسرة وتعلم فيها اللغة الفرنسية، وكان
ينردد فيها على وزير مصر الشهير مصطفى رياض باشا دون جميع من هناك
من المصريين (اذ كانوا يجتنبون لقاءه لمغاضيته للخديوي اسماعيل باشا) فلما اعتزل اسماعيل
وولي توفيق وعاد رياض الى وزارة مصر أرسل الفقيد الى اوروبا لتحصيل علم الحقوق
على نفقة الحكومة فال شهادة الحقوق وعاد الى مصر فخدم القضاء مساعدا للنيابة
فقاضيا فوكيلا لبعض المحاكم فرتبها امدته منها آخرها محكمة الاسكندرية تولاها عشر
سنتين ونصف سنة فاستشارا في محكمة الاستئناف وكان آخر راتبه الشهري فيها مائة جنيه.
ومن خدمته للعلم انه كان عضوا في المجلس الاعلى للزهر والمعاهد الدينية
وعضوا في اللجنة الادارية لمدرسة القضاء الشرعي

هذه السيرة الرسمية التي تتلم لتحصيل مثلها اعتناق أكثر المتعلمين ليست مما نحضن بذكر
أصحابها في المنار وإنما فضل الرجل عندنا في سيرته العملية وأخلاقه وآدابه الدينية التي فضل
بها الحم الغفير من أمثاله رجال القضاء، ويمن يمد فوقهم في المنصب والجاه كالوزراء والامراء،
كان الرجل محافظا على أوامره ونواهي من سن العبا الى سن الشيخوخة لم يقن

في شبابه بمعاصي الشهوات، ولا في كبره بمنكرات العظمة والكبرياء، ولا في شيخوخته بدناءة الطمع والحرص على المال، ولم تزلزل الإقامة في البلاد الأوربية، ما نشأ عليه من الآداب الإسلامية ولم تفسد عليه عفته وورعه، ولم يحوله عن زيه العلمي ولا عادته، حتى إنه كان يتورع عن أكل ذبائح النصارى لكثرة الملاحدة فيهم، ويذهب من محل إقامته إلى جزر يهودي في مكان بعيد يشتري منه اللحم ويأجله لنفسه

وروى أبو طالب عن بعض عشرائه من شبان المصريين طلاب علم الحقوق في فرنسا أنهم أهدوا به امرأة بارعة الجمال لتراوده عن نفسه، وجعلوا لها عشرة جنبيات أن هي قنته عن عفته، فجاءت «مجرته متبرجة بما استطاعت من زينته وطرقت الباب ففتح لها، وسألها قبل الدخول عن حاجتها؟ فضحكت ضحكة دل ومداعية، ورأرت وأرأة مغازلة وملاعببة، وحاولت الدخول عليه، ومدت يدها إليه، فدفعها بنفسه وأغلق دونها الباب، فرجعت خائبة تجمهر بالهجر والسباب.

ومما رآه من سيرته أنه كان أبر الناس بوالديه وأصلهم لرحمه، وأحفاهم بأخوانه وأصدقائه، وأشد هم غناية بكل من له عهد وصلة به، مرضت والدته بمصر أيام كان مقيما في الإسكندرية رئيسا لمحكمة فكان يهودها كل أسبوع حاملامه ملاقات فراشا كالة النظافة والكلي ويتولى ترتيب ذلك وفرشه بيده، وكان وهو يطلب الحقوق، أوبرية يرسل اليه في كل شهر جزءا من راتبه. وبلغني أنه كان يتفوق ثلث الراتب ويرسل اليها الثلث ويحمل الثلث الثالث للكتب، وما زال يحبا للكتب باحثا عن نفاثتها المخطوطة طول عمره، وكنت أراه في أواخر عمره يختلف إلى صفار باعة الكتب ويجلس عندهم باشا عما عمام التقطوه من بعض التراكات، أو أصحاب الحاجات

قال أبو طالب: ركان وفيا بالعهد فقد عرف في (قد) يوم، لي القضاء فيها بدلا مصر يا متوسط الحال كان يشتري منه حاجته فلما هاد اليها وهو مستشار سأله عنه فقيل له ان حاله نقصت وتجارته كسدت وهو الآن يبيع المراوح، فلم يمنعه ذلك من زيارته وتمهد شأنه كلما ذهب إلى قناه، ولا تسئل عن اغتباط ذلك البدال بمثل هذه الزيارة فانها كانت أشهى اليه من رد ثروته بل شبه عليه اه وأفضل ما يؤثر من مناقبه مبالغته في الاستقلال والمعدل في القضاء حتى انه لم يكن يقبل

شفاعة ولا حديثاً في قضية رفعت اليه ولا في ترقية عامل تحت رياسته كما نعلم يكن بكلام
أحداً من أصدقائه القضاء ولا غيرهم في مثل ذلك. وقد اشترى بذلك حتى لم يكن أحد
من أقربائه ولا من فوقه في المناصب يطعم أن يكلمه في شيء من ذلك، وله مواقف
وقامته تؤثر في ذلك ذكر بعضها أربط أب. ويمحني ما قاله في أثر هذه المناقب، وهو:
« وقد أغفلت التوسع في حياة الفقيد القضائية وذكر الحوادث التي أقيمت له
دالة على ما كان عليه من الفقه في القضاء والعدل والشجاعة مكتفياً بأن المعاصرين
أحاطوا بكل هذه الأحوال ويلوح لي أن كتابة تاريخ المعاصر بالتفصيل فيه من
الصعوبة ما لا يظهر لأول وهلة ولذلك قصرت دلي هذا الاماع اليسير
وما كنت لا طمع أن يكون كل مصريين كحسن باشا جلال فهذا من المحال
قطاً ولا أرجو أن يكون واحد في الآف كذلك بل الذي آمل أن يتصفح هذه
الروايات بامعان وأن لا يستغفروا شأن الحوادث التي سقتها هنا مثلاً من أخلاقه
عسى أن يحثني حذره ويهتدي بهديه فخر من الأمة ليعملوا كما عمل الله يمش
فيها الحياة الحقيقية التي لا يظهرها إلا مثل هذه الأخلاق فإن الذي يعيش الآن
بين ظهراني المصريين لا يمكنه أن يتجاهل العلماء المديدين في كل علم وفن، فصر
أبست تقبرة من هذا النوع، إذ للقضاء رجال وللقلم آخرون وللفنسة والزراعة مثلهم
ولكل مطلب من مطالب الحياة قوم بشغلهم شأنه، وما يتقص المصريين الأشياء
واحد وهو الأخلاق، فإن ذوي الأخلاق الفاضلة قليلون بالنسبة لمجموع الأمة
ومدارسها وما يدها، وأنني على قدر معلوماتي القاصرة لا أرى باباً لهذه الأخلاق إلا
الفس التي بين جنبي كل حي من الأمة فما عليه إلا أن يروضها على الفضائل التي
شاعت في الكتب وتداولتها ألسن الصحار ونقلت عنها عقولهم، فإن أصغر كتاب
مدرسي فيه بيان لأصول الفضائل، ولو مرنت النفوس مراناً حقيقاً عليها لتبعت الأحوال
تغيراً عظيماً في وقت قصير. أما ما نعيش الآن فيه من حيث الأخلاق وآداب
المعاملات فما يسجز من وصفه أكبر كاتب بلغم، وأنني ليمزني جداً أن أجعل مصدر
هذا الداء الويلس الذي قضى نفساً مزهجا فإن ابن عشر سنين يبرز في النفاق
والمداينة على ابن السنين، فنحن نتقدم فيها ولكنه تقدم ممكوس، لأن كل من أهن

هذا البفاق هــ ظريفا كـيسا، وقد عم جهود الاحساس والعواطف كثيرا من هذه الطبقات في هذه الامة ذات المجد القديم والتاريخ العظيم التي تحتاج الى شي، بسبط حتى تكون من ارقى الامم وذلك باعتدال ابناءهم في احوالهم وأقوالهم وأعمالهم بلا افراط ولا تفريط لان الحالة الوسطى تكاد تكون معدومة وقد ضاعت الحياة فيها وفي النفس حاجات وفيك فطنة ~~صـ~~كوني بيان عندها وخطاب

« وعندي ان اصلاح شأن هذه الامة التي سهلت طباعها وزكت نفوسها ولان جانبها وسهل قيادها لا يأتي الا بحسن اختيار العاملين من ابناءها من أصغر عامل عومي وهو الخفير الى أكبر موظف وهو الوزير، فما كل النفوس بصالحة للخدمة العامة التي تتطلب صفات خاصة تظهر في صاحبها من أول نشأته، فاذا صح اتقاء هؤلاء أصبحت مصر في زمن قليل فردوس الارض لان هذه الامة سريعة التقليد لكل ماها. اه المراد

[المنار] لقد هدنى هذا الكاتب الى ما يجب من العبرة في هذه السيرة الحسنة بعبارة تدل على انه عني بتهديب أخلاقه وتربية نفسه حتى ظن أن ذلك يسبر على أكثر الناس المتعلمين. وهيئات هيئات، إنهم عن السمع لمعزلون، وعن الحاجة الى تزكية النفس انغافلون، وهذا التعليم المعروف لا يزيدهم الا غفلة واعراضا عنها، ولن يكون ذلك الا باقـتـلاب يتغير به نظام التربية والتعليم ويكون أمرها موكولا الى أصحاب الفضيلة والحكمة من الامة، وأين هم؟ وكيف السبيل الى تفويض الامر اليهم؟ وأما اختيار أمثالهم لآعمال الحكومة فن بقدر عليه ويعنى بتنفيذه، ههنا محل التأمل للمؤمنين.

﴿ التحول في ميادين الحرب وقرب أجل الصلح ﴾

هجم الالمان في أول فصل الربيع من هذا العام على الجيوش الانكليزية في شمال الميدان الغربي هجوما لم يسبق له نظير كانوا يضر بون به جميع خطوط القتال بمدافعهم في وقت واحد ويحطرون البلاد الواقعة وراء هذه الخطوط وابلان من مدافعهم الى مسافة ٢٨ ميل وكان غرضهم الفصل بين الجيوش الانكليزية وبين الفرنسية والامريكية لتمكن من سحق الاولى والتفرغ بعدها للآخرى أو تخضع لطلب الصلح بلا شرط ولا قيد. وما كاد يتم لهم مبدأ ما بجاولونه حتى حدث في خطة

دول التحالف أعظم حادث انمقد الاجماع على وجوبه من قبل لولا معارضه من تقدم المانع على المتضي وهو توحيد القيادة لجميع جيوش دولهم، وبذلك تمكن الفرنسيين من وصل ما انقطع من التواصل ومزج الجيوش بعضها ببعض. ثم هجم الالمان هجوماً جديداً آخرين عظيمين بلغ من تقدمهم بهما أن قطعوا نهر المارن وصاروا على مقربة من باريس التي كانوا يصرّونها كل يوم بمدافع بعيدة الرمي. وكان الناس يتوقعون زحفهم عليها في الاسبوع الثاني من شهر شوال وهو الثالث من شهر يوليو (تموز) لأن وزراء التحالف كانوا يصرّون بأن تفوق الالمان عليهم في العدد والمعدة عظيم وأن الخطر لا يزول الا اذا انقضى فصل الصيف وحالت أمطار الخريف دون استمرار شدة القتال وهم ثابتون مصابرون لمدوم، فاذا تم ذلك لهم زال الخطر ودالت الدولة لهم بكثرة الجيوش الأمريكية التي ستكون في صيف السنة التالية مساوية لجميع الجيش الألماني. ينسا ينتظر الناس ذلك اذا فاجأهم خبر شروع الالمان في التقهقر المنظم من جنوب المارن الى شماله ثم من جنوب الالين الى شماله وكان يظن أن ذلك لحظة حرجية يعقبها هجوم أشد مما قبله، ولما استمر التقهقر ظن قوم أنهم يقصدون خط هندنبرج ليشتموا فيه كما فعلوا في العام الماضي، وأنهم في أثناء ذلك يجمعون جيشاً من الحكومات الروسية التي آذنت التحالف بالحرب، وظن آخرون أن سبب التقهقر اتفاق سري على الصلح، وقوى هذا الظن ما نقلته البرقيات عن طلعت باشا من أنه قال عقب اجتماع سياسي مع رجال الدولتين الجرمانيتين: إنه لم يبق لاستمرار الحرب فائدة وإن الصلح سيعقد قبل حلول فصل الشتاء من هذا العام. ثم ما زال الالمان يتقهقرون والاحلاف يتأثرونهم ويحتلون البلاد التي يغادرونها حتى آخر الشهر وقد ظهر في برلين وغيرهما مبادي انقلاب سياسي ربما كان هو السبب الباطن للاروز والانكاش وأما الترك فكانوا يدافعون دفاع المستميت عن كل بقعة أخذها الروس من بلادهم التركية أو الانكليز من بلاد العرب في العراق وفلسطين حتى اذا جاء هذا الشهر فاجأنا الانباء بأن الجيش الانكليزي في فلسطين شرع يزحف في الاغوار والانجباء من تلك الارض الحصينة الخالية من الماء، فاستولى في ١٢ ذي الحجة (١٨ سبتمبر) على خطوط الترك الامامية في جلعلة والطيرة وطولكرم وفي ١٣ منه تقدم حتى بلغ المغولة

وفي ١٤ منه بلغ بيسان وجنين ونابلس والسامرة وماجا ١٧٠ منه الا واحتلوا حيفا وبيعتا سكا
وفي ١٩ منه احتلوا طبرية وسمخ وعمان وبلغ عدد من أسروا من الجيش التركي أربع ألفا
ولم نسمع في أثناء ذلك بمقاومة تؤثر، ولا بعدد من القتل يذكر، وازالوا يوغلون في ولايتي
سوريّة وبيروت شمالا من الجانب الغربي، ويحاذيهم جيش الأمير فيصل العربي من الجانب
الشرقي، حتى دخلوا دمشق في ٣٠ منه وكان الترك قد أجلاوهم وأتلفت فيها حكومة مؤقتة
ولا شك في أن الترك قد قرروا ترك سورية كلها لاهلها ولا نكاش الى بلادهم التركية
تحميدا لطلب الصلح. وإذا يؤس الانحاديون من ولايتهم العربية فانهم يفضلون
ببما لا عدايتهم أو تركهم لهم غنيمة باردة على ابقائهم لاهلها العرب كما معروف
عنهم، ولكن الامر لم يبق في أيديهم، فهم قد قتلوا أنفسهم وقطعوا أوصال سلطتهم
(امبراطوريتهم) بسيف العصبية الجنسية الذي سلوه على غير الترك من الاجناس
أما أخبار الصلح ومقدماته فأوها ان لنسبة نشرت في ثاني ذي الحجة مذكرة رسمية
في عاصمتها بينت فيها انها أرسلت الى الدول المتحاربة اقترحا تدعوم فيه الى ارسال
مندوبين من كل منهم الى بلد من البلاد التي على الحياد للمفاوضة السرية في أمر
الصلح وتحميد السبل الى الاتفاق الممكن في ذلك. وفي ٣١ منه علمنا أن الحكومة البلغارية
طلبت الصلح وعقد الهدنة، وأن رئيس وزارة هذه الحكومة عرض الامر على معتمد الولايات
المتحدة فأشار عليه بوجوب قبول شروط الحلفاء. لهدنة بدون بحث لانهم يريدون بالشدّة
فيها الأمن كل خطر في المستقبل ولكنهم يراعون في شروط الصلح العدل والانصاف على
قواعد الجنسية وقبل نصحه. وروت البرقيات أيضا ان المعتمد نفسه سافر الى مركز قيادة
الحلفاء وحضر توقيع الهدنة وأن الترك سيحذون حذو البلغار

ولم يتقضى اليوم الاخير من ذي الحجة الا والبرقيات العامة تتلاقى في جواب
ارجاء العالم بأن الدولة الألمانية نفسها خاطبت الرئيس (ولسن) برغبتها ورغبة
حليفيتها النمسة والتركية في الصلح على الاصول والشروط التي وضعها هو. فسيحان
محول الاحوال، ونسأله أن يحول حالنا الى أحسن حال

﴿ تصحيح أخطا ﴾ ملاحظة من التفسير موضعها أواخر السطر ٣٠ من
٢٦٦ من المجلد التاسع عشر فينبغي أن تكتب بإزاء موضعها من الحاشية وهذا نصها :

(ومثل عنهم ما كانوا يقترون) أي وغاب عنهم ما كانوا يحتفلون في الدنيا من كون مبدؤهم تشفع لهم عند الله. أو ضلت الميودات نفسها عنهم فلم تهتد إلى الشفاعة لهم سبيلا. فقلب ما لا يعقل منها كالأصنام فغير عنها بما لا تقبيح ولأن أكثرهم ما كان يعبد في هامة أوقاته غيرها.

جملة « أو نفع أصاب حبيبا دعواه » في ص ٢١ من ٣٣٢ م ٢٠ مخطئا قبل جملة « أو ضر أصاب عدوا دعواه عليه » في ص ٢٢ بعده

صفحة	سطر	ذمأ	سواب	صفحة	سطر	خطأ	سواب
١٤٨	٢٥	عيا	الاعيا	٣٨٦	٢٢	خنة	أوبية
٣٤٢	٣٠	مافي	على مافي	»	٢٣	ساقوم	أساقوم
٣٤٢	٢١	يفسد	يفسدا	»	٢٤	بشروادريس ولوط	بشروادريس
٣٦٦	٢	دون	حال دون	٣٨٢	١٧	متهذا	متهذا
٣٧٦	٦	الاحكام	من الاحكام	٣٩٠	٧	مختلف	مختلف
٣٧٩	٦	واذا	واذا	٣٩٤	٨	وأحد والترمذي	والترمذي

خاتمة المجلد العشرين

بحمد الله نختم المجلد العشرين من المنار. وله الحمد والشكر على نعمة التوفيق والثبات، وقد جعلنا أجزاء هذا المجلد عشرة كالأجزاء المجلد الذي قبله، ولكننا اضطررنا إلى تصغير حجمها من الجزء الخامس وما بعده، لأن الحرب اشتد غليان سعيها، وجميع الأشياء اشتد غلا سعيها وقد ذكرنا في أول خاتمة المجلد السابق أن ما كنا نشتره من الورق بمئة صار ماسره ٤٠٠ أو ٥٠٠. وقول في هذه الخاتمة أنه تضاعف بعد ذلك إلى ١٠٠٠ بل إلى ١٦٠٠ السراول فقد علمنا بأفسنا وأما السراول آخر فبما أهل البناء وقد غلت أثمان سائر الأشياء أيضا حتى الأغذية لوطنية التي يبتاعونها في الجزء الثامن قلنا العذر في تصغير حجم المنار من عدم الزيادة في قيمة الاشتراك، وقد فعل مثل فعلنا أصحاب الجرائد والمجلات في جميع الآفاق هذا وقد أغرنا البدء بهذا الجزء الأخير إلى شهر ذي الحجة كما أخرنا ما قبله من أجزاءه^(١) وأجزاء ما قبله من سني الحرب فأدغنا في سنيها الأربع سنة من سني المنار إذ لم نصدر في هذه السنين الأربع إلا ثلاثة مجلدات، وبذلك انتهت مجلدات المنار عدد

(١) قد صدر ما قبله في أواخر ذي القعدة كما علم من آخر خبر في الجزء التاسع

فيه الشمسية في الجملة ، وذلك ما توقعناه في خاتمة المجلد التاسع عشر من تأثير استمرار الحرب ، فقد صدر أول عدد من سنة المار الاولى في ٢٢ شوال من سنة ١٣١٥ ، ويوافق ذلك منتصف الشهر الاول من سنة ١٨٩٨ الميلادية . فعلى هذا يكون قد تم لنا المجلد العشرون في السنة العشرين الميلادية ولكن قبل تمامها

والمرجوان يتم الصلح العام بين الامم المتحاربة في العام الذي نستقبله ، وان يقيسر لنا فيه أن نزيد في حجم المجلد الحادي والعشرين ، وان كان لا يرحى أن يعود ثمن الورق الى ما كان عليه قبل الحرب الا بعد سنين ، فان عود الرخص الى المصنوعات انما يكون بالتدريج البطيء .

الانتقاد على المار

ورد علينا في هذا العام ذلك الانتقاد الطويل على (ذكرى المولد النبوي) وقد نشرناه بزمته في الجزء الثامن والورد عليه في التاسع والعاشر وبقي له بقية نشر في السنة الجديدة وورد علينا انتقاد آخر لمسألة أبوي النبوي صلى الله عليه وآله وسلم وعنه أبي طالب التي ذكرت استطراداً في الكلام على أبي ابراهيم الخليل (ص) من هذا المجلد . فانا نقدر من يجوزمون بنجاة الابوين الشريفيين وأبي طالب خلافاً لما روي في الصحيحين وغيرهما ، وكل ما ذكره في مسألة الابوين قد تقدم في بحشاه ، وأما ايمان أبي طالب فاتقد علينا عدم ذكر ما ورد في ايمانه من الروايات الضعيفة ولم يكن الكلام في ترجمته قد توفي كل ما جاء فيه ، وانما كان في بيان حكمة ما ورد في كتاب الله وحديث رسوله الصحيح في معنى النص . يح بكفر أبي ابراهيم (ص) وقد صرحنا بحظر اعتدائه بآيات النصوص وحكمها ، وأحكامها في ذلك الى ما بعد ايداه فارسل (ص) أو لاحد من أهل البيت الذين من ذريتهم ، وان أقوى ما يستدل به على نجاة الابوين الشريفيين في الآخرة وأرجاه هو ما ورد في امتحان الله تعالى لآمال الفترة في الآخرة ونجاة بعضهم به ، ومن أجدر منهما بذلك ؟ وتتمنى أن نجد أدلة أقوى من هذا ، فان وجدنا شيئاً نشرناه مقبوطين ، والا سكنا مؤمنين مفوضين ، ولا نرتاح الى الرد على المنكرين ، فحسبنا بيان ما ظهر لنا أنه الحق المبين ، وهو خلاف ما نهوى فما نحن للهوى بمتبعين ، (وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين) وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

﴿ فهرس عام لجميع المواد التي وردت في المجلد العشرين ﴾

ما وضع بين قوسين فهو عنوان في الاصل

صفحة	صفحة	1
الايمان كسرهم للروس والرومان ١٢٨ دعوتهم للصالح ٢٤٦	الاحاديث في التصوير والصور ٢٢١ احاديث الحج (في مظاهرها)	آباء النبي «ص» مسألة ايمانهم ٢٥٤ آثار الانبياء ، زيارتها ٣٥٣ الآخرة . النجاة فيها بالاعان والعمل دون القدرية والشفاعاة
أمريكا والحرب ٤٨ و ٤٨ أم القرى . املائقه علي مكة ٤٢٠ الامم . حربها ٤٨ و ٦٠ الاسلامية (راجع المسلمون)	(الاحرام بالحجم وشدة الحال الى عرفات) ١٥٦ أحد صقوت . دعوته الى ابطال أصول الشريعة ٤٠٥	١٨٦ و ٢٦١ و ٣٣١ آدم . دليل نبوته ورسالته ٣٨٧ آزر . اسمه وكفره ٢٥٢ و ٢٦٠ آفة السكك الحديدية وتالوهم ٣٠١ آل البيت . الصلاة عليهم ٣٩٦ بدهم عن الرئاسة
٣١٢ . تشيل قصصهم	الارمن ٤٦ و ٥١ الازهر . شيخه الجديد ١٦٥ الاسباب ١٣٠ و ٣٣٢ الاستاذ الامام مابذه العلماء ٤١٣ استقلال الشعوب وأقوال الدول	والحرب ٤٠٢ مؤذنتهم ورواياتهم ٣٩٤ آل ياسر . أسلمهم وتمذيبهم ٤٠٠
الانصار . نصرهم وفضائلهم ٤٢٣ الانكيز . حربهم السياسية ٢٠٢ أرددهم على اقتراح ولسن للصالح ١٩٩ غرضهم من الحرب وتأويلهم للفهم وهدمه ٥٠ و ٥٥ ومسألة سورية وفلسطين ٢٠٥ و ٢٠٥ أهل السنة من هم ٢٦٨	فيهم ٤٨ — ١٩٩ و ٢٤٦ (استقلال ألبانية) ٥٨ استواء الشياطين ٢١١ الاسرائيليون وفلسطين ٢٠٥ الامراتليات ٢٥٢ الاسلام والكسك ٣٨٦ و ٤٢٩ « املاحة في أحكام الرق ٢٠ « وعصية الجلس ٤١	الى وادي مكة ١٢٤ « استجابة دعائه لمكة ١٢٦
(أطمعني وليالها) ٣١٦ الايام الممدودات والمعلومات ٣١٦ ابطالها . غايتها من الحرب ٥٧ حماية ألبانية ٥٨ تنبيه وزيرها لا استقلال الشعوب ٢٤٧ الايان بالربل اجالا وقصصلا ٣٨٥	بسر ٢٧٥ الاصلاح الاسلامي وادعائه ٤٠٤ و ٣٤٠ (اقتراح نظم في الاسلام الاسلامي) ١٣٧	— ٢٦٦ و ٢٨٩ و ٣٠٦ اوبال كسب الانسان له ١٨٥ أبو طالب . موته والشفاعاة له ٢٥٩ و ٢٦٥ الاتحاديون ٣٥ و ٤٠ و ٤٥ و ١٦٦ و ٢٨٤ و ٤٤٥ الاجام . رفض التفرج بجله ٤٣٢
ب-ت		
البابا . دعوتها الى الصلح ورد		

صفحة	الدول عليها
١٩٩	بحرة بين جند ومكة ١١٢ و ٣٦٢
	البدع . استحصانها ونوعها وويله
	إيطاليا ٢٥٠ ، ٣٢ ، ٣٩٥ و ١٠٣
ج - خ	
١٩٨	حبل الرحمة وصوره ١٩٩ و ١٩٨
٣٦٧	(حرمي زبدان) كتاب
٨٧	الحرج والجوارح
١٧٧	الحجار . أصلها لغة
	الجمعة . ما يشترط من المدد لا تامة
	وفي مكان إقامتها ووقتها ١٠٥
	جنية الآحاد والترك (راجع
	الانحداريون)
٤٠	النهرى العمانية
١٨٠	الجس . أنواعها وعلاقتها بالناس
٣١٤ و	و راجع الشيطان
١١٩	(الحالة الرومية في المالك
٣٧٨	(الحالة ال - يانية في الجاز
	الحجر . عبادة رومية دينه اجنابة
٣٣٥ و ١١	وحكمة مناسكه
٤٦	الحجاز . استقلاله
٢٧٨	حكومته . حالها
١١٤	الحجر والصخر واحصى
١٢٢	الحجر الاسود حكمه استلامه
١٤٦	الحديث . رتبته ملكة البلاغة
١٢٨	الحرب . أهم أمدانها
٤٤٤	التهول في ميادين الحرب
	التربية في المدارس الاجنبية
	الترك والعرب ٣٦ - ٤٧ و ٦٠
	١٦٦ و ٢٨٣ و ٤٤٥
	الترمس أو التروس ١٠٩
	تصحيح غلط
	التصوير واتخاذ الصور وصنما
	وحكمها وفوائدها ٢٢٠ و ٢٧٠
	تعليم اللغة وطريق تحصيلها ١٤٧
	التفريخ . علاج مفاسده
	٣٣٦ و ٣٤٠
	الفسير (في أوائل الاجراء)
	التقليد . أو بل أهل للنصوص
	١٧٢ و ٣٣٠
	١٢٠
	التبليغ في الحبر . تأثيرها
	٢٢٠ و ٢٣٠
	٢٦٣ و ٢٧١
	تأثيل اللب والحواوي
	٢٣٣
	التنبيه وحكم اشتغال السليمة به
	وإدخال قصص الانبياء فيه ٣١٠
٢١٥	خرافة
٠٨٣	خلق الله آدم على صورته
٤٠٠	خيار كوفي الجاهلية
١٨١	رفع عن أمي الخطأ
٣٨٧	الشفاعة
٢٦	حق النبي عن نفسه
	لا يجتنبه أمي على صلاة
٠٤٣٢	و - لن يجتنبه أمي
	لولا الهجر ولكنك امر
٤٢٥	من الانصار
٤٠٠	موت أبي طالب
٤٠٠	الناس تبع لغريش
٤٢٣	بأمر الانصار
١٢٨	الحرب . أهم أمدانها
٤٤٤	التهول في ميادين الحرب
٤٨	غائتها وأغراضهم منها
٣٩٤	صانها
٢٤٦ و ١٩٩	الحرب والصلح
٤٣٧	حسن جلال باشا ترجمته
١٨٨	حكم تارك الصلاة
٤٢٦	أرم فذلك أبي ومي
٣٨٨	أعطيت خسا
٤٢٥	ألا ترضون
٣٩٩	إن الله أكرم أمي بالبلاغة

صفحة	٣٥٢	صفحة
	الرحمة كتابة الله اياه اعلى نفسه ١٢	(حكمه تحريم الدم المذموم) ١٤٥
	(رد النار على النار الذكرى المولد) ٣٩٥ و ٤٢١	حكمه مشروعية الحرب ٤٠٣
الشرعية تحويلها الى قانون ٤٠٤	الرسول الايمان بهم اجمالا وقصلا ٣١٥	حكم مناسك الحج اربع (انج)
الشرعية . مدم المتفرجين لها ٤٢٩	الرفيق لا يرضى والاسود ١٩	(الحكومة العربية الجديدة ٢٧٨)
شرف مكة . حقاوته ١١٦	دوسيه ثوريات اعرض القيامة	الخلطاء . واستقلال الامم ٤٨ - ٦٠
شرف مكة صفاته ٣٥٦	وغيبا لانيه وآله وانكسارها في	وغايتهم من الحرب ١٩٩ و ٥٣
الشر في المشايخ وقليلك ٣١٩	الحرب ١٢٨ اقتراحها حرية	الحنيف والحنيفية ٣١٦
	التموب وعده الفهم وانه ٤٨٠	خاتمة المجلد العشرين ٤٤٧
نيخ الازهر ١٠٤ و ١٦٠	٢٠٦ و	« خطبتنا السياسية بمى ٢٨٢ »
٢٨٨ و ١٦٥	رياضة البدنية في الحج ١١٩	خالد النقشبدي (الشيخ) ٣٦١
	الركعة . تخصيصها بالاعتناء ١٠٧	خلق المرأة (كتاب) ٣٦٧
الشياطين واستبواؤها الناس ٢٩١	زمن . سب تحجها ١٢٥	الحلاقة ومباينة الشريف بها ٢٨١
الشياطين . تشييعهم بميكرويات	الزهد . منافع ومضاره ١٠٩	
الاسراض ١٨٠	الزواوي « راجع عبد يوسف »	
	زنب « السيدة » قبرها ١٦٤	
ص - ط	س - ش	
السالون . تنظيم قبورهم	السؤال (الصحافة) ٣٥٩	الذكرور . وصف حجاجهم ١١١
وصورهم « راجع القبور »	السكر البهوني في السفر ٣٦٣	الدم المذموم ١٤٥
الصبي - قصة ٣٦٧	سلطان مسقط . ضيافته لنا ١١٧	الدولة النهابية والعرب ٤٤
الصلاة . لرومها وامدادها للايمان	سلم البشري عرجته ١٦٠ و ٢٨٨	ذباغ التمسك ٢٧٧
واستلزامها العمل الصالح ٤٢١	« في الماندين للرسول وفي	ذكرى المولد الذوي . نقد ٣٤٥
	المطرفين في دينهم ١٣٦	« رد ٣٩٥ و ٤٢١ »
الصليح . ملك دول التحالف	« السنة الراسية للحرب » ١٢٨	الذكورة والانوة . سنة اقد
الجرمانيه ١٦٩ و ٤٢٩ و ٤٤٦	سورة . حلاله الترك عنها ٤٤٥	
الصيويون ٣٠٥	« مستقبلا ٥١ و ٢٠٥ »	
الصور	السيوطي . وسائله في الاوبون	راية النبي ص ٣٩٧
« سب عبادهم اوسع التصوير	الشرهين ٢٦٠	
اصور والنقح فيه ٣٨٨		
الصوملية غرورهم وتوطينهم ٢٠٤		
الفهم والفر . ٤٨ - ٥٧ و ٤٨٨		« رولة الحجاج ١٠٨٤ و ١٥٠ »
٣٤٦ و		١٩٢ و ٢٣١ و ٢٢٩ و ٣١٦

سبعة	(العلم في رئيس وزراء الانكليز)
٢٢	٢٠٤
الموام والحواس	الطوائف والسم ١٣١٦١٨
٤٨	ع-غ
» تربيتة ملكة اللان ١٤٦	البياسيون التنويه بمجده ١٩٦
٥٣	عبد الله الزواوي بك ١١٧
» دلالة الأثار على صدقة ٣٤٠	عبد الطلف أولاده ٤٢١
٣٦٤	» عبد النازح - ماتيا في تبع
٤٤٦	لا تكابر بغداد ١٩٦ و ٢٠٦
٢٦٤	ف-ق
التواصات الألمانية وحواسها ٢٦٤	عبد الله الزواوي بك ١١٧
ف-ق	عبد الطلف أولاده ٤٢١
٩٧	» عبد النازح - ماتيا في تبع
٥٣	لا تكابر بغداد ١٩٦ و ٢٠٦
٤٨	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٥٩	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب
قريش - مادانهم للنبي والتعب	قريش - مادانهم للنبي والتعب
٣٩٩ و ٣٤٦	قريش - مادانهم للنبي والتعب

<p>(مصائب الحرب) ٣٦٤ المصريون ، اسرائيل ٣٦٥ المفردة - أثر التوبة والاصلاح ١٣ مفاتيح النيب . وكونها لا يطمح الا الله وتسميها بالحبس التي في آخر الزمان . وما يرد عليه ٩٦ (مقدمة ذكرى المولد النبوي) ٣٢ مكة . تسخير الله الناس لها ١٣٦ » مقامنا وحالنا فيها ١١٧ و ١٥٠ » وصف شوارعها ومدانها ومخارجها والمسافة منها الى عرفة ١٥٧ اللائمة . لا تدخل بيتا فيه كلبا و صدرة ٢٢٣ - ٢٢٤</p>	<p>٣٦٣ ٣٤٢ ٣٤٠ ٤٢٩ و ٤٠٤ المتكلمون ، آراؤهم في حجة ابراهيم ٢٩٥ و ٣٠٩ الحجة السلفية ٢٠٨ (الحجج التنوي المصري) ٦١ محمد أبو الفضل شيخ الأزهر ١٦٦ محمد نجيب رفيقنا في الامجاز ٣٦١</p>	<p>الماء . في السفر ١٠٨ و ٣٦٣ المبيت بمزدلفة النحر ٣٤٢ المترجمون والاصلاح الاسلامي ٣٤٠ و ٤٠٤ و ٤٢٩ المتكلمون ، آراؤهم في حجة ابراهيم ٢٩٥ و ٣٠٩ الحجة السلفية ٢٠٨ (الحجج التنوي المصري) ٦١ محمد أبو الفضل شيخ الأزهر ١٦٦ محمد نجيب رفيقنا في الامجاز ٣٦١</p>
<p>» ماوردني بيوه - راجع آباء » مدة اقامته بكة ٤٢٨ » موقفه بركة ١٩٧ » مولده نسب ٣٥٤ » قهوة صاحبه ٤٠٨ » رأي الأزهرين فيه ٥ » خاتمة الحديث العشرين ٤٤٧ » قاعة سنته . واجال دعوته ١ الناسك . الحالة الروحية فيها ١٢٠ منى . أيامها وآلياتها وصورتها ٣١٦ » ومناسكنا وشؤوننا فيها ٣٤٥ و ٢٧٧ - ٢٨٠ المولد النبوي . حكم الانتقال به وأمناله من البدع ٢٣ المؤمن لا يخاف ويرجو غير الله ٣٣٤</p>	<p>المزدلفة ١٩٣ و ٢٤٧ المساعد على القبول . راجع القبول (مسألة استقلال الشعوب) ٤٨ (المسألة العربية) وفيها بحث الجنسية والاسلام والحلاف بين الرب والترك والمانم من تأسيس دولة عربية والحجيات العربية واستقلال الحجاز ٣٣٣ المسلمون اتباعهم سنن من قبلهم للتصوص</p>	<p>المزدلفة ١٩٣ و ٢٤٧ المساعد على القبول . راجع القبول (مسألة استقلال الشعوب) ٤٨ (المسألة العربية) وفيها بحث الجنسية والاسلام والحلاف بين الرب والترك والمانم من تأسيس دولة عربية والحجيات العربية واستقلال الحجاز ٣٣٣ المسلمون اتباعهم سنن من قبلهم للتصوص</p>
<p>اختلاف النصوص والحكم . اختلاف الانها فيها ١٣٩ النفر من منى ٣٥٢ (قد ذكرى المولد النبوي) ٣٤٥ الكاح . فسحه باليب والداء ٩٨ النية . الاستزادة بحسبها ١٤٩ هذيل . اماتهم ١١٣ (الهاء آل رضا) ٤٠٨</p>	<p>المنار . الا فتاد عليه ٤٢٩ و ٤٤٨ » قهوة صاحبه ٤٠٨ » رأي الأزهرين فيه ٥ » خاتمة الحديث العشرين ٤٤٧ » قاعة سنته . واجال دعوته ١ الناسك . الحالة الروحية فيها ١٢٠ منى . أيامها وآلياتها وصورتها ٣١٦ » ومناسكنا وشؤوننا فيها ٣٤٥ و ٢٧٧ - ٢٨٠ المولد النبوي . حكم الانتقال به وأمناله من البدع ٢٣ المؤمن لا يخاف ويرجو غير الله ٣٣٤</p>	<p>المنار . الا فتاد عليه ٤٢٩ و ٤٤٨ » قهوة صاحبه ٤٠٨ » رأي الأزهرين فيه ٥ » خاتمة الحديث العشرين ٤٤٧ » قاعة سنته . واجال دعوته ١ الناسك . الحالة الروحية فيها ١٢٠ منى . أيامها وآلياتها وصورتها ٣١٦ » ومناسكنا وشؤوننا فيها ٣٤٥ و ٢٧٧ - ٢٨٠ المولد النبوي . حكم الانتقال به وأمناله من البدع ٢٣ المؤمن لا يخاف ويرجو غير الله ٣٣٤</p>
<p>نينا . الادب مع قرانه ٢٦٦ اصطواؤه غنائم حنين المكين دون الانصار ٤٢٤ ابذاه قومه له ٤٢٢ تطليه بالاندام ٢٨</p>	<p>نينا . الادب مع قرانه ٢٦٦ اصطواؤه غنائم حنين المكين دون الانصار ٤٢٤ ابذاه قومه له ٤٢٢ تطليه بالاندام ٢٨</p>	<p>شكواهم من المترجمين ٣٤٤ » ضمهم منفار تقاء الفرنج ٣٤٩ » مصلحتهم في دولة عربية ٣٥٥</p>

٥٠٠ ق